

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط المغرب الاقصى



العدد السابع - السنة الرابعة
ذو القعدة 1380 - ابريل 1961
ثمن العدد : درهم واحد

مجلة تصدرها
وزارة
عموم الأوقاف

دعوة الحق

العدد السابع
السنة الرابعة
ذو الحجة 1380
ابريل 1961

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف. الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر جميل على نهر « زيز »
بناحية قصر السوق - عمالة
تافيلالت -

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 20 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 10-308 - الرباط



كلمة العدد

العبرة من قضية فلسطين

عندما انهت بريطانيا انتدابها على فلسطين فى 15 ماي 1948 كان اليهود قد اتموا استعداداتهم المادية والمعنوية بمساعدة دول الغرب الاستعمارية وفى طليعتها بريطانيا ، فاعلنوا دولة دخيلة فى قلب الوطن العربي اطلقوا عليها اسم «اسرائيل» ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الولايات المتحدة كانت اول دولة سارعت الى الاعتراف بالدولة الدخيلة بعد دقيقتين فقط من الاعلان عنها ، واذا كانت الجيوش العربية قد هبت اذاك لنجدة عرب فلسطين ومقاومة الغاصبين فان هياة الامم المتحدة ، والدول الاستعمارية الكبرى وتخاذل القيادات العربية ادت فى النهاية الى تشريد ازيد من مليون لاجيء عربي واستحواذ اليهود على اكثر من الاراضي التي منحهم اياها مشروع التقسيم ، واصبحت اسرائيل واقعا سيئا قائما يتحدى التاريخ والحق والقيم الانسانية بجميع اشكالها ، ويهدد مصير الامة العربية فى كل وقت وحين .

ان الادوار التاريخية التي مرت بها قضية فلسطين منذ أن استقر راي الصهاينة على انشاء وطن قومي لهم فى ارض فلسطين يفتح اعيننا على وقائع مؤلمة . فالحركة الصهيونية قد ربحت المعركة : 1) بتنظيمها القوي المحكم ونشاطها الدائب ، وتوفرها على كفاءات علمية ومالية هامة ونذكر بهذا الصدد ان الصهيونية العالمية بقيادة (حاييم وايزمن) خلال الحرب العالمية الاولى استطاعت ان توجه قوة اليهود المالية فى العالم وتحولها بكاملها لدعم جهود الحلفاء الحربية ، وان تقوم بعمل ديبلوماسي كبير حيث استطاعت ان تقنع كلا من فرنسا وبريطانيا بانها قادرة على اقحام الولايات المتحدة فى الحرب مقابل الحصول على وعد بانشاء وطن قومي ليهود

العالم ، كما تمكن حاييم وايزمن ذاته من مساومة بريطانيا على اكتشافاته العلمية لانواع جديدة من المتفجرات لها قيمتها الحربية وذلك لقاء اعترافها بمطامح الحركة الصهيونية الفاشستية .

2) بالدور الماكر الذي لعبه الحلفاء بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وذلك خلال مؤتمر السلام الذي عقد في قصر فرساي في 11 نوفمبر من سنة 1918 والتي ظهرت فيه نوايا الاستعمار واطماعه على حقيقتها وكان حظ العرب توزيع اراضيهم الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية والبر بوعد بلفور وتسليم فلسطين لليهود بعد انها الانتداب البريطاني عنها ، وقد اتبعت بريطانيا خلال فترة الاحتلال جملة من من الاساليب الماكرة لايزال التاريخ يدين بها الاستعمار الى الابد ونذكر منها :

- سلب الاراضي العربية في فلسطين ومنحها لليهود .
- اشراك الوكالة اليهودية في تسيير الامور الادارية .
- تيسير سبل الهجرة لليهود من مختلف انحاء العالم للاستيطان بارض الميعاد .
- اعطاء الجنسية الفلسطينية لجميع اليهود الوافدين الى البلاد .
- منح اليهود امتيازات خاصة كتشغيلهم في الادارات الحكومية والحاقهم بمناصب عليا .
- اغراء الفلاحين الذين كانوا يعانون البؤس والحاجة وتثقلهم الضرائب والديون بالمال لبيع اراضيهم .
- جعل اللغة العبرية لغة رسمية .

3) على اننا لانعفي انفسنا من المسؤولية فلئن استطاع الاستعمار ومن ورائه الصهيونية العالمية ان يلعب الاعيبه ويقيم في الوطن العربي دولة ممسوخة فلأن عزائمنا وخططنا وتصميماتنا لم تكن في مستوى الاحداث ، وقد كانت الحرب التي خاضها العرب لانقاذ فلسطين آخر الامر ، مناسبة اليمة كشفت القناع عن كثير من العورات والعيوب كان لها اثر كبير لما يجري في شرقنا العربي الى اليوم من احداث وانقلابات .

واليوم وبعد مرور ازيد من 13 سنة على مأساة فلسطين نعتقد ان المعركة لم تنته لا بالنسبة للعرب ولا بالنسبة لليهود ، فالرقعة الضيقة التي يعيش عليها اليهود لاتلائم المخطط الذي وضعوه . وما زالوا يتحينون الفرصة لمد نفوذهم على بقاع جديدة من الوطن العربي ثم ان شعورهم بالحقد والكراهية التي يكنها لهم العرب يدفعهم كل يوم الى استجلاب المزيد من المهاجرين ومضاعفة عدد السكان ، فالعرب اذن مدعوون تحت تاثير هذا الواقع السيء وهذه الاطماع الخبيثة الى جولة ثانية لصد العدوان وتاكيد حق اللاجئين في العودة الى اوطانهم واعادة المشروعية من جديد الى ارض فلسطين ، فعلى الجيل العربي الصاعد ان يرفع يقظته وحذره ليكون على اتم استعداد للجولة القادمة متخذا من الماضي بما فيه من مآسي واخطاء عبرا ودروسا .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 13 -

قـــال المؤلف : واذا نظرت في المجهر تــرى تحته اصغر حيـوان واصغر زهرة مزدانـة بخطـوط الجمال المحكم الصنـع (صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) ، والخطوط البلورية من العناصر والمركبات من ندفة الثلج الكبرى الى اصغر شكل منها تراها متقنة الصنع بشكل مدهش ، حتى ان الفنـــان مهما بلغ في فنه فليس في امكانه ان يزيد عليها شيئـا . وغاية ما يقدر عليه ان يحاكيها او ينتزع منها خطوطـا واشكالا فيؤلفها ويجمعها في شكل واحد ، فكل ورقـة من كل شجرة سليمة تراها قد برزت في احسن صورة من الكمال ، وترى ظاهر كل نبات قد وضع على صورة بتصميم خاص لخطوطه في فن رائع ، وترى الازهار قد صورت في غايـة اختيرت لها من الجمـال والكمـال ، والوانها قد وزعت بشكل عجيب .

ان الحيوان الكامل هو شيء جميل ، وحركاتـه ممتلئة بالسهولة والفخامة ، والوادي الاخضر والنهر ، والاشجار الباسقة ، وقمم الجبال المغطاة بالثلج ، كـل ذلك يحدث في النفس روعة واثرا عظيما ، وان في منظر كثبان الرمال الممتدة في الصحراء المنتشرة فيها لبهجة عظيمــة .

وان جلال تتابع امواج المحيط وانكسارهـا على ارض الشـاطيء ، وتحليق الطير في الجو على البحر او على شاطئه او في الغابة بالوانها الجميلة المختارة ، كـل ذلك يتحدى من له بصر يبصر به وعقل يعقل به ويقدر الامور حق قدرها ، وحركات الحيتان في سهولة ويسر وتموجات نبات البحر تحت المـاء اسفـل تمـلا نفس الانسان بمعنى من الانسجام يستجيب لما يتطلع اليـه ويشتاقه ، والطبيعة اذا لم يغيرها التحريف والتشويه تظهر مستعدة لتثير فينـا اسمى واجل ما في نفوسنـا من الشعور الباطن ، وتوحي الينـا الاعجاب بصنـع الخالق الاعلى الذي وهبنا هذه الهبة من الجمال ، وهي نعمة لايدركها ادراكا كاملا الا الانسـان وحده ، والجمال هو الذي يرفع الانسان وحده الى مرتبة يكون فيهـا قريبـا من خالقـه .

ويظهر ان الغاية واحدة في جميع الاشياء مــن السنن الكونية الكبرى التي تسير العالم باذن الله الى الذرات التي تبنى عليها حياتنا ، ولو لم يكن للتطور هدف غير اعداد مادة لتلقي الروح ، لكان ذلك غرضـا مدهشـا في حد ذاته ، واذا كانت حقيقة الغاية مقبولـة بالنسبة لجميع الاشياء ، وصدقنا ان الانسان هو اهم مظهر لتلك الغاية ، فان الاعتقـاد العلمي بان جسـم الانسـان وجهاز دماغه مادي يمكن ان يكـون صحيحـا تماما ، فان الذرات والهباءات في المخلوقـات المتصفـة بالحياة تعمل اشياء عجيبة وتصنع اجهـزة مدهشة . لكن مثل هذه الاجهزة ستبقى عديمـة الفائـدة الا اذا حركها العقل حركات مقصودة ذات غرض ، اذن فهناك مدبر لهذا الكون لايستطيع العلم ان يحيط بكنهه ، ولا ان ينسبه الى المادة ، ولن يتجرأ العلم ان يقول انــه مادي بل هو الخالق الاعلى الذي لاسبيل الى الاحاطـة بعلمــــه .

تعليقــــات

انتهى هذا الفصل من كلام المؤلـف ، وقبـل ان ندخـل في الفصل الثانـي ينبغـي لنا ان نعلـق على ماترجمناه تعليقا يزيده وضوحا وبيانا :

1) قوله : واذا نظرت فى المجهر ترى تحته اصغر حيوان واصغر زهرة مزدانة بخطوط الجمال المحكم الصنع ، الخ . . مقصود المؤلف بهذا الكلام ان العالم كله من اصغر حيوان لايرى الا بالمجهر الى اكبر مخلوق كالشعرى مثلا ، كل ذلك متحد فى احكام الصنع واتقانه لاترى فيه اختلافا ولا تفاوتا (ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) فوحدة الصنع تدل على وحدة الصانع ؛ وفى الشاهد امثلة كثيرة ، ولله المثل الاعلى ، فاذا رايت كتابا قد خط بخط جميل متشابه فى كمال الحسن متجانس فى اشكال حروفه سواء اكانت فى اول الكلمة ام فى وسطها ام فى آخرها لاترى فيها اختلافا ؛ ولا ينقص جمال بعضها من بعض ؛ تعلم يقينا ان الذي كتب الكتاب شخص واحد ، وانه بذل عنايته وقصد الى تحسين الخط وتجويده حتى جاء آية باهرة فى الجمال ، واذا رايت صورة فى غاية الجمال والتناسق تعرف ان مصورا واحدا هو الذي رسم خطوطها ثم اتمها ، وهكذا يقال فى حدائق الازهار وفى الزرابي الجميلة الثمينة الى غير ذلك من المصنوعات ؛ قال تعالى فى سورة الانبياء منددا بالمشركين الذين ياكلون خيره ويعبدون غيره (20\22) (ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ، لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان رب العرش عما يصفون) قول سبحانه ينشرون اي يحيون ؛ ولا يستحق ان يعبد الا من يحيي ويميت ؛ واما من يحيا ويموت فعبادته من اسفه السفاهات ، وقوله تعالى : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ؛ اي لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله لاختل نظامهما وتباين واعقبه الفساد . وقال تعالى فى سورة المومنين ـ 90 ـ (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) قال فى تفسير الجلالين : اي لو كان معه اله (لذهب كل اله بما خلق) اي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (ولعلا بعضهم على بعض) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سبحان الله) تنزيها له (عما يصفونه به مما ذكر ـ وقال تعالى فى سورة فاطر 41 (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا) يعني ان الله يحفظ السموات والارض كل منهما يدور فى فلكه بغاية الاحكام والاتقان ؛ ولولا حفظه لزالت السموات والارض من افلاكها ؛ ولو زالت لما امسكها احد غيره .

2) قوله : والخطوط البلورية من العناصر والمركبات من ندفة الثلج الكبرى الى اصغر شكل منها تراها متقنة الصنع بشكل مدهش ؛ حتى ان الفنان مهما بلغ فى فنه فليس فى امكانه ان يزيد عليها شيئا وغاية ما يقدر عليه ان يحاكيها او ينتزع منها خطوطا واشكالا فيؤلفها ويجمعها فى شكل واحد ؛ ومن هذا تعلم ان الفنانين مهما بلغوا فى جمال فنهم واحكامه واتقانه انما هم محاكون ومقلدون لصنع الله العزيز العليم ، الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ؛ قال تعالى (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) البقرة 152 .

3) قوله : والجمال هو الذي يرفع الانسان وحده الى مرتبة يكون فيها قريبا من خالقه ؛ يعني ان النظر فى عجائب مخلوقات الله يرفع الانسان وحده دون غيره من الخلائق الى درجة المراقبة ، فيكون قريبا من الله تعالى قرب منزلة ومكانة ؛ ويقرب من هذا المعنى ما ثبت فى الصحيح عن حنظلة : انه لقي ابا بكر الصديق فسلم عليه ابو بكر فرد عليه السلام ثم قال : كيف حالك يا حنظلة ؛ فقال : نافق حنظلة ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : نكون عند رسول الله يذكرنا بالجنة والنار حتى كانا راي عين فاذا خرجنا من عنده عافسنا الازواج والاموال فنسينا كثيرا ؛ قال ابو بكر وانا ايضا اجد مثل ذلك ، فانطلقا الى النبي (ص) فسلم عليه حنظلة فرد النبي السلام عليه ثم قال : كيف حالك يا حنظلة ؟ فقال حنظلة : نافق حنظلة يارسول الله ؛ فقال رسول الله : وكيف ذاك ؟ فقال : نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار حتى كانا راي عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاموال فنسينا كثيرا ؛ فقال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة فى طرقكم وعلى فرشكم ؛ ولكن ساعة وساعة ؛ قوله : عافسنا الازواج المعافسة المصارعة ، والمراد الاستمتاع بهن ؛ وعطف الاموال على الازواج من باب

علفتها تبنا وماء باردا

حتى شتت همالة عيناها

اي علفتها تبنا وسقيتها ماء ، وكذلك يقدر فعل في الحديث اي عافنا الازواج وخالطنا الاموال ، وقوله : لصافحتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم ، معناه ان المؤمن اذا ذكر الله خشع قلبه ولان وصعدت نفسه بالمراقبة الى الملأ الاعلى حتى كانه يشاهده ، كما جاء في الحديث الاخر الذي رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب (ان تعبد الله كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) وهذه الحالة من المراقبة لاتدوم ، لانها لو دامت لعطلت مصالح الجسم وحاجاته ، ولذلك قال النبي (ص) ساعة وساعة : اي ساعة لاداء حقوق الجسد وساعة لاداء حقوق الروح ، وليس الاشتغال بحقوق الجسد من النفاق كما توهم حنظلة .

4) وقوله : لو لم يكن للتطور هدف غير اعداد مادة لتلقي الروح ، لكان ذلك غرضا مدهشا في حد ذاته ، يشير الى اطوار خلق الانسان حتى بلغ الى ما هو عليه فاستحق التكريم بالعقل الذي جعله سيدا وحاكما على غيره من الحيوان والنبات والجماد على حسب رايه وراي من رافقه في التطور .

5) قوله : واذا كانت حقيقة الغاية مقبولة بالنسبة لجميع الاشياء الخ . . معناه يتلخص في ابتداء الخلق وتطوره حسبما يعترف به علماء المادة في حد ذاته امر عجيب يدل على عظمته خالقه ، ولكنه بدون عقل يدبر شؤونه تدبيرا مقصودا يكون عديم الجدوى .

وهذا العقل الذي وهبه الله الانسان يدلنا دلالة قاطعة على ان لهذا الكون مدبرا حكيما عالما قديرا ، ولن يتجرا العلم ان يقول ان ذلك المدبر الحكيم مادة عمياء صماء لا علم لها ولا قصد ولا ارادة .

وقد وصلنا الى الفصل العاشر من الكتاب وهو فصل وحدات الوراثة ، فنقتصر على هذا القدر وموعدنا الجزء التالي بحول الله .

تحديد الكفر والايمان

« الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به ، والايمان تصديقه في جميع ما جاء به ، فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول ، والبرهمي بالطريق الاول لانه انكر مع رسولنا سائر المرسلين والتحق بهم الثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول : فكل كافر مكذب للرسول ، وكل مكذب للرسول كافر ، فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة .

(فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة لابي حامد الغزالي)

النظام الجديد للتعليم والتربية

للاستاذ : ابي الاعلى المودودي

- 2 -

الحاجـة الى خطـوة انقلابيـة :

انـنا اذا كنا نريد ان نصلح الوضع التعليمي فى بلادنا ، فـلا بد لنا ان نخطـو لذلك خطـوة انقلابيـة حـاسمـة .

الحقيقة اننا فى مرحلة من مراحل تاريخنا تلح علينا بان نقضي على كلا النظامين الجاريين للتعليم فى بلادنا ، النظام القديم الديني كمـا يسمى ، والنظـام الجديد الذي انما قام تحت حكم الانكليـز وسيادتهم حسب ما كـانت تقتضيه سياستهـم الاستعماريـة ونبتكر بدلا منهما نظاما جديدا للتربية والتعليم يكـون بريئا مما فى هذين النظامين من النقائص والمعايب ويفي بكل ما لنا فى حياتنا فى هذا الزمان من الحاجات كأمـة مستقلة بامرها مؤمنة بدينها متطلعة ــ مع هذا ــ الى معارج الرقي والازدهار . فهذا النظام الجديد للتربية والتعليم هو الذي اريد ان ابين معالمه واوضح طريقـة وضعه بهذه السطـور :

1 ــ تحديد الغاية : ان اول ما يجب ان نقطع فيه ونفرغ من امره قبل كل شيء آخر فى مرحلة وضع هذا النظام الجديد ، هو تحديد الغاية التي نقصدها بهـذا النظـــام .

لا يقصد بعض الناس من التعليـم الا تحصيـل العلم المجرد فيقولون بانه من اللازم ان لا يلقن الطالب الا التعليم الحيـادي حتى لايدرس مشاكـل الحيـاة ومعاملاتها وحقائقها الا دراسـة عرضيـة objective study ولا يستخـرج منهـا النتائـج الا باستقـلال رايـه ، ولكني اقول ان مثل هذه الدراسة العرضية انما تقوم بها آلات التصوير ولا يستطيع ان يقـوم بها الانسان ابدا ، فان للانسـان وراء عينيه ذهنا له على كل حـال وجهة للنظر ، وله فى الحياة غاية وله ناحية مخصوصة للتفكير فى مسـائل الحياة ، وهو لاينظر ولا يسمع بـه ولا يستجمع فى ذهنه من معلومـات ، الا وانـه لايزال يفرغها فى قالب فكرتـه المخصوصة التي توجـد فيـه كشيء فطري اساسي ، وانه على اساس فكرته هـذه ، يقوم ذلك النظام لحياته ، الذي نسميه « ثقافتـه » . فنحن اذا كانت لنا ثقافة فى حقيقة الامر وكنـا امة لها عقائدها ولها فى الحياة غاية واصول ومباديء ، اذا كنا امة كهذه ، فلا بد لنا اذن ان نربي نشأتنـا الجديـد لان يفهم ثقافتنا ويقدرها حق قدرها ويعمل على الاحتفاظ بها بل على ترقيتها فى المستقبل على اسسـها الاصلية . ان هذه لهي الغاية التي لاجلها تقيم كل امـة فى الارض نظاما مستقلا لتعليمها واني لا اعرف فى الدنيا امـة انما تقيم نظام تعليمها على اسـس عرضية امة لاتلقـن ابناءها الا تعليمـا غيـر مصبوغ بصبغـة ما ولا تربيهم الا محايدين لايقضون بحريـة رايهـم هـل عليهـم ان يعملـوا على حفـظ ثقـافتهـم القـوميـة التـي ورثـوهـا عـن اسـلافهـم ام عليهـم ان يلتحقوا بثقافة اخرى غير ثقافتهم ، كما انني لا اعرف فى الدنيا امة مستقلة تستمد نظامها للتعليم بحذافيره من امة اخرى ، ثم لا تنفك تربي عليه اجيالها المتعاقبة بدون ان تفكـر فى ان تصبغه بصبغة ثقافتهـا . اما ان تختار لنفسـها نظاما وضعته لها امـة غيرهـا ، نظامـا يحقر فى نظر شبانها دينهـا وحضارتهـا وثقافتهـا وتاريخها .... الخ ويطبـع افكارهم وآراءهـم بطابع نظريات اولئك الذين وضعوا لهم هذا النظـام ، فان هذا من اشنع انواع الانتحار لاتكاد تقدم عليه امة ما دامت لها مسكة من العقل والشعور، فنحن اذا كنا واقعين فى هذه الحماقة فى الماضي على ضعف منا وعجز ولكوننا مغلوبين على امرنا ، فـلا معنى لاصرارنـا على الاستمرار فيها بعد ان قد نلنا استقلالنا وصار لنا ان

تقضي بما نشاء في مايتعلق بنظام تعليمنا . انه من اللازم ان تكون غايتنا الآن من وراء التعليم ان نعد افرادا يعرفون حضارتنا القومية - اي ديننا اذ ليست حضارتنا القومية شيئا غير ديننا - معرفة جيدة ويومنون بها ايمانا صادقا ويكونون على احسن علم بمبادئها وعلى اتم يقين بأنها الحق ويتحلون بالسيرة القوية والاخلاق المتينة الموثوق بها على حسب ما تقتضيه هذه الحضارة ، ويكون ، مع هذا ، من الكفاءة العلمية حيث يقدرون أن يسيروا حياتنا الاجتماعية ويعملوا على ترقيتها وفق مبادىء هذه الحضارة .

وجوب محو التفريق بين الدين والدنيا :

والامر الثاني الذي يجب ان لا نغفل عنه كمبدا اساسي لنظامنا التعليمي ، والذي يجب ان ننهض عليه هذا النظام ، هو ان نقضي على ما يوجد فيه اليوم من التفريق بين الدين والدنيا ، . الحقيقة ان هذا التصور للتفريق بين الدين والدنيا ، انما هو تصور مسيحي او هو من البوذية والبرهمية والرهبانية ولا علاقة له بالاسلام ابدا ، فسنكون مسرفين في الخطا اذا قبلناه في نظامنا للتعليم او المدنية والدولة . اننا لانقول ابدا بان يكون لنا نظامان مختلفان : نظام لتعليمنا الديني ونظام لتعليمنا الدنيوي او المدني ، بل الذي نقول به - على العكس من هذا - هو ان يكون تعليمنا دينيا ودنيويا معا في وقت واحد ، دنيويا على اعتبار ان نفهم الدنيا ونتأهل لتسيير كل شؤونها ، ودينيا على اعتبار ان لانفهم الدنيا الا بوجهة نظر الدين ولا نسير جميع شؤونها الا وفق تعاليمه وتوجيهاته . ليس الاسلام بدين يسمح لنا بان نسير شؤون الدنيا كيف ما نشاء ونرتضي ونكتفي بأن نجعل عددا من العقائد والعبادات تكملة لها في حياتنا . كلا ، ان الاسلام ما كان مقتنعا في الماضي وما هو بمقتنع اليوم بأن يكون مجرد تكملة للدنيا في الحياة الانسانية ، بل الذي يريده الاسلام هو ان يكون رائدنا ومرشدنا في حياتنا ومنهاجا وحيدا لاعمالنا وتصرفاتنا في جملة شؤونها . انه لا يتكلم عن الملا الاعلى فوق الدنيا فحسب ، بل يبحث كذلك في مسائل الدنيا ومشاكلها كلها ويبين لنا حقيقة هذه الدنيا ولماذا جئنا اليها وما هي الغاية لحياتنا فيها وما هي مكانتنا الحقيقية في ملكوت السماوات والارض وما هي المبادىء التي يجب علينا ان نتبعها فيها . وهو يقول للانسان ان هذه الدنيا مزرعة الآخرة ، فكل ما ستناله في الآخرة انما يتوقف على ما تزرعه في هذه الدنيا ، ولهذا فانه يعلم الانسان كيف يقوم باعمال الزراعة في هذه المزرعة حتى ينال ثمراتها في الآخرة شهية مرضية . فكيف لدين هذا شأنه ان يرضى بأن يكون عندنا نظامان للتعليم : نظام للتعليم الديني ونظام للتعليم الدنيوي او بأن نضيف الى تعليمنا الدنيوي البحت تعليما دينيا كتكملة. بل هو يقتضي ان لا يكون التعليم عندنا في جملة مراحله الا من وجهة نظر الدين ، فاذا درست الفلسفة فلا تدرسها الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون فيلسوفا مسلما ، واذا درست التاريخ فلا تدرسه الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون مؤرخا مسلما ، واذا درست العلوم التجريبية science فلا تدرسها الا بوجهة نظر الاسلام حتى تكون عالما scientist مسلما ، واذا درست العلوم الاقتصادية ، فلا تدرسها الا كما يجب ان يدرسها المسلم حتى تتأهل لأن تصبغ نظام الاقتصاد لبلادك في قالب الاسلام وتصبغه بصبغته ، واذا درست العلوم السياسية ، فلأن تكون اهلا لتسيير نظام الحكم في بلادك وفق مبادىء الاسلام واحكامه وتعاليمه ، واذا درست القانون فلأن تحكم بين الناس حسب ما قدم الاسلام من المعيار للعدل والانصاف وهكذا وهكذا **فان الاسلام يجب ان يمحو التفريق بين الدين والدنيا في السياسة التعليمية ويجعل التعليم من المدارس الابتدائية الى الكليات والجامعات دينيا بحتا ، فلا تبقى لنا بعده من حاجة الى نظام للتعليم الديني مستقل عن هذا النظام الشامل ، بل ان جامعتنا وكلياتنا هذه هي التي ستخرج لنا الائمة والمفتين وعلماء الدين وهي التي ستخرج لنا السكرتيريين والمديرين والعمال لادارة الحكومة القومية .**

تقويم الاخلاق وتشكيل السيرة :

والامر الثالث الذي يجب رعايته بصفة خاصة في النظام الجديد الذي نريد وضعه للتعليم ، هو ان يكون فيه الاهتمام بتقويم الاخلاق واصلاح السيرة اكثر من الاهتمام بالعلم الكتابي ، لأن تدريس الكتب وتلقين الطلاب المعارف والفنون المجردة لا تكاد تكفي في ما نحن بصدده ، بل الذي نحتاج اليه قبل كل شيء آخر هو ان يكون كل واحد من شباننا متخلقا بالاخلاق الاسلامية القوية وتكون وجهته للنظر والفكر اسلامية

خالصة سواء أكان عالما scientist او ماهرا في العلوم الاجتماعية او كان لايزال تحت الاعداد لوظيفة من الوظائف الحكومية . من الواجب ان يكون هذا من الغايات الاساسية لسياستنا التعليمية ، لأن شخصا اذا لم يكن في نفسه متحليا بالاخلاق الاسلامية فانه لاينفعنا ابدا مهما يكن عليه من العلم الكتابي والكفاءة الفنية المجردة .

الخطة العملية :

واني بعد ان قد اوضحت لكم هذه الامور الاساسية البدائية احب ان ابين لكم بكل تفصيل ماذا يجب ان يكون من الخطة العملية لاقامة هذا النظام الجديد وتنفيذه :

التعليم الابتدائي :

لناخذ بالبحث قبل كل شيء آخر التعليم الابتدائي الذي هو بمثابة الاساس لبناء هذا النظام .

ان لكم ان تدرسوا في هذه المرحلة من التعليم كل ما تدرسونه اليوم في مدارسكم الابتدائية من مباديء العلوم ، كما انه لا بأس بأن تستفيدوا بهذا الصدد مما قد تم او سيتم في المستقبل من التجارب عن التعليم الابتدائي . على ان هناك اربعة امور يجب ان تقرن بكل ما يدرس في هذه المرحلة التعليمية من مباديء العلوم .

1 ـ العمل على ان يلقى في روع الطالب ويرسخ في ذهنه بغير اسلوب واحد ان هذه الدنيا التي نعيش فيها جزء من مملكة الله الواحد القهار ومظهر من مظاهر قدرته وبديع متعه ، وانه ليست منزلتنا فيها الا منزلة خلفاء الله لا يعملون ولا يجوز لهم ان يعملوا الا وفق مرضاته تعالى ، وان كل ما فيها من شيء وديعة من الله اودعناها للاستمتاع والاستفادة ولذا فاننا مسؤولون امامه سبحانه وتعالى عن هذه الوديعة ، وانا حيثما سرحنا النظر في هذا الكون وجدنا ايات الله مبثوثة في كل مكان تدل على ان لهذا الكون الها يحكمه ويتصرف في شؤونه كيف يشاء . نحب ان نعرف الطالب ـ منذ أن يدخل في المدرسة الاولى الى المرحلة الاخيرة من مراحل تعليمه في المدرسة الابتدائية ـ بالدنيا على وجه يرسخ في ذهنه هذه الاساسية في كل درس من دروسه ، حتى انه لا يتعلم بالهمزة ، الاسد ، بل يتعلم بها « الله »

لان هذا ما ينشئه منذ يوم دخوله في المدرسة على الفكرة الاسلامية ويعده اعدادا اسلاميا بحيث انه عندما يفرغ من آخر ما يكون من مراحل التعليم ويدخل في معترك الحياة فان هذا الاساس سوف لا يزال يعمل فيه .

2 ـ العمل على ان يرسخ في ذهن الطالب على طريق واحد في كل مادة من مواد تعليمه حتى في اسئلة الرياضي ، ما للاسلام من التصورات والقيم الخلقية ، وان تنشأ في قلبه المحبة والاشتياق الى ما يشيد به الاسلام ويدعو اليه من المعروفات والحسنات والنفرة والاشمئزاز مما جاء الاسلام لمحوه واستئصال شأفته من السيئات والمنكرات . ان الذين يرتشون اليوم من المسلمين ويقترفون الخيانة والغش والخداع وما اليها من الاخلاق الرذيلة الاخرى ، كلهم متخرجون من هذه المدارس والكليات التي تدرس فيها دروس الاسد والببغاء والبقرة والقرد ولكن لا تدرس فيها دروس الاخلاق العالية ، فتريد ـ على العكس من الوضع الحالي ـ ان تكون دروس الاخلاق الاسلامية هي اللحمة والسدى في كل ما يدرس الطالب في مدارسنا وكلياتنا من العلوم والفنون ، حتى تتذكى في قلبه منذ صغره عاطفة النفرة من الرشوة والارتشاء والاثرة والسرقة والتزوير والغش والخداع واخلاف الوعد والخيانة والخمر والميسر والقمار والظلم والعدوان وسلب حقوق الناس وما الى ذلك من العادات المستقبحة الاخرى ، كما اننا نحب ان نعمل على ان نكون في الطلاب رأيا عاما اسلاميا خالصا حتى يتنفروا بانفسهم من كل شخص يجدون فيه اثرا لهذه العادات القبيحة بل حتى يكون من شأنهم اذا وجدوا احدا ممن تخرج معهم يرتكب احدى هذه العادات القبيحة والاعمال الشنيعة ، ان يندووا به علنا ويطيلوا فيه لسان اللوم والتأنيب وينكروا عليه ما ياتي من الاعمال بدلا من ان يسكتوا عليها او يشجعوه عليها تشجيعا . وكذلك اننا نريد بالنسبة للحسنات التي يبتغي الاسلام تنشئتها في الانسان ، ان تبين في الدروس ويرغب فيها الطلاب ويثنى عليها ويشاد بنتائجها الحسنة باستخراجها من وقائع التاريخ وتؤكد مناقعها من جهة العقل وكيف ان هذه الحسنات منشودة للانسانية وكيف ان فيها صلاحها وفلاحها . يجب ان يحبب الى الطالب منذ بداية سنه الصدق والاخلاص والوفاء بالعهد والعدل والانصاف ومعرفة الحق والمساواة والاخوة والايثار والتضحية والشعور بالواجب والمحافظة على حدود الله في اكل

الحلال واجتناب الحرام وتقوى الله تعالى في السر والعلانية ، وان يعمل على تنشئته على هذه الاوصاف الجميلة بالتربية العملية ايضا .

3 ــ العمل على ان ترسخ في ذهن الطالب اثناء التعليم الابتدائي الحقائق الاساسية التي يجب بها الايمان في الاسلام ، واما اذا اقتضى ذلك ان يكون هناك منهاج مستقل لتعليم الدين ، فلا بأس بوضعه ؛ ولكن لا ينبغي الاكتفاء بهذا المنهاج وحده ، بل يجب ان توزع هذه الحقائق الواجب الايمان بها كروح سار في سائر المواد للتعليم .

انه مما يجب أن تعمل على تحقيقه عملا متصلا ان ترسخ في ذهن كل طالب بكل قوة الاعتقاد بالتوحيد والاعتقاد بالرسالة والاعتقاد بالآخرة والاعتقاد بحقانية القرآن وببطلان الشرك والالحاد ، وكل ذلك على طريق لا يشعر معه الطالب بان هذه الامور انما هي دعاو فارغة وتحكمات مجردة تفرض عليه فرضا ؛ ولكن يشعر بانها حقائق ثابتة عن الكون وانها اقرب ما يكون للعقل وانه من اللازم أن يتعرف عليها الانسان ويؤمن بها ايمانا وان حياته لا تزكو بدون الايمان بها ابدا .

4 ــ ان يلقن الطالب ما يؤهله لقضاء حياته وفق تعاليم الاسلام واحكامه ، فيعرف ــ في هذا الصدد ــ بكل تلك المسائل الفقهية التي يجب ان يكون على معرفة بها كل طفل ــ و طفلة ــ في عشر سنين من عمره ــ باحكام الطهارة والوضوء وطريق اداء الصلاة والصيام والحدود الابتدائية للحلال والحرام وآداب الحياة الاجتماعية ــ فكل هذه امور يجب ان يعرفها على وجه اجمالي كل طالب مسلم قبل ان يتجاوز عشرا من سني عمره ، ولا يحسن الاكتفاء ببيانها له فحسب بل يجب ان يعمل على ارساخها في ذهنه بحيث يشعر بان هذه الاحكام هي التي كان من اللازم والمستحسن ان تفرض عليه وانها على الحق فلابد له أن يلتزمها في حياته لتكون طاهرة زكية .

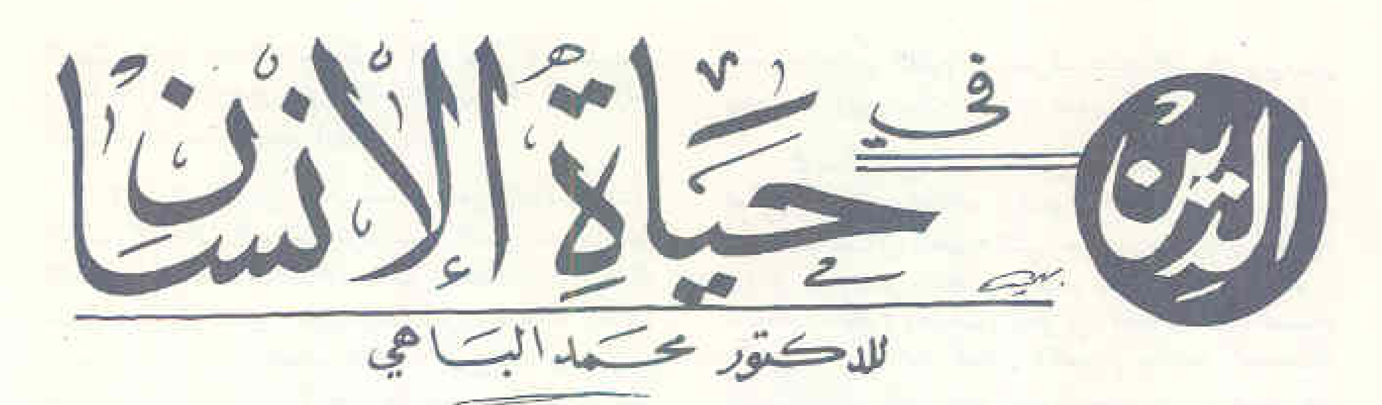
(يتبع)

تعاريف

علم الفقه : هو الذي به يقتدر الانسان على ان يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده على الاشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير .

علم الكلام : وهو ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والافعال المحددة التي صرح بها واضع الملة .

« احصاء العلوم لابي نصر الفارابي »



تطور الانسان من حياة الغابة والغاب الى حياة المدنية ، تطور من حياة القوة المادية ، وتحكيمها فى فض الخصومات واستقرار الاوضاع ، الى الالتجاء الى القانون فى الفصل فى النزاع وتحديد العلاقات .

فالنقطة الاولى التي منها بداية الحياة الانسانية كانت الغلبة عن طريق العصبية فى الاسرة والقبيلة والكثرة العددية فى الجماعة . والنقطة التي تسود حياة اليوم هي موازين العدل الانساني التي تمثلها فكرة القانون البشري . وبين هاتين النقطتين فى تطور الحياة الانسانية ، كان الدين ، وكانت الفلسفة : كل منهما مثل الدور الاول فى فترة معينة فى تاريخ الانسانية ، ولم يزل يمثل دورا ما الآن .

انتهت مرحلة الغاب بسيطرة الدين ؛ ثم نازعت الفلسفة سيادة الدين ، ثم قيض للقانون ان يشترك فى الصراع بين الدين والفلسفة فى توجيه الانسان ، واصبحت فى حياة الانسان المعاصر ثلاثة اتجاهات ، تتنازع اولا البقاء بينها ، ثم يحاول بالتالي كل واحد منها ان يسود فى تقرير مصير الانسان . اصبح الدين ، والفلسفة ، والقانون ، للانتهم جميعا هي المصادر التي يحارب بعضها بعضا من اجل البقاء والسيادة . والفرق بينها يتركز : فى ان الدين ينسب الى الله المعبود ، بينما الفلسفة والقانون كلاهما يعد من صنعة الانسان .

اما غاية كل واحد من الثلاثة فلا تكاد تختلف عن غاية الآخر : فالدين يهدف الى توضيح الطريق الذى يرى فيه سلامة البشرية فى التعايش معا . والفلسفة تحاول ذلك ، والقانون بدوره يقوم على حفظ الحال التي تراها الجماعة الخاصة ، أو المجموعة الدولية ، كفيلة بصيانة التعايش المشترك ، والتعاون المثمر .

ولكل مصدر من هذه المصادر التوجيهية نفر خصص وقته وحياته لتوضيح القيمة الذاتية للمصدر الذي ينتسب اليه ، على اعتبار انه وحده كفيل بالتوجيه السليم وبتحقيق الغاية المرجوة فى حياة الجماعة الانسانية : للدين طائفة تبين مزاياه ، وللفلسفة طائفة توضح مزاياها ، وللقانون طائفة تحرص على بيان مزاياه فى التوجيه العام .

الدين قد يصبح فلسفة ، وقد يصبح قانونا وتشريعا

الدين قد يصبح فلسفة اذا حاول العقل الانساني ان يبرر ويعلل مبادئه من الوجهة النظرية العقلية . فليست الفلسفة الا التعليل العقلي للموجود . فاذا علل الموجود من مبادىء الدين ، فقد دخلت هذه المبادىء فى نطاق العمل الفلسفي .

وقد يصبح الدين ايضا قانونا اذا اخذ فى تطبيق مبادئه على احداث الحياة وسلوك الانسان ، ووصفت الاحداث ، او وصف السلوك الانسانى بانه يطابق تلك المبادىء . وعندما يؤخذ فى تطبيق مبادىء الدين على احداث الحياة وسلوك الانسان ، لايكتفي فى التطبيق بحكم مجرد عن التعليل . بل لابد من التفقه ، وشرح المبادىء نفسها ، ثم شرح النوع الملائم وغير الملائم لها من احداث الحياة وسلوك الانسان . فهذا التفقه او هذا الشرح هو القانون الذي ينتزع من الدين .

والدين اذا اصبح فلسفة ارضى رجال العقل والفلسفة . واذا اصبح قانونا جذب اليه رجال الفقه والقانون . ومع انه يمكن ان يصبح فلسفة ، فانه

لايتحول الى فلسفة كتلك التي انشأها الانسان بصنعته العقلية باديء ذي بدء . ومع انه ايضا يمكن ان يصبح قانونا ، فانه لايتحول الى قانون كهذا الذي شرعه الانسان ووضعه بتقديره الخاص منذ البداية . بل تبقى لفلسفة الدين ، وقانون الدين ، خصائص الدين او طابعه العام . وخصائص الدين او طابعه العام انه موحى به من الله ، وان على الانسان ان يؤمن به ، وان يطيعه في غير تردد ، وفي غير شك ، عليه ان يرضى به رضاء نفسيا ، وان لم يدرك كل اسراره وعلله ، لانه من الله الذي يختلف عن الانسان ، وفوق الانسان ، هو من صاحب الامر ، وصاحب الرعاية العامة ، والذي لا يستطيع الانسان ان يحدده ويدرك حقيقة ذاته عند ما يتصوره .

والفلسفة قد تصبح عقيدة ، وقد يصبح القانون عقيدة ايضا ، ولكن اذا اصبحت الفلسفة او القانون عقيدة ، فانه لايصير الى طبيعة الدين السابقة ، وانما يصير الى طبيعة التقليد او « العرف » في الجماعة ؛ لا يصير احدهما الى طبيعة الدين لانه صنعة الانسان وسيبقى كونه من فعل البشر مصاحبا له في صيرورته. وانما يصير فقط الى طبيعة التقليد ، او طبيعة العرف في الجماعة من حيث انه واجب الاتباع . فقد اصبح عندئذ من المتوارث والمالوف في الجماعة .

واذن هناك فرق جوهري بين الدين من جانب ، والفلسفة والقانون من جانب آخر . هناك في جانب الدين ، كونه من الله ، وهنا في جانب الفلسفة او القانون كون كل واحد منهما من الانسان . واذا طلب الدين من الانسان ان يفعل الخير ، وناشدت الفلسفة ، او هدف القانون في تطبيقه الى الخير في فعل الانسان ، فالفرق مع ذلك باق بين الدين من جانب ، وبين الفلسفة والقانون من جانب آخر ، اذ مطلوب الدين — وهو فعل الخير — قائم على انه من هداية الله ، بينما مطلوب الفلسفة او القانون يرجع الى انه من تأمل الانسان .

وهنا تنحصر الموازنة بين الله والانسان في تحديد الخير ، ورسم طريقه ، وتحديد الجزاء الذي يناط بفعله او تركه : والله باعتبار انه رب الجميع ، ومستغن عن الجميع ، ومستعل على الجميع — يحدد الخير بما فيه مصلحة الجميع ، ويرسم طريقه ، بما يكون ميسرا للجميع ، ويحدد الجزاء على فعله وتركه ، بما يناسب اثر هذا الخير في صالح الناس جميعا ، ويلتئم مع طبيعة انفسهم القابلة .

وليس لله غرض ، وليست له حاجة قريبة او بعيدة في تحديد الخير الذي ينصح باتباعه . وكذلك لم يتاثر باي مؤثر في هذا التحديد . ولانه يعلم طبيعة البشر حق العلم ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . يكون فيما يرسمه لطريق الخير ، متفقا تمام الاتفاق مع امكانيات هذه الطبيعة ، كما يكون تحديده الجزاء ملائما كل الملاءمة لنفع هذه الطبيعة من فعل الخير ، ونفعها ايضا من تجنب الضرر الذي نهى عنه .

اما الانسان في فلسفته وتقنينه فهو محدود بالبيئة ، ومحدود بالوراثة ، وبنوع الثقافة ونوع المعرفة ، فانسان القرية غير انسان المدينة في ادراكه للحياة وتعبيره عنها . وانسان الاسرة الصالحة غير انسان الاسرة التي عاشت في الانحراف او الاجرام في تصوره القيم الاخلاقية والروابط الاجتماعية . والانسان الجاهل في تصوره واعتقاده غير المستنير في ادراكه وفي ايمانه . وانسان المعرفة من نوع خاص غير انسان المعرفة من نوع آخر ، فالطبيب غير المهندس ، وكلاهما غير صاحب الثقافة الزراعية ، وجميعهم غير رجال المحاسبة وهلم جرا ....

واذا كان محدودا بهذه المصادر فهو منفعل بها ، وتنعكس هي بالتالي في سلوكه ، وفي تفكيره ، وفي تحديده للحياة واهدافها . هو وليد هذه العوامل الثلاثة . فما يصدر عنه في اي جانب ، في التصرف والسلوك ، او التفكير والحكم ، يكون تبلورا لهذه العوامل الثلاثة . وعليه ، فانسان صاحب الفكر الفلسفي . في تحديد الخير ، ما هو ؟ يتاثر بحياته الخاصة والعامة . وكذلك الشأن في رسم الطريق لتحصيل الخير ، ومن هنا تجد بين الفلاسفة تحديدات متنوعة للخير ، وكثير منها يناقض بعضه بعضا ، كما نجد رسمهم لطريق تحصيل الخير ، لايقل اختلافا في التحديد ، عن تحديدهم الخير نفسه .

نجد من بين الفلاسفة من يفهم الخير على انه مالاءم المصلحة الشخصية . وتبعا لذلك : الانسان نفسه مقياس الخير . هذا الانسان يرى الخير في تحصيل المتعة البدنية ، وان صاحبها اغتصب ما يملكه غيره ، او ترتب على تحصيلها انتهاك حرمة غيره .

وذاك الانسان الآخر يرى ان الخير في عزلة الناس والبعد عنهم ، وفي عزلة هذه الحياة عامة ، والاعتكاف عن ملذاتها وعما يتنافس فيه الناس من متعها .

فبمقدار ما يندفع الاول الى تحصيل متع هذه الحياة ، التي يراها متعا من زاوية وجوده الشخصي ، بمقدار ما يقف الثاني موقفا سلبيا من هذه المتع ؛ والانسان الاول هو الانسان الشخصي او الوجودي ؛ والثاني هو الزاهد البرهمي (او الصوفي) .

وبينما نجد بين الفلاسفة ايضا من يحدد الخير ، بانه ما اصاب منفعته اكبر عدد ممكن من الناس ، وهو الفيلسوف المثالي ، اذا بنا نجد فيلسوفا آخر يحدد الخير بانه : ما اصاب منفعته الجماعة الخاصة به او بامته وهو الفيلسوف الواقعي .

نجد من بين الفلاسفة من يرى ان الغاية تبرر الوسيلة ، فان توقف تحصيل المنفعة على الوشاية والمؤامرة ، او على القتل جزافا وجملة ، او انتهاك العرض ، فالوسيلة مشروعة : فحرب الابادة في الجزائر مثلا عمل مشروع في نظر المستعمر الفرنسي لانه سيؤدي الى تمكين استعماره هناك من استغلال ثروة البلاد الجزائرية الاقتصادية والبشرية . فتمكن الاستعمار غاية ، وهي غاية مشروعة لصالح الاستعمار الفرنسي فالوسيلة لهذا التمكن الاستعماري مشروعة كذلك . وتأخذ مشروعيتها من النفع المرتقب . واذ نجد مثل هذا الميكيافللي ؛ نجد فيلسوفا آخر ينصح بعمل الواجب لذات الواجب ، بعمل ما يجب على الانسان لصالح نفسه وصالح جماعته وصالح الانسانية ، دون ترقب جزاء عليه ، ودون ترقب ثناء ادبي او مكافأة مادية ، وهذا هو الفيلسوف الواجبي .

نرى من الفلاسفة من ينصح بافناء الفرد في الجماعة ، فتكبت حرية الفرد ، ويصادر ملكه ، ويجبر على تصرفه لصالح الجماعة التي هي الامة . فالحياة اذا للجماعة لا للافراد . ثم نرى في مقابل هذا فيلسوفا آخر يرى أن الجماعة يجب أن تكون في خدمة الفرد ، وان تعمل في سبيل سعادة الفرد . فللفرد حريته في التجارة وفي الاقتناء وفي ابداء الراي وفي العقيدة وفي التمذهب بالمذهب الذي يراه في حياته . له ان يعيش في ظل عرف المجتمع وعاداته وله ان يخرج عن هذا العرف . وهذه العادات . وسيان ، بعد ذلك فقر غيره ، او شقوته ، او جرح عواطفه ، واحساساته . والراي الاول يعرف بالمذهب الاجتماعي او الاشتراكي ، والثاني يعرف بمذهب الحرية الفردية .

هذه امثلة لاختلاف الفكر الفلسفي ، واختلاف المذاهب الفلسفية . ويرجع هذا الاختلاف الى كون الفكر محدودا ، بحياته الخاصة والعامة .

وفي القانون لا يختلف الامر عنه في الفلسفة . لان التقنين يقوم على اسس وفكر فلسفية . يقوم على نظرة المشرع (والمشرع هو الدولة في العصر الحديث) الى الحياة . ونظرة الدولة الى الحياة تختلف باختلاف نظام الدولة نفسها :

هذه دولة شيوعية لها قانون يحفظ الوضع الشيوعي بين أفراد الامة . وهذه دولة راسمالية لها قانون يصون الحرية الفردية الى ابعد حد في استخدام راس المال . وهذه دولة اشتراكية اجتماعية لها قانون ودستور يحدد علاقة الافراد بالدولة والدولة بالافراد ، على اساس من الفكرة الاشتراكية الاجتماعية ، وهي رعاية العدالة الاجتماعية بين الطبقات . وهذه دولة ملكية ، يقوم قانونها على صيانة العرش وتقديسه . وهذه دولة جمهورية يقوم قانونها على تأكيد حقوق الافراد في الوصول الى رياسة الجمهورية .

هذه جماعة يهودية يقوم قانونها على رعاية التقاليد والعادات والمعتقدات اليهودية في الاحوال الشخصية وتحديد العطلات السنوية وانواع المأكول والمشروب ، والطريقة التي يتناول بها الاكل والشرب ، الى غير ذلك في الحياة العملية .

وهذه الجماعة مسيحية ، او بوذية ، او وثنية ، او اسلامية ، لابد ان يتضمن قانون كل منها تقاليدها الخاصة وعاداتها ، ومعتقداتها التي لها وحدها .

واذن سبب هذا الاختلاف في الدساتير والقوانين هو كون الانسان « محدودا » كذلك . ومن هنا نشأ في القانون ما يسمى بالقانون الخاص ، وما يسمى بالقانون العام . والقانون الدولي مع ذلك يغلب عليه طابع التحيز للدولة القوية وعاداتها وغاياتها ، واهدافها في الحياة .

وكذلك المؤسسات الدولية ، كعصبة الامم سابقا والامم المتحدة في حاضرنا ، فان قوانينها وان اتسمت بالطابع الدولي العام ، فانها تقوم وتهدف الى تحقيق غايات الدول الكبرى ، وهي الدول القوية ؛ فعصبة الامم كانت وسيلة مشروعة من الوجهة القانونية لتحقيق استعمار الدول الضعيفة أو الصغيرة عن طريق الامم الكبرى . وما جاء به قانونها مما عرف بـ

« الانتداب » او « الوصاية » على بلد ما لدولة كبرى هو نموذج عملي على تحقيق غايات الدول العظمى باسم القانون العام ، وهذه الغايات هي استذلال واستغلال الدول الصغرى لحساب الدول الكبرى ، هي انتقاص لحياة الشعوب الضعيفة لرفع مستوى حياة الشعوب القوية .

وهيئة الامم المتحدة القائمة ليست الا صورة مكررة لعصبة الامم السابقة في قانونها ؛ وفي اهدافها ، ولذلك يوم ان را ت بعض الدول الكبرى في الماضي القريب ، أن مصالحها الاستعمارية لم تتحقق — لان اغلبية الدول الاعضاء في هذه الهيئة عارضت هذا الجشع الاستعماري — اعلنت انها لم تعد صالحة للفصل في القضايا الدولية ، والمشاكل بين الشعوب . ويتجلى هذا في مشكلة قناة السويس في نوفمبر سنة 1956 . .

ولان الفلسفة نشات عن محدودية الانسان ، ولان القانون نشأ على هذا النحو ايضا — كانت الخصومة المذهبية طابعا للفلسفة ، وكانت المفارقات الواضحة في القوانين الخاصة ، وللتفسيرات المتباينة للقانون الدولي العام ، ظاهرة مصاحبة للقانون الوضعي .

يضم الى هذه النتيجة — وهي ان الله غير محدد وغير محدود فيما يوحي به لصالح البشرية وان الانسان على عكس ذلك — شيء رئيسي آخر يلحق الفلسفة ، ويلحق القانون . وهو أن من يتبع المذهب الفلسفي ، او من يجب عليه أن يطيع القانون ، يسير في اتباعه ، وفي طاعته ، على اساس ان ما يتبع وما يطاع هنا ليس الا صنعة البشر . ومعنى ذلك ليس فيهما عصمة ، وليس فيها توكيد للحق والعدل . ان هو الا ظن انسان ، قد اخلص فيما أتى به من صنعة فلسفية ، او قانونية ، وهذا الشعور لدى التابع او المطيع يؤدي الى عدم التحمس في التزام التبعية ووجوب الطاعة . او يؤدي الى توقيت التبعية ، وتوقيت الطاعة ، ومن شان هذا التوقيت التراخي في السير نحو هدف المذهب الفلسفي ، ونحو غاية القانون . وبما ان هدف الفلسفة، وغاية القانون ، هي الحرص على فعل الخير ، ففعل الخير سيصير حتما الى التوقف ، كلما كثر التراخي في التبعية والطاعة ، اما للمذهب الفلسفي او القانون :

فمحدودية الانسان اذن عيب في الفلسفة والقانون .

وصنعة الانسان في الفلسفة والقانون ايضا سبيل الى عدم العصمة .

وعدم العصمة سبيل الى التراخي في التبعية والطاعة .

والنتيجة ان قوة الفلسفة ليست في ذاتها ، بل في تكرار الدعوة اليها .

وقوة القانون ليست في ذاته ، وانما في السلطة القائمة على تنفيذه .

اما الدين فقد خلا من هذين العيبين ، فالله بعيد عن المحدودية ، وبعيد عن الخطا ، فقيمة الدين اذن ، بالنسبة للفلسفة والقانون ، قيمة ذاتية .

ويوم يستحيل الدين الى فلسفة او قانون ، فهناك امكان لعودته الى دين مجرد عن الفلسفة والقانون . طالما مصدره الاصيل مصون عن التحريف والتبديل . وعندئذ تبقى له قيمته الذاتية ، كدين ، ومعنى ذلك ان الخطر الذي يلحق الدين بصنعة الانسان ، يمكن ان يبعد عنه ، بابعاد تلك الصنعة عن ان تاخذ قداسته ، وعصمة اصوله .

وهناك شيء آخر ، وراء عصمة الوحي في الدين ، ووراء عدم محدودية الله في رسالته للبشر ، مما يتميز به الدين عن الفلسفة والقانون .

هناك في الدين ايضا ضمير الانسان الذي ينشأ عن الخشية من الله ، وهو بمثابة السلطة التنفيذية للقانون ولكنها سلطة تنفيذية ذاتية ، وليست خارجة عن ذات الانسان صاحب الضمير الديني .

اما المتبع للقانون فانه يتبعه لسلطان الدولة المشرفة على تنفيذه . وعندئذ اذا خفت رقابة الدولة زال اثر القانون ، وانكمش وجوده بالتالي . وهنا في دائرة القانون يحتاج الامر الى شيئين معا : الى نص القانون ، والسلطة التنفيذية ، بينما في دائرة الدين يتوقف الامر كله على الانسان المعتقد وحده .

اما الفلسفة ، فلانها لا تصحب برقابة خارجية ، ولا تكون ضميرا ولا رقابة داخلية فشأنها في الحياة العملية أهون من القانون واخف . ومن ثم تكون اشد هوانا في مواجهة الدين .

هذا حديث عن الدين ، والفلسفة ، والقانون في حياة الانسان بوجه عام، ومنه يتبين أن الدين لهمكانته الاولى في حياة الانسان ، وفي توجيهه . انه مصدر توجيه لا يخضع لنقص « التجديد » ولا لاحتمال « الخطا » ولا الى وجود السلطة التنفيذية . ورقابتها المباشرة ، ولذلك يقول الشيخ محمد عبده : « فالناس متفقون على ان من الاعمال ما هو نافع ، ومنها ما هو ضار ، وبعبارة اخرى منها ما هو حسن ، ومنها ما هو قبيح . ومن عقلائهم ، أهل النظر الصحيح والمزاج المعتدل فيهم ، من يمكنه اصابة وجه الحق في معرفة ذلك ، ومتفقون كذلك على ان الحسن ما كان أدوم فائدة ، وان كان مؤلما في الحال ، وان القبيح ما جر الى فساد في النظام الخاص بالشخص ، او الشامل له ولمن يتصل به ، وان عظمت لذته الحاضرة ، ولكنهم يختلفون في النظر الى كل عمل بعينه اختلافهم في أمزجتهم ، وسجيتهم ومناشئهم ، وجميع ما يكتنف بهم . فلذلك ضربوا الى الشر في كل وجه ، وكل يظن انه انما يطلب نافعا ! فالعقل البشري وحده . ليس في استطاعته ان يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياة » (1) .

ويقول ايضا :

« لهذا كله كان العقل البشري محتاجا في قيادة القوى الادراكية ، والبدنية ، الى ما هو خير له في الحياتين ، الى معين . . وذلك المعين هو النبي » (2) .

ويقول كذلك في شأن الامم :

« العقل وحده ـ في القانون ـ لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعادة الامم ، بدون مرشد الهي . كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها ! بل لا بد معها من السمع لادراك المسموعات مثلا . كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه على العقل من وسائل السعادات . والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة ، وتصريفها فيما منحت لاجله ، والاذعان لما تكشف له من معتقدات، وحدوث اعمال » (3) .

(يتبع)

1) رسالة التوحيد ص 48 . 2) رسالة التوحيد ص 51 . 3) رسالة التوحيد ص 82 .

من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

« اوصاني ربي بتسع اوصيكم بها :

بالاخلاص في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر ، وان اعفو عمن ظلمني ، واصل من قطعني ، واعطي من حرمني ، وان يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرة » .

« اذا كان امراؤكم خياركم ، واغنياؤكم سمحاءكم ، وامركم شورى بينكم ، فظهر الارض خير لكم من بطنها ، واذا كان امراؤكم شراركم ، واغنياؤكم بخلاءكم واموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها »

ـ حديث شريف ـ



يتضمن هذا المقال ان الشورى اصيلة في الاسلام مذكورة في القرءان وسنة الرسول مع بيان اولي الامر ومهمتهم ، واصول الدولة الدستورية في الاسلام . وتخصيص الشورى بمصالح الامة الاجتماعية بحيث لا يتناول موضوعها الاصول الاعتقادية والاحكام الثابتة في القرءان وسنة النبي المتواترة .

من المعلوم عند كل من له المام بالدين الاسلامي وتاريخه العظيم انه انشأ للعرب حياة جديدة ورباهم تربية عالية ، فجمع قلوبهم حول عقيدة التوحيد ، بعد ان كان الشرك وعبادة الاصنام والاوثان هو المذهب الشائع في انحاء العالم ، وشرع لهم في معاملاتهم شريعة معينة كاملة الاصول ، ذات مبادىء قيمة ، تكفل العدالة ، وتبسط الاحسان في المجتمع ، وتربط بين افراد المسلمين بروابط المودة والتراحم والتعاطف ، والتعاون على البر والخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فطبع الاسلام الامة العربية اولا بطابعه الخاص ، وهيأها بعقيدته وتشريعاته وآدابه لتؤدي رسالته العظيمة بين مختلف الامم والشعوب ، حتى تكونت من شتى الشعوب الاسلامية تلك الخلافة الانسانية العظمى الرحيمة التي لايزال صداها يملأ العقول وبطون التواريخ مدى الدهور بعظمة ومجد الاسلام .

ولا ينكر احد عاشر الامم التي اعتنقت الاسلام او قرأ عنها ، اثر الاسلام الظاهر في مختلف نواحي حياتها ، وقد استمرت تلك الصلات والمميزات تربط بين الامة ودينها العظيم قرونا وقرونا ؛ واذا ذهبنا مذهب الباحثين في نفسية الشعوب الذين قرروا ان قانون كل امة ماخوذ من نفسيتها واعرافها وتقاليدها مهما تطورت ، توصلنا الى نتيجة واحدة هي ان الشعب المغربي المسلم العربي لابد ان يكون قانونه ودستوره العام يمت باوثق الصلات وامتن الروابط الى اسلامه الذي انشاه وساير حياته قرونا كثيرة حتى طبع نفوسه بعقيدته ، وحياته بشريعته ، وميوله باخلاقه وآدابه واعرافه وتقاليده ، وهذه الاوصاف الايمانية هي صبغة الله لهذه الامة المغربية ؛ وعن تلك النتيجة التي تفرض ان يكون دستور الامة متصلا بشعور الامة عبر صاحب الجلالة الراحل محمد الخامس نور الله ضريحه حيث قال : ان الدستور المغربي سيستمد من القرآن الكريم .

وغرضنا من هذا التوجيه ان نثبت ان تشريع القرءان كان ولا يزال هو التشريع العملي الذي يريده الشعب المغربي المسلم ويطمئن اليه ويرى تطبيقه خير طريق لاصلاح الاوضاع في البلاد سواء منها الدينية والسياسية والتشريعية والاجتماعية ؛ فالتشريع القرءاني العظيم في امة اسلامية مثل امتنا المغربية قد ثبتت له خاصية الوصول الى وجدانات القلوب المسلمة ، وتحكيمه هو خاصية ايمان المومنين كما قال الله : « فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

اي انهم يرضون قضاءه الناتج عن تحكيمهم للرسول في قرارة نفوسهم وتحكيم الرسول هو تحكيم شريعته التي هي كتاب الله وسنة رسوله وسنة خلفائه

الراشدين من بعده ، وقد امر الله نبيه بمشاورة اصحابه بقوله : « وشاورهم فى الامر » . ومدح الصحابة باعتماد الشورى بينهم بقوله سبحانه : « وامرهم شورى بينهم » كما ساق فى قصص القرءان قصة مشاورة ملكة سبا لملاها وجماعتها حيث قال عز وجل : « قالت يا ايها الملا افتوني فى امري ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد والامر اليك فانظري ماذا تامرين » الى آخر المحاورة .

فقد امر الله نبيه الكريم بالشورى ومدح المتصفين بها وحكى كيفية تطبيقها فى امة متصفة بها فى موضوع الكفاح من اجل السيادة القومية ، او الاستسلام لدولة اجنبية وذلك فى محاورة ملكة سبا مع ملاها فدل كل ذلك دلالة واضحة على ان الحكومة الشورية اصيلة فى الشرع الاسلامي كما دل الحديث النبوي على انها هبة ورحمة من الله لامة محمد (ص) ووسيلة من وسائل رشدها ، وذلك ما حصل لهذه الامة الاسلامية وقت تكونها منذ ما يقارب اربعة عشر قرنا قبل تشريع اوربا وتشدقها بهذه الديمقراطية الخليعة المزيفة ، او بمنزل عنها على الاقل ، فقد اخرج المحدث البيهقي فى كتابه شعب الايمان بسند حسن عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) اما ان الله ورسوله لغنيان عنها (اي عن المشورة) ولكن جعلها الله رحمة لامتي ، فمن استشار منهم لم يعدم رشدا ، ومن تركها لم يعدم غيا . انتهى الحديث ، وانا نريد ان نقول بلسان فصيح لبعض الباحثين الذين يصفون الحكومة الاسلامية بوصف المستبدة نقول لهؤلاء ان الحكومة المستبدة لا وجود لها فى التشريع الاسلامي وانما يتفرد بالاستبداد من فعله ، وان ملوك الاسلام بايعتهم رعيتهم على اساس العمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وقد ذكرنا بعض ما فى الكتاب والسنة من موضوع الشورى وكل المغاربة يعلمون ان تولية ملوك المغرب كانت تحصل على ايدي علماء الدين وبواسطتهم ويسجل فيها بكل وضوح انها على كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يزال المغاربة يذكرون قول ملكهم العظيم الراحل فى كل مناسبة : (ان المغرب دولة اسلامية) ، وان المغاربة ليفخرون بملكهم الذي وفقه الله لاقامة الحكم فى مملكته على اساس الدستور القائم على الشورى التي هي ركن مهم من التشريع الاسلامي وان رد حق الشورى لرعيته المسلمة لمأثرة عظيمة عزيزة الوجود ، فقد غصب الامويون والعباسيون منذ قرون هذا الحق من الامة الاسلامية اثر زمان الخلفاء الراشدين حتى ان الخليفة العادل الراشد عمر بن عبد العزيز لم يستطع رغم ما بذله من جهد اقامة هذه الشورى لكثرة عصبية بني امية عليه ، فكفى ملكنا شرفا وفخرا انه ظهر ناصحا امينا للشورى الاسلامية ونجما متالقا فى زمن قل فيه الملوك الناصحون ، ونشير الآن الى اساس تكوين الحكومة الاسلامية ومجال عمل اولي الامر فيها وموضوعات هذه الشورى الاسلامية فى الاسلام فنقول:

ان الامة فى طور انتقالها تكون فى اشد الحاجة الى الحكومة الاسلامية ومجال عمل اولي الامر فيها تيارات من التدهور والالحاد والانحلال ، فتحتاج الامة الى من يعرفها اصول الفضائل ويبين لها شدة الحاجة للمحافظة على مقومات الامة ومقدساتها التي تتكون منها اهم الروابط الاجتماعية . وكذلك تشتد الحاجة الى الجماعة المخلصة الموجهة اذا كانت الامة راغبة فى حياة عالية من النهوض ورفع مستواها الخلقي ، الذي يعتمد الايمان بالله وبحقها فى الحياة ، لتصل حاضرها الزاهر ؛ بتاريخها المجيد ، وماضيها الباهر ، حتى لاتضل الامة فى مجموعها الطريق السوي ، او ترتع المرتع الوبي ، فتصاب بنكسة او تلتبس بخسة ، اذ القافلة فى حالة السير تحتاج الى الدليل الخبير ، يسلك بها اقرب الطرق الى الغاية ويجنبها مسالك المهالك والغواية .

ولعل الجماعة الموجهة التي وصفنا مزاياها هي جماعة اولي الامر التي تتفهم الاوضاع بالعقول الراجحة وتوجه الجمهور فى السبيل الواضحة ، لاجل ذلك امر الله العامة برد الامور اليها فى وقت الالتباس لانها اقعد بمعرفة اوجه الاستنباط والقياس ، فقال الله تعالى : « واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » . وفائدة هذا الاستنباط هو العمل به وهذا المعنى يحملنا على فهم السر فى قرن طاعة اولي الامر فى آية اخرى بطاعة الله وطاعة رسوله ، كما قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » . فذكرت الآية الامر بالطاعة فى جانب الله وجانب الرسول ولم تذكره فى جانب اولي الامر اشارة الى استقلال طاعة الله وطاعة رسوله اما طاعة اولي الامر فهي بالتبع دون الاستقلال بمعنى انهم اذا خالفوا امر الله وامر رسوله يقع التحاكم الى الله ورسوله ولذلك ورد بعد هذه الآية فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول .

اما موضوع الشورى ومجالها فعمل أولي الامر في امور العقيدة والعبادة والاحكام المتواترة في الاسلام هو الامر بالقيام بها وتطبيقها وتنفيذها فقط .

ولكن مجالهم في الاجتهاد للنوازل غير المنصوصة ؛ ويتسع مجال عملهم في مصالح الامة الاجتماعية ورفع مستوى الامة في الشؤون الدنيوية حتى تعيش سعيدة وتتبوأ مكانة العزة بين الامم التي جعلها الله للمؤمنين . بشرط ان يكون عمل اولي الامر مماشيا لعدالة الاسلام روحا ومعنى ، وقد تكلم الامام محمد عبده في جماعة اولي الامر فقال : انه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد فانتهى به الفكر الى ان المراد باولي الامر جماعة اهل الحل والعقد من المسلمين وهم الامراء والحكام والعلماء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء اذا اتفقوا على امر او حكم وجب ان يطاعوا فيه ؛ بشرط ان يكونوا منا وان لا يخالفوا امر الله ولا سنة رسوله التي عرفت بالتواتر، وان يكونوا مختارين في بحثهم في الامر واتفاقهم عليه ، وان يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لاولي الامر سلطة فيه ووقوف عليه ، واما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به اهل الحل والعقد ، بل هو مما يوخذ عن الله ورسوله فقط ؛ ليس لاحد راي فيه الا ما يكون في فهمه . انتهى كلامه .

وهذا المعنى الذي ذكره الشيخ محمد عبده سبق اليه سعد الدين التفتازاني حيث قال في شرح المقاصد وتنعقد الامامة بطرق احدها بيعة اهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس . وانما زادها الشيخ عبده توضيحا وشرح مجالها

ومن هنا تنتقل الى الحكومة الاسلامية الدستورية فان المسلمين يعتقدون ان نصب امام للمسلمين واجب ديني توحيدا للسلطة المنفذة في شخص واحد مستجمع لشروط الكمال حتى ترتفع مكانته في قلوب رعيته اما بقية الولاة فانما هم نوابه ولذلك كانت تعميم الولايات وتعيين اختصاصات اي نوع منه منوطة به .

قال الشيخ رشيد رضى رحمه الله ان الآية السابقة مبينة : اصول الدين وشريعته والحكومة الاسلامية وهي : الاصل الاول : القرءان الحكيم والعمل به هو طاعة الله تعالى ــ الاصل الثاني سنة رسوله (ص) والعمل بها هو طاعة الرسول ؛ الاصل الثالث ، اجماع اولي الامر ، فبينهم ، ثم قال : الاصل الرابع ؛ عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والاحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة ، وذلك قوله تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » ، فهذه الاصول هي مصادر الشريعة ولا بد من جماعة يقومون بعرض المسائل المتنازع فيها على الكتاب والسنة .

ثم قال رحمه الله ويجب على الحكام الحكم بما يقرره اولو الامر وتنفيذه ؛ وبذلك تكون الدولة الاسلامية مؤلفة من جماعتين او ثلاث .

الاولى جماعة المبينين للاحكام الذين يعبر عنهم اهل هذا العصر بالهيئة التشريعية .

والثانية جماعة الحاكمين والمنفذين وهم الذين يطلق عليهم اسم الهيئة التنفيذية .

والثالثة جماعة المحكمين في التنازع ويجوز ان تكون طائفة من الجماعة الاولى .

على أنني قد وقفت على ملاحظات على القانون النظامي للزعيم سعد زغلول رحمه الله جاء فيها فيما يخص الشورى قوله : ومعلوم ان الشرع (اي الاسلامي) لم يجيء ببيان كيفية مخصوصة لمناصحة الحكام ولا طريقة معروفة للشورى عليهم ، كما لم يمنع كيفية من كيفياتها الموجبة لبلوغ المرام ، فالشورى واجب شرعي، وكيفية اجرائها غير محصورة في طريق معين فاختيار الطريق المعين باق على الاصل من الاباحة والجواز ، كما هو القاعدة في كل ما لم يرد نص بنفيه او اثباته ؛ انتهى .

واننا بصفتنا امة عريقة في الاسلام نرجو الله من كل قلوبنا أن يوفق واضعي الدستور لتحقيق رغبة صاحب الجلالة الملك الراحل محمد الخامس اسكنه الله فسيح جناته بوضعه على الاسس الاسلامية الصحيحة ليقوي روابط هذه الامة ويحمي وحدتها ويمنعها من الانحلال والاهواء المضرة وكل الافكار الهدامة ، والله ولي التوفيق .

منهاج محمد عبده في الإصلاح الإسلامي

للأستاذ: عبد السلام الهراس

-2-

كـــان من الضروري ان نتناول بشيء مـن التفصيل منهاج الشيخ جمال الدين الافغاني حتـى نتبين مدى استقلال شخصية محمد عبده بالنسبـة لاستاذه الذي كان له الاثر القوي في توجيهه . (1)

ان محمدا عبده كان شخصية ذات تركيب نفسي خاص فيها اعتدال ولكنها قابلة للتطرف احيانا ؛ فيها مرونة الى حد ما ، وتكره المغامرات العنيفة ؛ خلاف استاذه جمال الدين ، ان عبده كان يريد الاصلاح بعد أن رأى المأساة الاسلامية المفجعة والتهتك الاجتماعي السائد ، واستغلال القوي للضعيف ، واستحكام المؤامرات الاستعمارية ، واختلال الحياة السياسية ، وانحراف السلطة عن تطبيق الشريعة وقواعد العدل ، وتخلف الفكر ، والروح ، واليد ، في حين شاهد في الجانب الآخر ــ جانب اوربا قوة جبارة ، واشعاعا فكريا ، وتماسكا قويا ، مع ان دينهم ليس من طبيعته ان يحث على ذلك . . غير ان الفكرة الاصلاحية لم تكن اول الامر خطوطا مستقرة تطمئن اليها نفسه ؛ وتتحسس لها جوارحه الى ان اتصل بجمال الدين الذي اكتشفه من بين مريديه اذ لمح فيه الاستجابة العميقة والتجاوب المفعم بالوعي والاخلاص ؛ والاستعداد الكامل لتحمل مسؤولية القيادة الاصلاحية مع جمال الدين وبعده ؛ غير ان محمدا عبده لم يشأ ان يكون نسخة مكررة من استاذه ، بل اراد او ارادت له طبيعته الخاصة ان يكون نموذجا آخر في ميدان الاصلاح ، وعلى الرغم من هذا ؛ فقد كان لاستاذه سلطة روحية عليه نفاذة ، وكان يملك التأثير فيه وحمله على اتباع ما ينهجه من طرق للاصلاح ، ولهذا كان يشاركه في السير في طريق السياسة وشؤون الاحزاب والمطالبة باصلاح نظم الحكم ، ومناوأة العروش وذوي السلطة من المستبدين المعارضين للاصلاح ، فيظهر عبده بمظهر الثائر الساخط ، فيدعو مثل استاذه للثورة ؛ ويسلك مسلكه في الدعوة السياسية ؛ ولكنه يستفيق بعد حين من غفوته ، ويتخلص شيئا فشيئا من تأثير استاذه ، فيراجع فكره ؛ ويستجيب اخيرا لطبيعته الهادئة التي تملي عليه طرقا ووسائل تختلف عن تلك التي كان يسير على مقتضاها، تلك الطرق التي لا تكلفه لجاجة ؛ ولا تستثير عليه حكومة ؛ ولا تدفعه الى استعمال عنف او التحريش عليه ، مخالفا بذلك استاذه الثائر الذي يثور حتى على ملوك اجانب ، وينصحهم باشراك الشعب في الحكم ، ولا يبالي بعواقب كلامه الناري .

كان محمد عبده يدرس « المشكلة » غالبا مجردة من تلك العواطف الهائجة التي تثير كوامنها الحوادث المؤلمة ، والاوضاع القائمة التي تسود العالم الاسلامي، ولطبيعته الدور الفعال في اتخاذه هذا الموقف ، كما ان التجارب التي مرت بـه ، وفشل الاسلوب السياسي ؛ ومستوى المجتمع الذي يعيش فيه ؛ كل ذلك ساهم ايضا في تكوين رأيه الذي استقر عليه ، مخالفا بذلك استاذه جمال الدين .

نعم انه كان اول امرء ممن يرون قيام نظام ديمقراطي برلماني وذلك قبل الثورة العربية ، وقد اعلن

(1) نشر القسم الاول من هذا البحث في العدد الرابع من المجلة

مع بعض اصدقائه دعوته الى تغيير النظام السياسي الذي كان قائما آنذاك وانشاء جمهورية مصرية صغيرة . وهو الذي قام بتحرير برنامج الحزب الوطني المصري الذي اسس سنة 1882 ، ولكنه عدل عن اعتباره المطالبة بتغيير الحكم وسيلة لتغير المجتمع ، ولم يعد يؤمن بان الكلام في المجالس والكتابة في الجرائد يكفيان في اخراج الانجليز ، اذ لابد من السير في الجهاد على منهاج الحكمة والدأب على العمل الطويل (ولو لعدة قرون) ولهذا لم يكن من رأيه الثورة على الحكومة ، وكان يناهض عرابي ويندد به وباخوانه وما ذلك الا لخوفه ان تقضي مثل هذه الحركات الثورية على عمله الاصلاحي الذي ابتداه بالتعاون مع رياض باشا ، كما ان من شان تلك الثورة ان تقضي على اي اصلاح تقوم به الحكومة او تنوي القيام به ، ولذلك فقد دفع به الحرص على الاصلاح في جو من الهدوء الى ان يتعاون مع الحكومة وان ينخرط موظفا محررا في « الوقائع المصرية » كما كان يخاف من ان يتخذ الاستعمار تلك الثورة ذريعة الى التدخل السافر في شؤون مصر ، خصوصا والشعب لم يكن معدا اعدادا كاملا لمواجهة العدوان الخارجي ، والثورة من « فوق » معرضة للخطر ما دامت لا ترتكز على وعي شعبي يسندها وتستمد منه الصمود والتحدي والاستمرار في طريق واضح مرسوم ، والثورة الواعية ــ التي كان يمكن لمحمد عبده ان يؤيدها ــ تكون منبثقة عن رغبات الشعب وارادته ، حاملة في طبيعتها فكرة شاملة للقضاء على اسباب الانحطاط والاخذ بوسائل الحضارة والتقدم ، ولكن ثورة عرابي كان ينقصها كثير من عناصر النجاح ، وكان ما توقعه محمد عبده ، فما كادت تندلع الثورة العرابية حتى وجد الانجليز الفرصة الذهبية للوثوب على الفريسة بصفة شرعية ، تلك الفريسة التي كان يهيء لها منذ امد طويل ، ولم يكن عرابي مدركا حقيقة الخطر ، اذ لو كان يعلم ذلك لما اقدم على الثورة بكل سهولة ، والغريب ان قنصل فرنسا المسيو اولا كان متصلا بعرابي كما اتصل به مسيو دليس الامر الذي يؤكد ان فرنسا كانت ظهيرة لانجلترا في احتلال مصر واقتطاعها من جسم الرجل المريض ، ويقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله عن عرابي : وانما فهم بعد خراب البصرة انه لاينبغي لاحد ان يثق بفرنسا ولا باحد من رجالها . والذي نلاحظه هنا هو ان محمد عبده رغم كرهه للثورة ومعاداته لها ، فاننا نجده قد شارك فيها ، ويعلل احمد امين ذلك بان المسائل لاتجري على المنطق وخاصة ايام الثورات ، غير اني ارى غير هذا الراي ، فمحمد عبده كان يريد ان تتحرر مصر ، وكان يستبعد هذا التحرر عن طريق الثورة او المطالبة بالمجالس النيابية طفرة ، والشعب لا يتمتع بتربية وطنية واعية ولا يسوده راي عام منبثق عن عناصر نفسية متينة ، وكان مع هذا يبغض الاستعمار ويراه معوقا لكل اصلاح ، ويخاف منه على كيان المسلمين ويتوقع منه الغدر ، فلما وقعت الثورة وانقلبت الى ثورة عامة ، راى ان الواجب الشرعي يحتم عليه ان لايقف مكتوف الايدي ازاء هذه الكارثة ، فوقف بجانب الثورة يهاجم الاستعمار واعوان الاستعمار من الخونة الذين تآمروا على هذا الوطن . ومن هنا نرى ان الدافع له الى مؤازرة الثورة كان دافعا منطقيا تفرره عقيدة محمد عبده وشعوره بالواجب . كما ان مناوأته للثورة قبل اندلاعها كان منطقيا ، فهو لم يكن يعادي الاصلاح المعقول ، وانما يكره الطيش والمغامرات في ظروف دقيقة لاتسمح بقيام ثورة او حدوث عصيان او مقاومة ، وانما تقتضي كثيرا من الحكمة والحذر . وكان محمد عبده صريحا في رايه في الثورة ، فلقد كان جمال الدين وعرابي يريدان الثورة ، ومحمد عبده يرى الاهتمام بالتربية والتعليم وبالاصلاح التدريجي وتدريب الاهالي على تحمل مسؤوليات الحكم . واذا كان محمد عبده يستند الى فكر عميق يستخلص النتائج ويستبطن الامور ويعي الظروف حق الوعي ، فان عرابي كان يستند على الخيال وعلى وعود سلطان باشا الذي كان محركا من لدن الاستعمار ليقوم بدور الثائر المورط ، ولكن ماذا يفعل محمد عبده والاجانب قد هاجموا البلد ، واصبحت الحرب بين المسلمين والكفار ؟ اذن فليقف بجانب اولئك الذين عارضهم بالامس ، وليس ذلك اقتناعا بمبدئهم ولا اختلالا في منطقه نظيرا للحركة الفجائية الثورية ومهاجمة العدو ولكن ايمانا بوجوب الدفاع عن المسلمين الذين كتب عليهم ان يمشوا هذه الخطى .

قلنا انه لم يكن من راي محمد عبده المطالبة بحكومة ديمقراطية نيابية وسيلة للاصلاح او غاية له ، اذ لابد قبل ذلك من اصلاح ضمائر الامة واشاعة الوعي السياسي بين افراد الشعب حتى يكونوا اهلا لهذه الحكومة الديمقراطية « والا كان ذلك كتمكين القاصر من حق التصرف » وكان يعد المطالبة بهذا النوع من الحكم من اخطاء العقلاء ، ولا يصح ان يفوض الشعب في امر مصالحه وهو لايستطيع ان يدرك كنه

تلك المصالح او المحافظة عليها ، وقد تبين بعد ان « الديمقراطية » التي اقيمت اساسا للحكم في مصر ، كانت وسيلة طيعة في يد الاستعمار للتلاعب بمصالح الشعب ، وطريقة للنهب والاحتيال من طرق خفية من محترفي السياسة ، فاحدثوا في الشعب المصري الفرقة ، ووسعوا شقة كل خلاف ، واستغلوا الحزازات في سبيل كرسي حكم هزيل يجود به المستعمرون على اصحاب الالقاب الفخمة ، حتى انقذ الله البلاد على يد الثورة المباركة التي ارجعت للعرب والمسلمين بعض كرامتهم .

وكان محمد عبده ينعي على اولئك الذين يظنون ان مجرد التقليد لاوربا في مظاهرها وانظمتها كفيل بترقيتنا وجعلنا في مستواها ، دونما نظر في الاسباب والوسائل التي توصل بها الاوربيون الى الحالة التي هم عليها . ان بداية التقدم الاوربي في الحقيقة كان في نفوس الشعب وافراد الرعايا ، اي ان التقدم لايكون الا بتغيير في النفس لا بتغيير في المظهر الخارجي ، فالقوانين يجب ان توضع حسب طبيعة كل شعب وتقاليده واخلاقه وعقيدته ومستواه العام ومصالحه وتاريخه « فلا يجوز حينئذ وضع قانون طائفة من الناس لطائفة اخرى تباينها في درجة العرفان او تزيد عليها فيه ، لانه لايلائم حالة افكارها ولا ينطبق على عوائدها واخلاقها ، والا اختل نظامها والتبس عليها سبيل الرشد ، وحسبت الصحيحة فاسدة والصواب خطأ وحرفت الاوضاع وبدلت وغيرت فيقلب عليها دواء غيرها داء » وكان يتاسف لهؤلاء الذين يحثون المسلمين على تقليد اوربا في اشكالها ومظاهرها ، حتى ان بعضهم امعن في التقليد وغالى في التنافس واشتط في التشبه الى حد مزر ، في حين كان اسلافه يتنافسون في اكتساح البلاد وتملك الحصون وتلقين اصول الحضارة للعالم .

ويضرب مثلا لحالتنا فيقول : « ان مثلنا كمثل الدجاجة رات الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فاجهدت نفسها في ان يكون ذلك ، غير عارفة ان وقوعه لايكون الا باستعداد ، اي بان تكون اوزة فجبت نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشق منها ما انشق وتمزق منها ما تمزق » فهو يرى ان تقليدنا لاوربا يجب ان يكون في الاسباب وفي المناهج التي تقوم عليها المدنية لا ان نكون سوقا نافقة وزبائن مخلصين في الاسراف والتبذير بالنسبة لمنتوجات اوربا واشيائها ، فنفتتن بتلك الاشياء ونقيمها مقام المدنية الحقيقية التي تستدعي البناء لا التكديس حسب تعبير استاذنا مالك ، ان مدنية اوربا بدات بتغيير في النفوس فلتكن مدنيتنا كذلك) اما التقليد فان اقل اخطاره يخفي الحقائق ويستر العيوب ويعوق عن التقدم وينفي الشخصية .

ولم يكن رفض محمد عبده للدعوة الديمقراطية كما كان يريدها معارضوه بدافع رجعي او نفعي تمليه عليه مصالح طبقة من الطبقات او جهة من الجهات ، بل كان صادرا عن تجربة واختبار ، انه كان يرى شعبه ينخر الجهل اوصاله ويفتت الفقر كيانه ، ويحمل كثيرا من الامراض النفسية والعقلية التي افرغتها في نفسه القرون المظلمة السابقة ، فقيام نظام ديمقراطي في شعب متداعي الاخلاق متضارب الارادة والاهداف لا يغير من الواقع ، بل قد يزيد الحالة سوءا ، اذ يمكن اصحاب الاطماع من العبث بالحكم وقتل الوقت في المهاترات والسخافات . لانه لايعادي النظام الديمقراطي في ذاته ولكنه يحاربه اذا كان في شعب لايعرف قيمته وليس مستعدا للقيام بدوره ومسؤوليته وللوصول الى هذا المستوى « لابد من قرون تبث فيها العلوم ، وتهذب العقول ، وتذلل الشهوات الخصوصية ، وتوسع الافكار الكلية ، حتى ينشا في البلاد ما يسمى بالراي العام ، وبذلك نصل الى مستوى ديمقراطي سليم كمستوى امريكا ، وعند ذلك نستحق ما تستحق امريكا » وكان يرى ان الذي يسعى لخير البلاد يجب ان لايهتم بغير اتقان التربية والتعليم ، فتتبدل بذلك النفوس وتتغير بالتالي الحياة ، وبالتدريج والتمرين يصل الشعب الى حقوقه دونما ثورة او هياج او عنف. وهنا نلاحظ ان محمدا عبده وضع يده على مكمن الداء، حيث رآه في النفس لا في المظهر ، ولكن هل يسمح الفساد لمحمد عبده او لغير محمد عبده ان يضع برنامجا صالحا في التربية والتعليم لتتبدل النفوس وتتغير الحياة لا

لفساد الحكم وفساد القائمين به سرطان يسري حتى للتربية والتعليم ويفسد كل شيء ؛ ومن يضمن لمحمد عبده وضع او استمرار تخطيط تربوي ؛ ان (القرون) التي لابد منها لاتحل المشكلة ما دام الحكم فاسدا ، وما اظن ان محمدا عبده كان يعارض الثورة المصرية الحديثة خصوصا وقد كانت خالية من الدماء والفتن اذا استثنينا بعض الحوادث ، كان يحبذها اذن كما يحبذها كل مسلم مومن بالله حق الايمان ، على كل حال كانت افكار محمد عبده صائبة في نطاق تجربته وظروفه التي كان يعيشها وليس من الصواب في شيء ، ولا من الحق ، ان ندرس فكرته هذه على ضوء ظروفنا ومستوانا ، فلعله كان يغير بعض رأيه في الوقت الحاضر .

وكان يعجب للطبقة « المثقفة النابهة » من المسلمين كيف ضلت سبيل الاصلاح لما حصرت كل همها في السياسة ، واهملت الطريق السليم الذي يبنى عليه كل شيء، وهو ايضا كل شيء ويعني « التربية » وكان يرى أن السيد جمال الدين الافغاني — وهو ذو اقتدار عجيب — لو استغل عبقريته وحرارة ايمانه في التربية لانتج انتاجا عظيما ، ولايمانه بان التربية والتعليم هما الوسيلتان الوحيدتان والمثليان لايجاد امة صالحة قوية كان يرى انه لابد من مستبد عادل يقوم بهذا الدور في الفترة التي ما تزال الامة فيها كالقاصر لاتحسن التصرف ولا تدري ما لها من حقوق وما عليها من واجبات .

اذن فلم يكن يرى في « السياسة » الطريق الذي يحقق للمسلمين غايتهم لانها طريق سطحي حيث يعتمد على التغيير الخارجي ، وملتو ومؤذ ؛ ولذلك استحقت السياسة ومشتقاتها اللعنة منه ومن قوله فيها : ما دخلت السياسة في شيء الا افسدته ... فان شئت ان تقول ان السياسة تضطهد الفكر او الدين . فانا معك من الشاهدين .

وقد تعرض بسبب موقفه هذا الى التهديد والتقول من طرف بعض الساسة والكتاب والعسكريين على السواء ، كما انه اصطدم باستاذه جمال الدين عندما اشار عليهم ان يسلكوا طريق التربية والتعليم وان يتركوا طريق السياسة والثورة لانها فشلت . وليس معنى هذا ان محمدا عبده ظن ان الاصلاح السياسي يمكن ان يتم بمعزل عن الاصلاح الديني والعلمي ، وانما كان يومن بان الاصلاح السياسي يجب ان يسبقه اصلاح ديني ؛ وان امر الحكومة والمحكوم ثمرة تجنيها الامة من غرس تغرسه وتقوم على تنميته السنون الطوال ، فهذا الغرس هو الذي ينبغي ان تعنى به الآن ؛ ومن هذا النص نرى ان عبده كان يومن بان الاصلاح السياسي لايتم بمعزل عن الاصلاح الديني، وانما هو متصل به ناتج عنه او يجب ان يكون كذلك... نعم ترك للاقدار ان تحل مشكلة علاقة الحاكم بالمحكوم ولكن ليس معنى هذا انه لم يكن يرى ان السياسة بمعزل عن الدين كما راينا .

وقد يكون لطبيعته الهادئة اثر في ان ينحو هذا المنحى في دوره الاصلاحي كما يرى السيد رشيد رضا ؛ ولكن الذي اراه ان التجارب التي عاناها وشاهدها في حياته الاصلاحية اثرا في توجيهه هذه الوجهة من الاصلاح ، فان تتابع الاحداث السياسية في مصر ، لم يكن من شانه ان يمكن الاستاذ الامام من البقاء على آرائه السياسية الاولى ، ولهذا (اقلع عنها وتجاوزها بعقله الى ما هو ادق منها من النتائج) وقد كان نفيه لبيروت فرصة يخلو فيها لنفسه يفكر في علل هذا الشرق تفكيرا هادئا ولعله ازداد ايمانا بان العدول عن السياسة واجب وانه لابد من اصلاح على اساس من العقيدة الصافية والاخلاق الفاضلة والتعليم الشامل والطريق الذي كان محمد عبده يحاول سلوكه — لو انه كان يجمع بين الفكر والعمل — كان طريقا يمليه عليه الواقع ، وهو ايضا طريق طويل شاق ، لانه يكافح الانحطاط في العقول والفساد في النفوس وذلك هو ما تتجنبه السياسة وتخطئه (وهو على صعوبته وبطء نتائجه فانه اوثق واعمق وابقى اثرا) .

ومما تقدم نستطيع ان نقول ان راي محمد عبده في الاصلاح كان هو وجوب نشر التعليم المقارن بالتربية أي التعليم الذي يكون اداة طيعة في يد الضمير الاسلامي ومتى وجدت تربية اخلاقية اسلامية وعلم فان المسلمين لاشك سيسترجعون قوتهم ويواصلون الى العزة والقوة والكرامة .

ولاهتمام محمد عبده بالتربية والتعليم كان لايدع فرصة تمر دون ان يغتنمها ليقدم اقتراحا او لائحة لاصلاح التعليم ولايجاد تربية اسلامية ، ففي اثناء اقامته ببيروت نراه يقدم لشيخ الاسلام بالدولة العثمانية لائحة اقترح فيها برنامجا عاما لتعليم المسلمين عامة وتثقيفهم ، ومما جاء في شأن تعليم الموظفين : انه اذا ذكر في التاريخ الوجوه السياسية كانت تابعة للفرض الديني ثم تبسط فيه ... اسباب التقدم الاسلامي بادق مما كان في السابق والغاية من ذلك التدريس هي اشراب القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون للملة وجهة يقصدونها باعمالهم ، وبهذا يتضح انه كان يريد بالتعليم والتربية خلق امة ذات ارادة قوية واحدة ، يهدفون اليها جميعا باعمالهم ؛ ذلك ان الامة الموزعة الارادة — كما كانت على عهد محمد عبده — لاتستطيع النهوض ولا المقاومة بل هي اضعف من ان تكون ذا كيان مهاب قوي ... وكان يقصد من اصلاح التعليم والتربية ان يحيي الملة التي كادت تموت والعياذ بالله حسب تعبيره

وعندما رجع من المنفى آلى على نفسه ان يطلق السياسة وقد راى أن مشروع « العروة الوثقى » قد فشل وان الثورة العرابية جرت على البلاد شر مصيبة تصاب بها امة فقرر ان يتفرغ للتربية والتعليم ، ونراه يقدم لائحة اخرى للتعليم — وهي اللائحة الثالثة — ومما جاء فيها قوله : لايمكن للفرد ان يكون صالحا الا اذا كان ذا وجدان صالح يصدر عنه شعوره وارادته ، واذا كان الشعور والارادة فاشلين ، كانت الاحلام طائشة والاهواء متحكمة .

محاسبة النفس

« على العاقل مخاصمة النفس ومحاسبتها ، والقضاء عليها ، والاثابة والتنكيل بها ... وعلى العاقل ان يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الاخلاق وفي الاداب ، فيجمع ذلك كله في صدره او في كتاب ، ثم يكثر عرضه على نفسه ويكلفها اصلاحه ، ويوظف ذلك عليها توظيفا من اصلاح الخلة والخلتين والخلال في اليوم او الجمعة او الشهر ، فكلما اصلح شيئا محاه ، وكلما نظر الى محو استبشر ، وكلما نظر الى ثابت اكتأب » .

« الادب الصغير لابن المقفع »



- 2 -

للأستاذ : محمد كمال شبانه

دواعي الترجمة وجوازها شرعا

من المعلوم ضرورة ان الله تعالى بعث رسوله الكريم الى العالمين بشيرا ونذيرا ؛ ليخرج الناس من الظلمات الى النور . فالاسلام دين العالم الانساني ؛ لقوله تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » وقال تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وقوله صلى الله عليه وسلم « وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » والقرآن الكريم هو آية الله الكبرى التي انزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم الى الخلق اجمعين ، انزله بلسان عربي غير ذي عوج ، وندب الذين يقومون بالامر ان يبلغوه للعالم ما وسعهم الجهد وما استطاعوا الى ذلك سبيلا ؛ فهو امانة كلفهم المولى اداءها والقيام بحقها ، ومن حقها على العباد نشرها في انحاء العالم ، وفي كتمانها تحقيق للوعيد الشديد في قوله تعالى « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

وقد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها اساليب قضت بها سنن الاجتماع ، وقد افادت المسلمين هذه الاساليب في اول عهد فدخلت في الاسلام امم برمتها ، ولم يمض عليها قرن واحد حتى بلغ عدد اتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

« ولكنا في عهد اصبح فيه اقل الناس فيه شانا يحسب لنفسه وجودا ادبيا واستقلالا ذاتيا وحرية غير محدودة في الانتقال من دين الى دين » .

ومن هنا كان لزاما على الامة الاسلامية ان تقوم بنشر دينها على اساس مكين ومصدر متين ؛ وهل هناك اساس امكن ومصدر امتن للدعوة الاسلامية من القرآن ؟ كلا ثم كلا ، فهو عنوان الحنفية السمحة لترغيب الناس فيها واعتناقهم لها ومعرفتهم بالاحكام السماوية والشرائع الالهية .

وبعد فهل لنشر الاسلام في انحاء المعمورة ان يتعلم الناس في العالم لغة القرآن الى الحد الذي يمكنهم من فهم النصوص الدينية ، وحينئذ يتعرفون الاحكام الاسلامية من نصوصها الاولى وذلك متعذر ؛ فان التفكير في الاديان ومحاولة معرفتها بتعلم لغاتها الخاصة ليس مما تتجه اليه اذهان الدهماء ، ولا يكون عادة الا من افذاذ العلماء ، فليس من الوسائل العلمية الموصلة الى المقصود ام ان نشره في العالم بـ (1) «ان يتعلم جماعات من المسلمين لغات الامم الاخرى الى الحد الذي يمكنهم من نشر مبادىء الاسلام بين تلك الامم بما يستطيعون من خطابة وكتابة وترجمة للاصول الدينية » ؟

الحق أن هذا هو الطريق المستقيم والمسلك العادي الميسور لنشر المبادىء ، وان لنا في نشر الامم لحضاراتها ومبادئها بلغة الآخرين اكبر شاهد على صحة ما نريد ، والاسلام حريص على هذا الاصل الفطري . فلم يدع أهله الى الخلود في ديارهم في انتظار من يطلب معرفة دينهم بل دعاهم الى نشره فقال : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » وان كتبه صلى الله عليه وسلم لاكبر شاهد على انتهاج ما قدمناه من سبيل؛ فقد بعث الرسول بكتبه الى النجاشي وهرقل والمقوقس يدعوهم الى دين الله بلغتهم ، وقال : « فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ اوعى من سامع » .

---

1) اصول الفقه للاستاذ علي حسب الله ـ صفحة 112 .

اذن وجب علينا ان ندعو الاجانب الى ديننـــا بلغتهم ، ولا يتم ذلك الا بالترجمة ، ونعني ترجمـة النصوص القرآنية ، وحيث ان الدعوة واجبة فما لايتم الواجب الا به فهو واجب .

واذا كان ماتقدم هو الداعي الرئيسي من دواعي الترجمة فان هناك دواعي ثانويـة تليـه في الاهميـة ، ويمكننا ان نلخص بعضا منها فيما يأتي :

1) عن طريق ترجمة معاني القرآن يمكن رد شبه المفترين ، وردع منكري المبادىء القويمـة للاسـلام ، وتصحيح الصورة الاسلامية التي شوهها ذوو الاغراض والمطامع ، ممن يريدون الانتقاض على هذا الديـن ، والذين نصبوا انفسهم لمحاربته .

2) توحيد كلمة الجماعات البشرية بقيامها جملة على كلمة الله العليا .

3) هدم ما بين تلك الجماعات من فروق قوميـة ولغوية وتباينات جنسية في ظلال الوحدة الانسانية .

4) العمل على ايجاد صلة دينية تربط بين شعوب الارض على اختلاف مشاربها وتباين لغاتها ، وبذلـك تجتمع القلوب وتتضافر الجهود على اقامة دولة الحق في الارض والاجهاز على دويلة الباطل .

استطـــــراد

ولكن يرى بعض العلماء ان القيام بتاليف رسائل تحوي الاحكام الدينية والمبادىء الاسلاميـة كـاف في تبليغ الدعوة وتعريف العالم بديننا ، وعليه فلا مدعـاة لترجمة القرآن الكريم .

ونحن لانوافقهم على ما ارتأوا للاسباب التالية :

1) ان العالم المتمدن في الوقت الحاضر لا يقتنـع بشيء عن طريق الواسطة ، وانما يبغي المصـدر الاول ؛ لتكون صلته به في تعرف ما حـواه صلـة مباشـرة ، فترجمة القرآن امر لابد منه ؛ تخلصا من الامانة التـي عهد الينا بها ، ومسايرة للروح العلميـة الحـديثـة في معرفة الاصول والمصادر الاولى راسا .

اذا نحن قمنا بترجمة رسائل نكتب فيها مبادىء الاسلام واحكامه فلن يكـون الاقبال عليهـا مضاهيـا للاقبال على الترجمة القرآنية ؛ فالناس يعتقدون فيها الدعاية ، وانه روعي فيها التأثير الخطابـي وروعـة العبارة وسحر الاسلوب .

3) في استطاعة خصوم المسلمين ان يجاربـوا رسائلنا بمثلها مدعين ان رسائلنا هذه ليست الا ثمـرة تحصيلنا من علومهم ، واستقائنا من مبادئهم وقوانينهم .

صور من الترجمـة الانجليزية

هناك ترجمة للقرآن الكريم بالانجليزية ، قام بها « مولانا محمد علي » وتحمل الترجمة اسم « القـرآن القديم » واهم ما يسترعي نظر الباحث في هذا المترجم ان نصوص القرآن الكريم توجد بجوار الترجمة ، كمـا انه لتوضيح بعض آيات الكتاب الكريم وشرح ما قـد يتعلق بقصص القرآن او ماياتي به من تشريع يذكـر ماكان فاشيا لدى العرب من نظم اجتماعية حظرهـا الاسلام لكونها اشتملت على مساويء وخيمة العواقب ، او يبقي على بعضها لكونها لاتجافي المبادىء الاسلامية ، كما وان المترجم المذكور عني بالاشارات القرآنية التـي جاءت في غير موضع ، فوضحها بما يزيـل كـل لبس ، كذلك سجل له الفصل بين الترجمة لمعاني القـرآن الكريم وبين التعليقات التي قد يقتضيها المقام ، او يدعو اليها الامـر .

وساعرض هنا ـ نقلا عنه ـ للونين من الترجمة ، راعيت كل لون ان يمثل تعاليم الاسلام وآدابه الجديرة بالاتباع ، ففي الصورة الاولى ترجمة لقوله تعالـى « يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتـى تستانسوا » ... الخ الآيـة .

وفي الثانية ترجمة لقوله تعالى « حرمت عليكـم امهاتكم وبناتكم » ... الخ الآية .

وسنعمل على ترجمة الانجليزية الـى العربيـة لنقف على مدى افادتها لما يريد القرآن ان يفصح عنه ، وعلى ضوء هذا العمـل سنحكم على امكـان الترجمـة وجوازها ؛ تطبيقا لما سبق ان قررناه ، كمـا سنعـرف الكيفية التي يمكن بها الترجمة .

HOUSES NOT TO BE ENTERED WITHOUT PERMISSION

O you who believe ! do not enter houses other than your own houses untill you have asked permission and saluted the inmates ; this is better for you, that you may be mindful.

But if you do not find any one there in, then do not enter them permission is given to you,

and if it is said to you to go back, then go back; this is purer for you, and Allah is cognizant of what you do.

It is sin in you that you enter uninhabited houses where in you have necessaries; and Allah knowns what you do openly and what you hide.

قـــال تعـــالـــى :

« (1) يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غيـــر بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيهـا احـدا فـلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ، ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متـاع لكـم ، والله يعلـم ما تبدون وما تكتمون » .

« ترجمة الترجمة الانجليزية »

واذا نحن قمنا بترجمة الانجليزية الى العربيـــة لهذه الآيـــة ، وجدناها كالآتـــي :

دخـول المنازل باذن ساكنيهـا

« يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا ليسـت ملكـا لكم حتى يسمح لكم وتحيوا سكانها وهذا افضل لكـم لعلكـم تتعظـــون »

« وان لم تجدوا فيها احدا فـلا تدخلوها حتـى يسمح لكم ؛ واذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا خير لكم ، لان الله بكل شيء عليـم »

« وليست عليكم خطيئة اذا دخلتم بيوتا غيـــر آهلة بالسكان حيث لكم فيها حاجات والله عليم بمـا ظهـــر وما بطـــن » .

What women may be taken in marriage.

Forbidden to you are your mothers and your daughters and your sisters, and your paternal aunts and your maternal aunts and brothers' daughters and sisters' daughters and your mothers that have suskled you and your foster-sisters and mothers of your wives and your stepdaughters who are in your guardiaship, born of your wives to whom you have gone in, but if you have not gone in to them, there is no blame on you (in marrying them), and the wives of your sons who are your own lions, and that you should have two sisters togethers, except what has already passed, surely Allah is for giving merciful.

قـــال تعـــالـــى :

(2) « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكـم اللاتي ارضعنكم واخواتكـم مـن الرضاعـة وامهـات نسـائكم وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكـم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم ، وان تجمعوا بيـن الأختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

ترجمـة الترجمة الانجليزيـة

اذا نحن قمنا بترجمة الانجليزية للآيات الســابقة وجدنــا انهـا كالآتـي :

« لاتتزوجوا امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكـم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتـــي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهـات ازواجكـم وبنات نسـائكم اللاتي دخلتم عليهن ــ واذا لم تدخلـوا عليهن فهن حلال لكم ــ وزوجات ابنائكم الذيــن مـن اصلابكم ، والا تجمعوا بيـن الأختين ماعـدا ماسلـف منكـم ، فالله غفور رحيـم » .

التعقيب على الترجمـة

ان نظرة خاطفة الى الترجمة العربية لآية التحريم لتوضح لنا ان المعنى الذي اراده القرآن الكريم قـــد افصحت عنه الانجليزية فى اسلوب لايحيط به غموض ، او يشتمل على رموز ؛ بل اننا نستطيع ان نصرح بان الالفاظ لم يحدث بها تغيير او تبديل ، اللهم الا فى قليل من مثـل «لاتتزوجوا» بـدل «حرمت عليكم» «وبنات نسـائكم» بدل «وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسـائكم»

---

(1) الآيات : 26 ــ 27 ــ 28 ــ من سورة النـور .
(2) الآيــة 22 من سورة النســاء .

ولكن هذا لايسمح لنا بأن نعفي الانجليزية من القصور الواضح فى مضمار السبق لتعبير القرآن الكريم ، فهناك بون شاسع بين التعبير القرآني والتعبير الانجليزي ، فمثلا مادة «حرمت عليكم» المشتملة على التحريم المنوط بالمذكورات بعده لن تستطع الانجليزية أن تضاهيه او تجاريه ، بل كانت الترجمة «لاتتزوجوا» فالتحريم استفيد من تسليط النفي على «تتزوجوا» فقصر التعبير من الناحية اللغوية ، وكذلك عندما عبرت الآية على تحريم الربيبات «وربائبكم اللاتي فى حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم» وجدناها تدل فى ابلغ اسلوب على حرمة مصاهرة الزوج بنت زوجته التي تعيش فى كنفه مادام قد دخل بأمها ، ويكفي للتصوير الفني الذي لاءم الجو وناسب الحال لفظ «فى حجوركم» فاما تعبير الانجليزية فرغم قصوره عن التصوير نجده قد سلك التعريف بهاتيك الربائب مسلكا قاصرا بعض الشيء فى قوله «وبنات نسائكم اللاتي دخلتم عليهن» فلم يصفهن بكونهن فى حجور الزوج كما عبر القرآن الكريم ، كما ان الترجمة عبرت عن نساء الأولاد بقولها «وزوجات ابنائكم» ولكن الآية القرآنية شخصت الحالة والبست المعنى اللفظ المناسب «وحلائل ابنائكم» وفى لفظ حلائل من الدلالة اللفظية ما لانجده فى «زوجات» .

اما فى آيات الاستئذان فقد أتت الترجمة على المعنى المقصود بهاتيك الآيات ولم تظلم منه شيئا ، وما سبق ان قررناه من قصور الانجليزية عن النصوص القرآنية فى نواحي الاعجاز والتصوير الفني والبلاغي ينطبق على آيات الاستئذان ، ولذلك لن نحاول أن نحلل هذه الآيات اكتفاء بالتنظير لآيات المحرمات .

اجمـــال ونتيجـــة

وبعد فقد راينا ان البحث فى موضوع ترجمة القرآن قد انقسم الى مرحلتين :

المرحلة الاولى وهي العلمية النظرية ، والمرحلة الاخرى وهي الفنية التطبيقية ، وقد اشتملت المرحلة الاولى على المقدمة ومعنى الترجمة وامكانها ، واهم شبه المانعين والتعقيب عليها ، واشتملت المرحلة الأخرى على الصور الانجليزية للنصوص القرآنية والتعقيب عليها من الناحية المعنوية والبلاغية .

ان ترجمة القرآن الكريم ممكنة لغويا جائزة شرعا ، ولن تكون الترجمة نصية بل ترجمة للمعاني القرآنية ، كما ان الترجمة لاتسمى «قرآنا» بمعنى انه القرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بل هي معاني القرآن الكريم ، تحتوي التعاليم الاسلامية ، والمبادىء الصحيحة للدين ، وحقيقة الدعوة المحمدية فى نبل غرضها وسمو غايتها .

« انتهـــــــــى »

الجليس الصالح والجليس السوء

« مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما ان يحذيك ، واما ان تبتاع منه ، واما ان تجد منه ريحا طيبة ... ونافخ الكير اما ان يحرق لك ثيابك ، واما ان تجد منه ريحا منتنة » .

ـ حديث شريف ـ

من مزايا اللغة العربية

للدكتور عبد الكريم اليافي

للغة العربية مكانة خاصة بين اللغات جميعا. وصلتها بالشعب العربي وبغيره من الشعوب صلة فريدة ، ومن المفيد أن نبين تلك المكانة وان نبرز هذه الصلة ما اتسع لنا المجال في هذا الحديث الموجز .

اما مكانة اللغة العربية بين اللغات فينبغي أن نعرف انه لا توجد في القديم ولا في الحديث لغة تضاهيها في المزايا ، وتحاكيها في الخصائص والفضائل ، وليس كلامنا من وحي العاطفة ولا من قبيل الفخار والحماسة ، وانما تلمس للصفات الموضوعية التي للغات .

فاللغة العربية من اقدم اللغات الحية ، بل هي اقدمها على الاطلاق ، وقدمها هذا يحبوها تراثا فكريا ضخما ، ويهبها مرونة واسعة ، ويزودها بتجارب كبيرة . واذا كانت قد عمرت وعاشت واستمرت هذه الاحقاب الطوال ، فلانها تحوي فضائل ضمنية ليست للغات ماتت وانقرضت كاللغة اليونانية القديمة واللاتينية وامثالهما .

والحق ا ن اللغة العربية مرت بمراحل نشوء طويلة وكبيرة بدات تعرف بالتدريج . ولقد دلت الكشوف الاثرية التي حصلت في تل ماري بالجزيرة في سورية على ان الكتابات التي عثر عليها في هذه المدينة القديمة والتي ترجع الى نحو من خمسة آلاف سنة قبل المسيح ، انما كانت مكتوبة بلغة قريبة جدا من العربية . وفي تلك العصور الطوال الخالية اكتملت اللغة العربية اكتمالا اصيلا وجميلا ، ولما جاء الدين الاسلامي ونزل القرآن الكريم قيض لها منذ هذه المرحلة الحاسمة الصون والاستمرار مع التطور المناسب الملائم ، واذا كان التطور التاريخي العميق البعيد يهب اللغة كمالا حين تكون اللغة اهلا له بما فيها من مرونة ومزايا ، فان العربية لها مثل هذا الكمال المفرد بين جميع اللغات .

بيد ان لهجة قريش البليغة هي التي كتب لها البقاء والاستمرار ، ولقد خرجت مع العرب من بلادهم ، وتدفقت كالسيل المخصب في بلاد العالم . ولمرونتها وجمالها واتساع دلالاتها وملاءمتها غلبت جميع اللغات التي صادفتها ، واصبحت بعد امد لغة الادب ولغة العلم ولغة السياسة ولغة التجارة ولغة الدين ، لشعوب كثيرة تكلمت بها عصورا طوالا ، لا للشعب العربي وحده ولم يتح مثل ذلك للغة من اللغات حتى اليوم .

وليس غريبا ان تستهوي اللغة العربية ابناء شعوب كثيرة وتاخذ بقلوبهم ونفوسهم ، وتتلقى ثمرات عقولهم وقرائحهم ، فلم يكونوا يفضلون عليها لغة من اللغات حتى لغاتهم الاصلية ، مع انهم كانوا يتقنون اذ ذاك عدة لغات شائعة في عصرهم . ومن الطريف ان نذكر اقبال شعوب آسيا وافريقية واوربا كلهم على دراسة اللغة العربية والكتابة بها واتقانها والنظر اليها على انها اللغة الفكرية والادبية والعلمية الممتازة ، وذلك في عصور تألق الحضارة العربية . وفي كتاب « الامتاع والمؤانسة » للتوحيدي فصل يشير الى اعجاب عبد الله بن المقفع الفارسي باللغة العربية واعتبارها من المزايا العالية التي للشعب العربي .

ثم ان هناك عالما ومؤرخا وجغرافيا وفيلسوفا ورياضيا وفلكيا كبيرا قل مثيله في تاريخ الفكر الانساني كله ، هو ابو الريحان البيروني ، كان يتقن الفارسية والهندية والسريانية واليونانية والعربية زيادة على لغته التركية . وفي بعض كتبه يذكر الشيء والالفاظ التي تدل عليه بتلك اللغات جميعا . وفكره العلمي واطلاعه على طائفة من اللغات الشائعة في عصره يخولانه ان يحكم حكما صحيحا على مزايا اللغات ، فهو يقول في كتاب (الصيدنة) ما ياتي :

« والى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم فازدانت وحلت في الافئدة ، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة ، وان كانت كل امة تستحلي لغتها التي الفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع الافها واشكالها ، واقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب

البعير على الميزاب والزرافة فى الغراب ثم متنقلة الى العربية والفارسية ، فانا فى كل واحدة داخل ولها متكلف والهجو بالعربية احب الي من المدح بالفارسية ، وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به ، اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الكسروية والاسمار الليلية.» ومن المعروف ان الفارسية من ابرز اللغات الهندية الادبية واحلاها .

ولقد اخذ بعض الشعوب سبل البيان الصحيح عن اللغة العربية وتأثروا بها الى مدى بعيد ، فاللغة العبرية انما بلغت عصرها الذهبي فى ظل الحضارة العربية الاندلسية فوضع العلماء العبريون قواعد لغتهم، وحاكوا العرب فى آدابهم ، ونقلوا عنهم حتى اوزانهم الشعرية . وكذلك اثر البيان الاندلسي فى شعوب اوربا كلها اذ ذاك ، فاخذوا حضارة المسلمين ونقلوا اصولها وما تحتويه من علوم ومن بيان ومن شعر . ومن المعلوم تأثير الشعر العربي الاندلسي فى شعراء كتلونيا وغاليسيا والبروفنس وامثالهم فى ذلك الوقت

ولما طفق الغربيون ينهضون ، وجدوا انفسهم عاجزين عن محاكاة المسلمين وبلوغ شأوهم فى الكتابة والبيان ، ونعرف ذلك من خلال الفقرات التي كتبها شاعر ايطاليا بترارك فى غضون القرن الرابع عشر الميلادي يندد ببني قومه ويهيب بهم يدعوهم الى التشجع ويبث فى نفوسهم الثقة والعزيمة ، يقول الشاعر

«ماذا ! لقد استطاع شيشرون ان يكون خطيبا بعد ديموستن ، واستطاع فرجيل ان يكون شاعرا بعد هوميروس ، وبعد العرب لا يسمح لاحد بالكتابة !

لقد جارينا اليونان غالبا ، وتجاوزناهم احيانا وبذلك جارينا وتجاوزنا جميع الامم ، وتقولون اننا لا نستطيع الوصول الى شأو العرب ! يا للجنون ويا للخبال ! بل يا لعبقرية ايطاليا الغافية او المنطفئة!»

لنتامل من قريب خصائص اللغة العربية نجدها تمتاز بجوانب عجيبة ومتقابلة ، فهي تمدك بمعين غزير لاينضب حين تعمد الى التعبير العلمي الدقيق المضبوط ، وهي ترفدك وتدعمك حين تؤثر الفكر الفلسفي الواضح او الغامض ، والجلي او القاتم ، والناصع او المستغلق ، حسبما تقتضيه آفاق التفكير ، وهي تعينك وتجنحك وتحلق بك اذا اتجهت الى التعبير الادبي الخيالي ، وتسير معك برفق وتصاحبك وتريك الصفات والالوان ، والجملة والتفاصيل ، اذا فضلت الوصف الحسي المتصل بالرؤية والمشاهدة وهلم جرا ...

وكذلك اذا القيت ببصرك فى جنبات الارض والطبيعة والجماد والنبات والحيوان والانسان والاصباح والضحى، والظهيرة والاصيل والغروب واجزاء الليل وآنائه ، كانت نعم اللسان الناطق والترجمان الامين . واذا تعبت من تتبع ما على الارض، فسرحت بصرك فى الآفاق ، وقلبت وجهك فى السماء ، كانت نعم الدليل ، فارتك النجوم وابراجها ، والمجرة وامواجها ، وسمت لك الكواكب وصورها ومنازلها وحلاها ولالاءها .

ان اللغة العربية هي اولى اللغات التي سبرت اغوار السماء ، ورصدت النجوم والكواكب ، وبعثت بصواريخها اللفظية الى تلك البروج والنجوم البعيدة عنا بملايين السنين الضوئية ، ودرست منازل الشمس والقمر ، وخبرت جوانب القبة الزرقاء . ولقد دمغت اللغة العربية بروج السماء ونجومها باسماء اخذتها عنها جميع اللغات ، فاصبح الناظر اليوم فى الفلك أينما كان اذا اراد ان يتكلم باي لغة شاء لزمه ان يستعمل اسماء تلك النجوم واماكنها العربية .

ان اللغة العربية كانت لغة الحضارة العالمية مدة عصور طوال فى قارة آسيا وافريقية واوربا ، وبقي الامر كذلك فى آسيا وافريقية حتى القرن التاسع عشر حين بدات تحل الانكليزية مكانها .

ولقد رافق انبعاث اللغة العربية نهوض العرب فى بلادهم ، ووازى استعادة رونقها استيقاظهم ، وساير تجددها الحديث تفتح قوميتهم ووعيهم .

وهي تبدو احدى روابطهم القومية المتينة الخالدة ، فهي من اجل ذلك ولمزاياها الكثيرة حرية بكل اعجاب واكبار ، قمينة بكل دراسة وجهد وايثار ، اهل لكل محبة وهوى وتعهد وعناية .

وبرغم التقدم الكبير الذي ظهر عند ابنائها من اقبالهم عليها ودراستهم لها ، لاتزال تقتضيهم جهودا اكبر ، وسعيا اشد ، واهتماما اقوى ، ومعرفة اعمق .

ان خدمة اللغة العربية خدمة للقومية العربية . وخدمة فى الوقت نفسه للحضارة الانسانية ، وكل تهاون فى شأنها معناه التفريط فى حق اغلى روابط الوطن العربي ، والتفريط فى حق اثمن كنوز التراث الانساني .

لذلك كله لزم ان نحرص عليها حرصنا على كياننا ، وان نستمسك بها استمساكنا بحقيقتنا ، وكل جهد يصرف فى هذا الشأن لن يضيع سدى فى الميدان القومي ولا فى الميدان الانساني .



اذا كان اختياري قد وقع في هذا الحديث على علم الاجتماع الديني بالذات فلان هذا العلم الحديث يكاد يكون مجهولا لدى طلاب اللغة العربية بالمغرب ، ولانه يحتل اليوم مكانا عظيم الاهمية عند علماء الاجتماع المختصين بالمانيا وامريكا وانكلترا وفرنسا ، وقد اصدر هؤلاء عدة كتب عنه بلغاتهم ، لم تلبث ان ترجمت الى اللغات الاخرى ، وفوق ذلك فان موضوع علم الاجتماع الديني اصبح مادة اساسية في كليات العلوم الاجتماعية بالولايات المتحدة وكندا وبعض الدول الاوربية ، بل انعقدت مؤتمرات دولية خاصة لتبادل المعلومات عنه ، والسعي في توحيد الاراء حول موضوعاته ومنهج البحث فيـه .

ولكن كيف وقع الاهتداء الى ضرورة وضع علم اجتماع خاص بالدين ؟ والجواب : حيث ان موضوع علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للسلوك الانساني المتشابه والمشترك ، وتحليل العلاقات الاجتماعية ، فقد امتدت هذه الدراسة لتشمل كثيرا من ميادين النشاط الانساني ، فظهر علم اجتماع اقتصادي ، وعلم اجتماع قانوني ، وعلم اجتماع للشغل ، وآخر للسلوك السياسي ، وآخر للنقابة ، وهكذا ، وكان من الطبيعي ان يظهر علم اجتماع ديني بالاولى نظرا للمكان الممتاز الذي تحتله دراسة الظواهر الدينية من بين مجموعة العلوم الاجتماعية .

ما هو اذن علم الاجتماع الديني ؟ وما هي الموضوعات التي يتناولها بالبحث ؟ ثم ما هي جدوى دراسة هذا العلم بالنسبة للمغرب ولاقطار العالم الاسلامي ؟ .

اما موضوع هذا العلم فهو بصفة عامة دراسة ظواهر الحياة الدينية في جميع اشكالها ، وذلك باستخدام التاريخ المقارن للاديان ، وعلم الاجناس ، وطرق الاحصاء الاجتماعي كأدوات اولية لهذه الدراسة ، ويعتقد بعض الاجتماعيين انه اذا كان الشرط الاول في الحديث عن الفن او الشعر هو ان يتذوق المرء نفسه الشعر والفن ، فالشرط الاول الذي يجب ان يتوفر لدى الباحث الذي يريد فهم المؤمن والمجتمعات المؤمنة ، هو ان يكون قد ساهم ، هو نفسه ، في فترة من حياته ، في اعتناق عقيدة ، وان تكون مساهمته فيها وجدانية عاطفية على الاقل ، وهنالك آراء اخرى في طرق البحث التي ينبغي استخدامها ، والواقع ان علماء الاجتماع لازالوا يختلفون في تحديد موضوعات علم الاجتماع الديني وطريقة تناولها .

ولنستعرض آراء ثلاثة من علماء الاجتماع المختلفي الجنسية ، كتبوا في علم الاجتماع الديني مجلدات كبيرة ، وتناولوا هذا الموضوع باساليب مختلفة ، لتاخذ فكرة مصغرة عن ماهية هذا العلم .

فالاجتماعي الالماني مانشينج G. Menching يتحدث في كتابه (علم الاجتماع الديني) عن اشكال المجتمعات الدينية الوطنية ، وعن الدين العالمي والدولة ، وعن نظام الدين ، والرؤساء الدينيين ، وعن تناقص المجتمعات الدينية والاديان الحية ، وعلاقات المجتمعات الدينية فيما بينها .

بينما نجد الاجتماعي الامريكي جواشام ويتش في كتابه (علم اجتماع الدين) Joachim Wach يدرس علاقات الدين بالمجتمع في نظامه الطبيعي ، وعلاقات الدين مع كل نوع من انواع المنظمات حتى الدولة ، ويجعل للتجربة الدينية اشكالا للتعبير : تعبيرها النظري هو العقيدة ، وتعبيرها التطبيقي هو العبادة ، وتعبيرها الاجتماعي هو الاتحاد ، ويستخلص من كل ذلك الى النتائج الاجتماعية ودور علم الاجتماع

في الدين ، وموقف التجربة الدينية تجاه العالم ، والنظام العالمي ، والمجتمع ، والاخلاق ، والمثالية ، والحقيقة ، وهو عندما يدرس الدين والمجتمع ، ويتحدث عن شخصية الجماعة الطبيعية والجماعة الدينية ، وعن مختلف الشعائر ، كشعائر القرابة والشعائر الاقليمية والعنصرية والوطنية ، ويدرس مختلف الانظمة الدينية الخالصة للمجتمع ، بادئا من مجتمع الاسرار في اليونان وروما ، حتى سلك الكهنوت في الكنيسة ، ويفرق بين المجتمع البسيط والمجتمع المعقد ، ويحلل مختلف الدرجات والفروق الاجتماعية في الاديان العالمية ، وعندما يشرح علاقات الدين بالدولة ، يحلل الدور الاجتماعي للدولة ، وشخصية الحكومة الروحية والحكومة الدنيوية ، ويفرق بين الدين التقليدي والدين المؤسس ، وتنافس العبادات ويختم بالحديث عن انواع السلطة الدينية ونظام الجماعات الدينية .

اما الاجتماعي الفرنسي كبريال لوبرا Gabriel le Bras فاننا نجده يخصص كتابه الضخم (دراسات علم الاجتماع الديني) لدراسة الميدان الثاني من ميادين هذا العلم ، وهو ممارسة الشعائر الدينية ، خاصة في البادية الفرنسية ، حيث يقوم بتحليلات علمية للحياة الدينية في تاريخ البادية الفرنسية ، ويتحدث عن نظام مراقبة الممارسة في مختلف الاسقفيات عبر التاريخ . وبعد ان يحلل الحيوية الدينية لاقليم بروطانيا منذ اقدم العصور حتى اليوم وتاريخ الصلبان البدوية ، ونظام القرى الدينية (البارواص) ، ينتقل لدراسة حالة وقيمة مختلف المراحل التي مرت بها ممارسة الشعائر الدينية بفرنسا ، والتحولات الدينية للبوادي الفرنسية ، منذ نهاية القرن السابع عشر ، وتاثير الانظمة الاجتماعية على الحياة الدينية ، ثم يقوم بتعليق سوسيولوجي على الخرائط الدينية لفرنسا .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الخرائط وضعت بعد عدة بحوث ودراسات احصائية لمعرفة نسبة الممارسين للشعائر الدينية من عموم السكان في جميع الاقاليم الفرنسية ، ويلاحظ ان بعض الاقاليم الفرنسية انعدمت فيها الممارسة بالمرة .

وينتقل كبريال لوبرا في المجلد الثاني من كتابه المذكور ، من علم الاجتماع البدوي الى علم الاجتماع الحضري ، ويدرس الطرقية ، ويحلل البحوث الجارية عن ممارسة الشعائر لاقامة جغرافية دينية لفرنسا ، ثم ينتقل من تحليل مقاييس الممارسة الى مقاييس الحيوية الدينية للكنيسة الفرنسية ، ومدى تاثير البيئات على الحياة الدينية ، وينتقل مرة اخرى من دراسة علم اجتماع الكاثوليكية بفرنسا ، الى علم اجتماع الكاثوليكية في العالم ، فيتحدث عن البيئات العصرية والحياة الدينية ، وعن الاتجاهات الدينية ، وعن الاتجاهات الحديثة لعلماء الاجتماع الديني ، واخيرا عن علم اجتماع ديني لجميع الاديان .

ويظهر من مجموع هذه الدراسات ان علم الاجتماع الديني ، كعلم الاجتماع العام ، يمتاز بالطابع الاقليمي الوطني ، فكما ان هناك علم اجتماع امريكي وآخر انجليزي ، او عربي ، او فرنسي ، فان لكل بلد علم اجتماع ديني خاصا بدينها داخل وطنها ، واذا لم يقدر لهذا العلم ان يخلق ، كما هو الحال عندنا في المغرب مثلا ، فليس معنى ذلك انه غير موجود ضمنيا لدى كل مجتمع ، وفي كل وطن .

ان من الصعب التحدث عن علم جديد كهذا في مقال ، واصعب من ذلك ان نحاول انشاء علم اجتماع ديني مغربي قبل ان يستقر عندنا علم اجتماع عام مغربي او عربي ، ومع ذلك فاني ارى اهمية خطيرة لهذا العلم بالنسبة لجميع حركات الاصلاح الديني ، وقادة الفكر في العالم العربي والاسلامي ، فقبل ان نضع برامج الاصلاح لمجتمعاتنا الاسلامية يجب أن تكون لدينا معرفة دقيقة بواقعنا الديني ، ان علم الاقتصاد يعرفنا مثلا بواقعنا الاقتصادي ، ماذا ننتج ؟ وكيف ننتج ؟ ولمن ننتج ؟ وكم نستهلك ؟ الى آخر الموضوعات التي تتصل بحياتنا المادية ، وكذلك فان علم الاجتماع الديني هو الذي يعرفنا بواقعنا الديني الذي نعيشه ، لا الذي نقراه في التاريخ .

اننا نشعر بالحاجة الملحة لمعرفة الجواب عن الاسئلة التالية : كيف يتصور المغربي الدين ؟ وما هي درجة ايمانه به ؟ والى اي حد يتاثر به في سلوكه العام ؟ وما هي حالة وقيمة ممارسته للشعائر الدينية ؟ والجواب عن هذه الاسئلة الاربعة نريد ان نعرفه لا بالنسبة لمجموع سكان المغرب فقط ، بل بالنسبة لسكان كل ناحية في البادية المغربية ، وبالنسبة لكل طبقة من طبقات السكان في المدن المغربية ، رجالا ونساء

واطفالا ، ذلك ان ممارسة الشعائر الدينية فى سوس مثلا ، قد تختلف عنها فى زيان او شنقيط او الريف او فاس ، ففي سوس نرى ان السكان اذا لاحظوا رجلا لايصلي ولا يصوم احتقروه ، فالممارسة الدينية عندهم رمز للايمان ، والايمان رمز للفضيلة والكمال الانساني ، ولكن الامر قد لايكون كذلك فى ناحية او بيئة اخرى من المغرب ، وقد تعتبر ممارسة الشعائر رجعية عند طبقة من الطبقات .

ان دراسة واقعنا الديني دراسة موضوعية مجردة ، عن طريق الملاحظة والمقارنة والتحليل ، وبالاعتماد على البحوث والاحصاءات الاجتماعية ، لمعرفة نسبة الممارسين للشعائر من مجموع سكان المغرب ، ونسبتهم الخاصة فى كل طبقة من طبقات السكان ، ومقياس الوعي والحيوية الدينية عندهم ، واقامة جغرافية دينية للمغرب المسلم ، هذه الدراسة التي هي من اهم موضوعات علم الاجتماع الديني . يجب ان تكون مادة اساسية فى جامعاتنا الاسلامية بجانب مادة علم الاجتماع العام ، والمامول ان يقوم معهد العلوم الاجتماعية التابع لجامعة الرباط بوضع الاسس العلمية ، والوسائل العملية ، لمثل هذه البحوث التي ستدل المصلحين على معرفة مواطن الداء ، ووضع الاسس السليمة للاصلاح الديني .

على ان الشيء الذي يلفت النظر فى هذا الموضوع ، هو ان اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية لم تقم على ما يبدو بوضع اسس علم اجتماع ديني للعالم الاسلامي ، ودراسة نماذج للواقع الديني فى اقطار اسلامية مرت بها كوارث مختلفة ، اننا نريد ان نعرف الحالة الحاضرة للاسلام فى الجزائر بعد 130 عاما من الاستعمار والتمسيح ؟ وفى تركيا بعد نظام مصطفى كمال اللاديني ؟ وفى الجمهوريات الاسلامية فى الاتحاد السوفياتي والبانيا وفى دول شرق اوربا بعد النظام الشيوعي ؟ وفى الاقطار الاسلامية بافريقيا السوداء بعد الاستعمار الغربي ؟ . كما اننا نريد ان نعرف ما هو الواقع الديني فى الحجازواليمن اللتين سلمتا من رجس الاستعمار ؟ وما هو الواقع الديني فى سائر البلاد العربية والاسلامية الاخرى ؟

ان نتائج هذه الدراسات بالنسبة لدعاة الاصلاح ، وحركات الدعوة الاسلامية ، لاتقدر بثمن ، انها الحلقة المفقودة بين ماضي الاسلام ومستقبله .

ضرورة التامل فى الاجتماع البشري

« القانون فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان او الاستحالة ان ننظر فى الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لايعتد به وما لايمكن ان يعرض له . واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار ، والصدق من الكذب بوجه برهاني »

(مقدمة ابن خلدون)

أمراضنا الاجتماعية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

هناك ثلاثة عوامل تردع المرء عن ارتكاب الرذيلة وتحدوه الى الفضيلة وهي عوامل قد تجتمع وقد تفترق في نفسية الفرد ، وهي كذلك تقوى وتضعف تبعا للاشخاص ، فاذا تكتلت وتضافرت لتمتزج بروح الانسان جعلت منه مثالا للكمال البشري ، وليس كل الناس يومن بهذا الثالوث وليس هذا الثالوث يجتمع في كل الناس . ولكن اجتماعه ليس بالضروري بحيث اذا انتفى ينتفي الكمال .

تلك العوامل هي العاطفة الدينية والوازع الخلقي (او الضمير) والضغط الاجتماعي . فلننظر الى اي حد تقوى تلك الحوافز او تضعف في نفسية المجتمع المغربي ؟ لا شك ان هناك افرادا تضاءل في نفوسهم الوازع الديني الى حد اصبحوا لا يتأثرون البتة بهذا العامل كزاجر يكف العقل عن الارتياب ، والغرائز عن الانطلاق ، والجوارح عن الجموح ، فدعاهم ذلك الى نكران وجوده بالمرة ، او الاستهانة بماله في ميدان الاستقامة من اثر فعال ، ومستندهم في ذلك لا يعدو شيئين اثنين : اما كونهم يستدلون باستهتار بعض رجال الدين او بعض ادعياء الطرقية المارقين ، واما كونهم يعتبرون انه ما دامت نفوسهم مجردة من هذه العاطفة فالعاطفةنفسها لا يمكن ان توجد. وكلا الدليلين ضلال في ضلال . وهذا ما يدعو الكثير من الناس الى استهوان مناهج الاصلاح التي سلكها السلف من وعظ قد يكون مجردا عما يسميه بعضهم اليوم بالتحليل والتعليل . وان الذين يرتكبون هذا الاسلوب من الخطباء والوعاظ قد يكونون عاملين على اساس وجود ما نسميه بالوازع الديني الذي لا يكفي لاذكائه والتأثير عليه مجرد التذكير . وهو منهاج ما زال ينتهجه في هذا العصر الذري رجال الدين وكبار المفكرين في اوربا . ولكن المغرب يجتاز اليوم مرحلة نفسية عصيبة اجتازتها قبله دول اسلامية كبرى كمصر فاضطرت الى تغيير الاسلوب لان الوعظ لم يعد موجها لقوم كاملي الايمان تكفي في ردعهم آية قرآنية او حديث نبوي بل ان هذا الشعب ـ وكم له من نظير في حظيرة الشعوب ـ . يحتوي على طوائف شتى فيها الملحد الصرف والمتشكك الحيران والمادي الذي لا يستجيب الا لغرائزه ، والطيب النفس النبيل الروح الذي يشك ويماري لا عن عقيدة راسخة ولكن لكونه لم يجد من يهديه ويتدرج بحكمة ولباقة الى سويداء قلبه ، فيجلي به بصيصا من النور بالبرهان تارة ـ وبالوجدان تارة اخرى .

فالواعظ الحكيم هو الذي يسعى الى التأثير بانجع الاساليب ، وهذا يستدعي منه زادا من الثقافة النفسية والاجتماعية لان المصلح الحق بقدر ما يجب ان يكون ملما بسر الامراض الاجتماعية بقدر ما ينبغي ان يكون بسيكولوجيا يتحرى مواضع الداء ، وينتقي لها انجع الدواء ، محاذرا ان يعدي العضو السليم بما قد يعلق في اداة تشريحه من جراثيم .

ولكن كما اننا لا نريد من المصلح ان يكتفي بتملق شعور الناس . اي باستثارة عواطفهم الدينية والضرب على وترها الحساس ، لان فيهم من لا ينجع فيه هذا الاسلوب ـ كذلك لا نرضى من المصلح الحق ان يتملق الاهواء وان يؤدي به الميع او حب الاغراب الى الزيغ عن مبادىء الاسلام القويمة ، فنحن نحب التجديد ونسعى للتجديد ، ولكننا لا نريد ان يتم ذلك التجديد خارج نطاق الروح الاسلامية الناصعة التي لو تقمصناها على حقيقتها لصرنا في قافلة الدول المتمدنة ؛ برأس شامخ، وقدم راسخة . ولعمري ان هنالك امما اسلامية اشد تعلقا منا باهداب الدين ، ومع ذلك فهي من ارقى الامم واوفرها تقدما وحضارة .

وبعد ، فما هو مبلغ تاثير العاملين الباقيين ؟ الضمير ، والضغط الاجتماعي في ايقاف هذا التيار العنيف الذي يكاد يجرف ما تبقى في نفسياتنا من تراث الفضيلة ؟

اننا نرى ان مظاهر الانحلال تزداد وتتضخم مع الايام ، ففي كل يوم يتصدع ركن وينخرق سد حصين ، والناس تنظر الى هذا التصدع وذلك الخرق بعين المتفرج الذي لا تكاد تنفجر غيرته ان كانت له غيرة – الا عن حوقلة صامتة . واشد من هذا وانكى أن الفواحش التي تزري بالكرامة تقترف على قارعة الطريق بمرأى ومسمع من الجميع ، ومعنى هذا ان الرادع الاجتماعي يكاد يكون مفقودا عندنا ، اللهم الا في أوساط محدودة ما زال بعض افرادها – يخشون قوارص نقد المجتمع الذي يعيشون فيه . وقد نجد شبانا وكهولا وشيوخا لهم حاسة اجتماعية بحيث يتحرون ان يلمزوا في وضعيتهم الاجتماعية ويتلافون كل ما عساه ان يمس بكرامتهم في المجتمع . ولكننا نرى ان اساس تلك الحاسة هو الشعور الاجتماعي المتركز على وجود راي عام يوجه وينقد ، ويبني وينقض ، ويرفع ويضع ، وينقوض تدريجيا نظرا للمواقف السالفة التي يقفها الراي العام ازاء المنكرات المتفشية . وكان ازمة نفسية اناخت بكلكلها الثقيل على روح هذا المجتمع فاخمدت فيه كل غيرة واباء .

ذلك هو اثر الضغط الاجتماعي في وسطنا – كما راينا – من الهلهلة والهزال بحيث يتعذر الاخلاد اليه كزاجر فعال عن ارتكاب الموبقات .

.. بقي هنالك عامل ثالث وهو عامل الضمير او الوازع الخلقي الذي من مقوماته البارزة الشعور باطنا بالكرامة والعمل ظاهرا بالاستقامة . فلننظر الى اي حد من القوة أو الضعف بلغ ذلك الشعور في وسطنا ؟ لعل هنالك مثلا بسيطا قد يكون فاصلا في حل هذا الاستفهام . فنحن نرى كثيرا من ادعياء الاستقامة ودعاتها يقضون نهارهم في البكاء على اطلال الفضيلة ورسومها ثم لا يكاد يجن الليل وترتخي سدوله الكثيفة حتى ينقلبوا الى شخصية جديدة فينهشون الاعراض، ويهتكون الحرمات ، وينقادون لغرائزهم ، ثم يعودون في الصباح الى مصانعهم المزرية وملقهم الساخر لذلك الشعور الحي الذي ما زال – من حسن حظنا – بصيص منه يتلجلج في النفوس .

على ان هناك ظاهرة ادهى من هذا وانكى ، وهي تباين المقاييس والاعتبارات . وذلك مظهر مفجع لما وصلت اليه فوضى الاخلاق في وسطنا . فهنالك اعمال او خصال ترى طائفة انها تزري بالكرامة ، بينما تعتبرها طائفة اخرى مظهرا من مظاهر التحرر والمدنية ، فما هي الوجهة التي تغلب آخر الامر وتطبع بطابعها الجديد معايير الاخلاق ؟ هل هي الميع والاباحية والمرح نظرا لكون المتطرفين انفسهم ينساقون في نهاية الامر ضمن تيار تستانس النفوس بمتعه المغرية . والفلاسفة يقولون عن حق – بانه بقدر مايغري التعود الجوارح بقدر ما يفل من حدة المشاعر – ولعل من اطرف مايحكونه في هذا الباب قضية ذلك الصوفي الذي انتجع الحاضرة فصار «يبول الدم» لما هاله من الفواحش والمنكرات ولكن لم تكد تمر ايام معدودة حتى عاد البول الى طبيعته ، واستانس صاحبنا بما يجري حوله ، ولم يعد يراه بتلك العين التي كان يراه بها من قبل ! ان جوهر الفضيلة لا يتغير ، والتطور الحق معناه الرجعة الى الفضيلة في نصاعتها الفطرية .

ذلك هو الداء ، فما هو الدواء ؟ ان لتهذيب النشء على الفضيلة منذ الحداثة اثرا فعالا في طبع الفطرة بالمثل العليا ، ومن مقومات هذا التهذيب اعطاء المثل الكامل للطفل في جميع اطوار حياته ، سواء في المنزل ام المدرسة وذلك يتطلب من الابوين او لائم من الاستاذ ثانيا امثلة لايعتورها نقص ولا ميع ولا تمويه ، وينبغي كذلك تقويم الجماهير وغرس الفضيلة في نفوسها بواسطة الدروس في المساجد والمعاهد ، وعرض افلام سامية المغزى وروايات اجتماعية تصور الفضيلة في انصع مظاهرها ، وتبرز سوء مغبة الرذائل واهلها . والصحافة والاذاعة يجب ان تسهما في هذا الباب ، وكذلك الخطب الجمعية التي يجب ان تتطور ويتطور امنتخابها .

ولعل تلك الوسائل ستتمخض – اذا هي تضافرت – عن ايجاد راي عام يكون هو المقياس القار والعامل الحاسم في تكوين جو خلقي ممتاز وخلق تلك (المدينة الفاضلة) التي حلم بها الفلاسفة وما زالوا يحلمون .

الربيع في الشعر العربي

للأستاذ محمد زنيبر

- 4 -

لا بـــاس اذا حاولنا فى مقارنــة قصيــرة ان تبين الفرق بين ما وجدناه عند شعرائنا العرب مــن نزعة فلسفية فى شعر الطبيعة وبين ما ينم عنه شعـر الاروبيين من فلسفة او فلسفات فى الموضوع نفســه .

تعــدد الاتجاهات عنـد الشعــراء الاروبيين :

واول ملاحظة يجب ان ننبها فى هذا الصدد هو ان الشعراء الاروبيين اختلفت نظرتهم الى الطبيعــة تبعا لعصرهم وشخصيتهم ، بحيث نجد انفسنا امــام تجارب شعرية متعددة تلقي على الطبيعة اضواء متنوعة فى الوانها وفى ما تحمله من ايحــاء .

لنتبع نوعا ما التسلسل التاريخي ، فنحن عندما نلقي نظرة خاطفة على شعر الطبيعة فى عصر الانبعــاث الاروبــي اي فى القرن الســادس عشر ، نجد الى جانب النزعة الاستمتاعية التي قد تلمح فى مقطوعات لشعراء امثال « رونسار » الفرنسي ، نزعة اخـرى تـرى فى ظواهر الحب والجمال المنبثقة عـن الطبيعــة رمــوزا واسرارا عميقة وتحاول ان تكشف لنا ما وراء تلــك الرمــوز والاســرار .

لنفتتح مثلا ديوان « العاب ريفية مختلفة » الذي خصصه الشاعــر الفرنســي « جواشان دي بيللــي » لتصوير الحياة الريفية ولنقرا قصيدته التي عنوانهــا « انشودة الحب والربيع » ، فالشاعر ينبئنا فى هــذه القصيدة ان ميلاد الربيع يبعث فى نفسه الشعور بقوة خارقة توقظه ايقاظا جديدا وتلهب فى فــؤاده هيامــا يخرج به عن طور الرشد ، وهل هذا الهيام الا وليــد الحب الذي يخيم على الكون ويتحكم فيه ويلائم بيـن متناقضاتــه ويوحـد بين اعضائــه ويسطر النظــام السـرمدي الذي تتمشى عليــه اجنــاس الكائنــات ؟

والربيع انما هو تعبير بليغ يتجدد كل سنة عــن هــذا القانون ، قانون الحب الذي ما هو الا صورة من صور وحدة الوجود ، ويستنجد الشاعر بهذا الحب ليمــده بحرارته وقوته ويلهمه الشعر الجميل فيقول :

« فلتكوني يا اناشيــدي مـن الحــب
حتــى احلــق علــى اجنحتــك
واخضــد زهــرة البــراري
التي تعيش فيهــا الفتيــات التسع الخالدات »

والفتيات التسع هنا اشارة الى ربات الشعــر عند اليونانييــن ، ثم يقــول :

« فاذا كــانت العصافيــر النشــوى
فــوق الازاهيــر الطريــة
تتغنــى بحبهــا
وسط النابــات المتجــددة ؛
فلــم لا اتحــدث انــا
عـن ســروري الوحيــد فى الحيــاة
ما دام الحــب يــرغــب فى ذلــك
ومــا دامت السمــاء تدعــونــي اليــه ؟ »

فالربيع ، اذن ، رمــز للقــوة المتحركة الناميــة الطافحــة ، وهذه القوة تتمثل فى انبثــاق الزهــور وزقزقة العصفور واصوات السوائم والانعام ولمعــان الشمس وفى خلجات النفس البشرية ايضــا .

هذا مجمل للافكار التي تنبثق عنها تلك القصيدة وغيرها من الاشعار التي قيلت فى عهد الانبعاث الاروبي، وما هي الا صدى للفلسفة الافلاطونية الجديدة التــي عرفت نوعا من الازدهار فى نفس العصر والتي نجد لها صورة لامعة فى مذهب الفيلسوف الايطالي « جيرو دانوا

برونو » (1548 \ 1600) فالعالم في نظر هذا الفيلسوف لا ينبغي ان نتمثله في مجموعة من الكائنات المبعثرة في شكل فوضوي لاترتبط بينها اية رابطة ، بل ان له روحا سارية في كل شيء ، وهذه الروح هي التي تبعث الطبيعة على خلق الاجناس والانواع وتوحد بين شتيت الموجودات وتسلمها قبسا من جمالها ؛ فكل شيء سواءا كان جمادا ام نباتا ام حيوانا الا وفيه جزء من روح العالم ، وهكذا ، فان الكون الذي نشاهده وندركه بسائر حواسنا ما هو الا ظل لتلك الوحدة التي هي القانون الاساسي للوجود .

فاذا انتقلنا الى القرن الثامن عشر نجد احد توابغ كتابه « جان جاك روسو » قد اعار الطبيعة كثيرا من اهتمامه وخصص لها صفحات طويلة تعد من اروع ما كتب بالفرنسية ؛ وروسو حينما يكتب عن الطبيعة ، فانه يصفها بتدقيق ووضوح ولا يحاول ان يزينها بما ليس فيها او ان يكسوها باردية ينسجها سحر الخيال، ومع ذلك فان صفحاته تلك تمتاز بلهجتها الجديدة بالنسبة لعصرها وبما تنطوي عليه من افكار طريفة عن الطبيعة والمجتمع .

لقد عرف روسو بعدم انسجامه مع المجتمع وبنقمته على حياة الصالونات الراقية التي كانت ملتقى للارستوقراطية ولرجال الفكر والقلم ، فهو يرى في تلك الصالونات اوكارا للنفاق والغش والخداع والمكر ، بالرغم من مظاهر الوداد والمجاملة التي تسودها .

لذلك ، فانه حينما يلتفت الى الطبيعة ، يجد فيها ملاذا من مصائب الحياة الاجتماعية ومتاعبها ، وتقابله صورة الطبيعة بوداعتها وصفائها فيزداد تعلقا وشغفا بها ، ويدفعه هذا الشغف الى المبالغة في تفضيل الحياة في احضان الطبيعة على الحياة في الحاضرة ، وبالتالي ، في تفضيل الرجل المتوحش على الرجل المتحضر ، وهكذا خلق روسو اسطورة « المتوحش الطيب » .

وكذلك فعل « شاتو بريان » لكنه خص بنثره الشعري مناظر البحر التي كان اميل اليها لانه نشا وترعرع وسطها ، كما كان للمناظر الطبيعية في الاقطار النائية كامريكا والشرق نصيب وافر من كتابته الساحرة ، والفكرة الطريفة التي تنم عنها كتابته هي ذلك الشعور الذي يثيره في نفس القارىء والذي يحار الانسان في تسميته ، مما جعل بعض ابناء جيله يسمونه « مرض العصر » وهذا يشير الى ما قد يخلقه منظر الطبيعة من حزن كامن في عمق النفس ، حزن ليس بالقوي ولا بالعنيف ولكنه مستقر لايريم مكانه ؛ فهو كالسآمة التي تخيم دوما على النفس .

والشاعر « لامارتين » وان كان يستقي من نبع واحد مع شاتوبريان الا انه يختلف عنه بما يشع في قصائده من امل وتفاؤل ؛ فهو مثلا ، في قصيدته المعنونة « العزلة » يصور لنا قعوده تحت شجرة البلوط فوق جبل من حيث يطل على النهر والبحيرة ويشاهد الشمس عند غروبها وما ترسله من اشعة على الكون ولكنه سرعان ما يدرك ان هذه المرائي الجميلة لاتحقق رغباته الكامنة ، فيصرخ :

« وماذا تفيدني هذه الوديان والقصور والاكواخ ؟

اليست هي الا اشياء فارغة فقدت كل جاذبية بالنسبة لي ؟

ايتها الانهار والصخور والغابات ، ايتها المآوي العزيزة علي

اذا غاب عنكم مخلوق واحد ، اصبحتم قفرا يبابا » .

وهكذا ينزل بنا لامارتين في حركة ثانية الى وهدة الياس والحزن ، ومع ذلك فلا تستمر به هذه الحال حتى يعاوده الامل ثانيا ، فيتجه بفكره وقلبه الى عالم مثالي ، عالم بعيد عن دنيانا ، عالم يرى فيه الشاعر الامل والحب وصور الخير والحق والجمال ، فتنبعث من نفسه هذه الزفرة :

« لماذا اظل فوق ارض المنفى ؟

فليس بيني وبين الارض اية رابطة » .

فنحن مع شعراء الغرب وكتابه عند ما نتصفح ما كتبوه عن الربيع والطبيعة ، نشعر اننا انتقلنا الى عالم مرتفع يتضاءل امامه الكيان الانساني بانواع نقصه وضعفه ويحاول — مع ذلك — ان يعثر في ثناياه على صور متجددة للجمال ، فقد توفق الشاعر في ان يصور لنا عظمة الكون وجلاله وهيبته ، كما استطاع ان يكشف لنا عن جانب البراءة والوداعة والصفاء في الطبيعة فينقلنا معه الى دنيا تجهل ادران الحضارة ومنغصاتها ، ثم خطر له ان يثير في نفوسنا الشعور بتنوع الجمال في الطبيعة فرسم لنا عن ذلك صورا

مختلفة متعددة تبين لنا ان الجمال ان كان واحـدا في جوهره فان اشكاله لاحصر لها ، ثم راى في الطبيعـة صورة القـوة والعافية وصورة الحب الكامـل الـذي يترفـع عما تتضمنه تلك القوة في آن واحد من عنف ولين وقسـاوة وعطف وكبرياء وذل ، فعبر لنا عن هذه المتناقضات المجتمعة ، او بالاحرى ، هذه الجدلية بكل ما يملكه الفن من وسـائل اخاذة .

وهكذا ، فان الشـاعر الاروبي ، اثناء تنقله بيـن ذاتيته والعالم الخارجي ، يحملنا معه الى عوالم مختلفة لانهاية لها ويتيح لنا الفرصة لنعيش امام مشـهـد الطبيعة احوالا نفسـية عميقة تتاجج بين الامل والتشاؤم وبين السـرور والاسـى وبين الثـورة على الواقـع والتشبث بالمثـل الاعلـى .

شعراؤنـا بيـن التقليـد والتجديـد :

قد يتسـاءل القارىء ، بعد هذه النظرة العجلى ، عما ابتكره شعراؤنا المعاصرون في هذا المضمار وهـل استطاعوا ان ينتهجوا سبلا جديدة ويفتحوا امام اعيننا آفاقـا كانت مجهـولـة .

ونلاحظ باديء ذي بدء ، ان هنالك فرقا جوهريا بين التغيير والتجديد ، فالتغيير قد ينبني على اساس التقليد والاقتباس من الغير ، اما التجديـد ، بمعنـاه العميق ، فهو ابتداع الصورة الفنية التي لايوجـد لها نظيـر فيمـا سبـق .

حقا ، لقد تاثر كثير من شعرائنـا المعاصريـن بثقافتهم الغربية ودفعهم اعجابهم بهـا الى اقتبـاس نماذجهم ومثلهم منها ، وراحوا ينظمون شعرا يختلـف كل الاختلاف عن القديم ويحاول ان يرضي حاجتنا الى شعر عربي يلائم عصرنا وعقليتنا ، ولكن ، هل استطاعوا ان يتحرروا من نماذجهم الغربية فياتوا من عندهـم بمفهوم جديد ويفاجئونا بصور والوان لاعهد لنا بهـا ؟ وبعبارة اوضح ، هل استطاعوا ان يخلقوا لشعـرنـا العربي المعاصر شخصية جديـدة واضحـة المعالـم لاتختلف في قوتها ومتانتها عن شخصيته القديمة ؟ ام هل رضوا لـه بشخصية متـرددة متطامنـة مهجنـة بـاهتـة ؟ .

هذا سؤال خطير ، بل هو اهم سؤال يمكـن ان يلقى على شعرنـا المعاصـر ، وليس في نيتنـا ولا في مستطاعنا ان نجيب عنه الآن جوابا كافيا ، وانمـا نكتفي ، فيما يخص موضوعنا بان نلاحظ ان شعراءنـا المعاصرين فيما نظموه عن الربيـع والطبيعـة ، لـم يخرجوا عن المفاهيم والافكار التي وجدناها عند بعض شعراء اوربـا .

ومع ذلك ، فلا مندوحة لنا ، احقاقا للحق ، من ان نعترف لهم بالمجهود الذي بذلوه من حيث الاسلوب ومن حيث تعبيد اللغة وترويض الجملة الشعريـة العربية على تقبل المعاني الجديدة واستيعابهـا .

* * *

فمن الافكار التي وجدناها عند الاروبيين فكـرة براءة الطبيعة وخلوصها من شوائب الخبث البشـري وتنزهها عن التعقيد والنفاق والتصنع ، وهذا ماتوفق خليل مطران الى تصويره في القطعة التالية :

ايهـا الروض كـن لقلبـي سلامـا
ومـلاذا مـن الشقـاء الـمـلازم

زهـر ذابـل كـأنـي اراه
ثمـلا مـن انفاسـه في الكمـالـم

وغديـر صـاف اقـام سيـاجـا
حـولـه باسـق مـن الـدوح قـائـم

تتنـافـى بيض مـن الطيـر فيـه
سابحـات وتحتهـا النجـم عـائـم

كيفمـا سـرن فالطريـق عقـود
نظمت مـن محـاجـر ومبـاسـم

حبـذا البـدر مؤنسـا يتجلـى
كحبيـب بعـد التغيـب قـادم

حبـذا رسمـه البرايـا كـأبهـى
ما تـرى العيـن في صحيفـة راسـم

حبـذا المـاء والمصابيـح فيـه
كبنـان يـزينهـا بخـواتـم

جنـة بـانـت المكـاره عنهـا
وهـي بكـر مـن الاذى والمحـارم

انمـا اهلهـا طيـور حسـان
ان دعاهـا الصبـاح قـامت تنـادم

وقد توفق الشاعر في هذه القصيدة الى التعبير عن افكار جديدة ، ولكن باسلوب الشعر العربي التقليدي بحيث لايحس القاريء لاول وهلة بمجهود التجديد الذي بذله مطران بذوق وكياسة .

الا ان التجديد الحقيقي ما كان ليتناول الافكار وحدها دون الاسلوب ، فالفكرة الجديدة تتطلب تعبيرا جديدا ، وما اللغة الا لباس للافكار يتغير كثيره من انواع اللباس تبعا لتطور الافهام وانتقال المجتمع من مرحلة الى مرحلة في هذه الطريق الطويلة التي لاتنتهي والتي رسمها التاريخ للانسانية في سيرها .

وقد استطاع شاعر مثل ابي القاسم الشابي ان يعبر عن فكرة مثالية الطبيعة وبراءتها بهذا الاسلوب الجديد الذي يبرهن على ان اللغة العربية لازالت تطيق الحياة باوسع معانيها ولا زالت على كامل الاستعداد للنزول الى ميادين السباق لتباري لغات هذا العصر المشهورة ، فلننصت اليه في قصيدة : «الجنة الضائعة»:

« كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الاسحار مذهبة الاصائل والبكور
كانت ارق من الزهور ومن اغاريد الطيور
والذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير
قضيتها ومعي الحبيبة لا رقيب ولا نذير
ولا الطفولة حولنا تلهو مع الحب الصغير
ايام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل ، وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير
ايام لم نعرف من الدنيا سوى مرح السرور
وتتبع النحل الانيق وقطف تيجان الزهور
وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور
وبناء اكواخ الطفولة تحت اعشاش الطيور »

لقد توفق الشاعر في المقابلة بين طفولته وصور الطبيعة في براءتها ، وابو القاسم الشابي حينما يتحدث عن الطبيعة ، فانه يرى فيها العالم الذي تطمح اليه نفسه والذي يتناقض كل التناقض مع عالمه الواقعي الذي هو عليه ناقم ومنه يائس ، فلنقف لحظة عند قصيدته « في ظلال الغاب » الذي يبدؤها هكذا مستعطفا مترجيا :

« يا ليت شعري ، هل لليل النفس من صبح قريب
فتفر عاصفة الظلام .. وتهجع الريح الغضوب
ويرتل الانسان اغنية مع الدنيا طروب ؟
ما للرياح تهب في الدنيا ، ويدركها اللغوب
الا رياحي ، فهي جامحة تمردها عصيب ؟
مالي تعذبني الحياة كانني خلق غريب ؟
وتهد من قلبي الجميل ، فهل لقلبي من ذنوب ؟»

وفي مقطع آخر يصور لنا منظر الطبيعة لدى الغروب ويقابله بشقاء الانسان :

« يابهجة الغاب الجميل ، لم يصدعك النحيب ؟
ياوجنة الورد الانيق ، الم تشوهك الندوب ؟
ياكوكب الشفق الجميل ، وانت مبتهل الكئيب
لح في السماء .. ونحن ابناء الشقاوة والخطوب
انشودة تهب الحياة لكل مبتئس غريب
فالطير قد اغفت واسكت صوتها الليل الهيوب
وابسط جناحك في الوجود .. فانه عذب خلوب
متالق بين النجوم كانه حلم طروب
وانشر ضياءك ساطعا لينير اعماق القلوب
فعلى جوانبها من الاحزان ديجور رهيب »

ثم يصور لنا في مقطع آخر عالمه الواقعي الذي يخيم عليه الياس والقنوط :

« ما للمياه نقية حولي ، ومنفجري مشوب ؟
ما للصباح يعود للدنيا وصبحي لا يؤوب ؟
مالي يضيق بي الوجود ، وكل ما حولي رحيب ؟
مالي وجمت ، وكل ما في الغاب مغترد طروب ؟
مالي شقيت ، وكل ما في الكون اخاذ عجيب ؟ »

ونلاحظ في الاخير ان ابا القاسم الشابي ، بالرغم من يأسه وتشاؤمه ، ينزع منزع لامارتين في التطلع نحو عالم مثالي ، وان كانت مثالية لامارتين اعمق وارقى واوسع انسانية .

— يتبع —

بين العلم والدين

للاستاذ جمال بغدادي القادري

مـا العلاقة بين الدين والعلم فى عصر الاقمار الصناعية والصواريخ والعقل الالكتروني المفكر ؟ هل انقطعت الصلة وحان الوقت لوضع الاديان فى الرف مع مخلفات الماضي بعد ان انفردت العلوم بالزعامة والقيادة ؟ وهل للروح انبعاث جديد وانتعاش اكيد يتلمسه الباحث وكل عاقل منصف ؟ اسئلة تعترض المفكر النزيه والمؤرخ والمتدين المتعبد وكذلك الملحد الضال.

وليس من السهل الاجابة القطعية عن حقيقة العلاقة الحاضرة بين الدين والعلم لان القرن العشرين عصر مضطرب الاتجاهات متعدد المذاهب لم يتخذ بعد مذهبا حاسما واضحا سواء اكان ذلك فى الحقل الادبي او الفني او الفلسفي بخلاف القرن التاسع عشر المنصرم الذي بت فى الموضوع وحسب ان العلم كفيل بأن يخلف الفكر الديني .

وتتبع هذه القضية بطريقة علمية موضوعية تجعل اقرار الباحث ناقصا وحكمه تقريبيا ظنيا ، لان فلاسفة الغرب ـ ان صح القول انهم انتهوا من دراسة حقيقة الاديان ـ لا يعتبر حكمهم نهائيا شاملا اذ انه لا يتعلق الا بالاديان البدائية والمسيحية واليهودية ، ويبقى الاسلام خارجا من هذا الشمول ، واخيرا وبفضل الدراسات العميقة عن الاسلام الصادرة فى العالم العربي خاصة اصبح من الممكن اصدار الحكم العلمي عن مدى هذه العلاقة واختصاصات كل من العلوم والاديان .

بصفة عامة يمكن تمييز حركة الوفاق والنزاع بين الدين والعلم فى ثلاث مراحل : مرحلة اولى سابقة لعصر النهضة الاوربية اي حتى القرن السادس عشر ويمكن تسميتها بمرحلة حسن الجوار . ومرحلة ثانية من عصر النهضة حتى القرن التاسع عشر نطلق عليها مرحلة النزاع والخصام ، ثم مرحلة ثالثة واخيرة هي مرحلة التمييز والتحكيم كما يبدو ذلك من اتجاهات الفكر العالمي العلمي فى القرن العشرين .

لم يكن هنالك اذا نزاع شديد بين الدين والعلم قبل عصر النهضة الغربية فى القرن السادس عشر حيث ان الفلسفة كانت تحتضن كافة المعارف العقلية ولم تكن العلوم ولا الفلسفة الدينية تشكل فروعا مستقلة عن الفلسفة وانما كانت مرتبطة بالفلسفة العامة اشد الارتباط بالاضافة الى ان العلوم فى العصور القديمة كانت تختلف عن العلوم الحديثة ؛ كانت الاولى نظرية فرضية تقوم على اساس من التجريب الفردي بخلاف الثانية التي تنبني على النظرة الشاملة والقانون الجامع والتجريب المخبري الدقيق . وزعيم هذا الاتجاه هو ارسطو . ونستطيع تشبيه هذه المرحلة بطور الطفولة فى عمر الانسان حينما كان الادراك سطحيا والشعور بالذات مبهما غامضا ، ومعنى هذا ان القدماء لم يتعمقوا فى خاصية العلوم والاديان حتى يجعلوا بينها مفارقات ومقارعات .

ولكن منذ عصر الانبعاث الاوربي بدأنا نرى النضج العقلي يتبين فى مباحث الفلاسفة والعلماء ، واصبح المفكرون يميزون فيما لديهم من معارف ، ويضعون التبويب المنهجي القائم على التحليل والنقد والتركيب ـ وقصة العلاقة بين الدين والعلم فى هذه الفترة مرت بثلاث مراحل : كان النزاع اولا فلسفي النزعة ، ثم انتقل الى الحقل السياسي ، واخيرا احتدم النزاع بين الدين والعلم وجها لوجه . ويعتبر الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » اول المفكرين الاوربيين الذي ادخل الفكر المنهجي فى الفلسفة محدثا بذلك ثورة فى اسلوب التفكير ، وهذه النمطية المنطقية احتدمت اول ما احتدمت مع الكنيسة المسيحية ثم مع الفلسفة اللاهوتية القائمة على التصديق القبلي والايمان الاعمى ، وقد صادف التجديد الفلسفي غزوا آخر فى دنيا العلوم والاكتشافات الجغرافية والفلكية ، ومعطيات هذه العلوم تعارضت مع ما اخبرت به الكنيسة من قبل

حول اصل العالم ووضعية الارض بالنسبة للكواكب الاخرى ، ثم انتبه المفكرون الفلاسفة الى ان المنطق الكنيسي بصفة عامة منطق متحجر غير خلاق ولا بناء ؛ وما كاد يصل القرن الثامن عشر حتى احتدم النقاش والنزاع بصراحة لامواربة فيه ولا رياء فتراه خفيفا لاذعا على لسان « فولتير » تارة وتارة اخرى شديدا قاسيا على يد المدرسة الاشتراكية الفرنسية وصاحبها « سان سيمون » ؛ وفي آخر هذا العصر اندلعت الثورة الفرنسية واطيح بعرش الملكية واتباعها وكان اقرب المقربين الى النظام الملكي الفاسد رجال الكنيسة وارباب اللاهوت وهنا كانت الحرب حامية بين الثوار المتحررين الذين يمثلون افكار روسو الجديدة والروح العلمية المنطلقة وبين الجمود والتقهقر المجسم في رجال الدين ، وانهزام الكنيسة اعقبه فصل بين السلطة المدنية والسلطة الدينية وابعاد الكنيسة عن النشاط الاجتماعي الحي .

وفي حقل العلوم نلاحظ تحولا هاما في اساليب البحث وفي طريقة استخلاص الحقائق اذ ان الحقيقة في هذا المجال اصبحت تخضع لمقاييس الحواس والتجريب ونشات فكرة القانون العلمي الذي يؤدي الى حتمية الاحداث ، وبفضل هذه الروح الواقعية في العلوم حصل التقدم الهائل في شتى الميادين ولم تستطع الاديان او المسيحية بعبارة ادق ان تجاري التيار او ان تبدل من طريقة نظرتها للوجود بل كثيرا ما نراها تقبع في محيطها الضيق ولا ترد عنها التهم ردا ايجابيا فازدادت من جراء ذلك الهوة بين الحقيقة العلمية والحقيقة الدينية ؛ بل اعتقد العلماء في هذه الحقبة انهم سيحققون كل احلام البشرية عن طريق العلم وحده وبدون الاعتماد على رجال الدين ، وان السعادة الانسانية اصبحت تحل اسرارها في المخبر وفي انبوب التجريب ، وقد زاد هذا الغرور العلمي اذكاء ما حصل عليه العلماء من انتصارات على المادة حتى ارجعوا كل شيء اليها ؛ ولم يعد الانسان نفسه الا مجموعة من الخلايا والانسجة واللحم والعظام تسيطر عليها قوانين علمية ثابتة .

هذه هي الروح التي سادت في القرن التاسع عشر : غرور واعتداد من جانب العلماء وانكماش وانزواء من طرف الكنيسة ورجال الدين .

غير ان هذا الواقع سرعان ما تبدل وتحول الى القطب المقابل في القرن العشرين ، وتتسم هذه الفترة بالنضج والبلوغ والتحفظ وقد تأثر الفكر العلمي بنظريات التطور والنسبية ، وبمفاهيم علم النفس الحديث ، ولذلك يمكن الزعم بان الاتجاه العام قد تحول واصبح العلماء اقل اعتدادا وزهوا واصبحوا ينظرون الى الحقائق الدينية بشيء من الاعتبار والاحترام ، لا بالانكار القطعي السابق ؛ ادى الى هذا الموقف الجديد ما عاناه العلماء من صعوبات في صميم المادة التي اصبحت في نهاية التحليل والتقسيم اقرب الى الروح (كهارب وتيارات غير منظورة) منها الى المادة الصلبة التي ترى بالحواس ، وكذلك لم تعد التجربة العلمية تعتمد على الوسيلة الحسية فقط اذ ان الادراك ــ كما يقرره علم النفس ــ قد يكون بالوجدان والوعي الباطني او بالحدس (الحدس البرغسوني المعروف) كادراك الاشياء عن بعد وقراءة الافكار واستطلاع الماضي والمستقبل وتحضير الارواح اي رؤية الاشياء غير المنظورة بقوة البصيرة العقلية وعن طريق الهاتف العقلي الباطني ــ وهذه الحقيقة ترتبط تماما مع ادراك المومن المتدين لحقائق الكون ادراكا باطنيا ذاتيا ، ثم ان الشعور الديني ينبع اصلا من الشعور بعجز الانسان امام عظمة الله والكون وهذا العجز هو نفس الشعور الذي اصبح يعتري العلماء في مخابرهم وابراجهم حينما لايجدون ذلك التعليل المنطقي الشافي لحوادث الكون ولمفهوم السببية العام ؛ وهذا الاتصال بين الدين والعلم وتقارب وجهات النظر هو في الحقيقة اتصال وظيفي مع بقاء الاختصاص لكل من المظهرين ، فالعلم سوف يبقى مهتما بكل ما يتعلق بمادية هذا الكون يجري الاختبارات ويقيم التجارب ويضع القوانين في دائرته الخاصة ، واذا استطاع اليوم العلماء ان يستعملوا هذه النظرة العلمية في المادة الحية فلا بأس من ذلك ما دام النجاح حليفهم كما برهنت عليه علوم الطب وعلوم الحياة ، وهذا الاختصاص ظاهري فقط لان فلسفة العلوم اصبحت متفقة متقاربة مع فلسفة الدين من حيث النظرة العامة للكون .

من جهة اذا نجد لكل علم ميدانا خاصا به لايتعداه ، ولم تعد الاديان تتدخل في شؤون العلم تدخلا مباشرا اذ انه ليس من اختصاص رجال الدين ان يبتوا في قضية ترجع الى علم الطقس او علم المحاليل او علم التشريح ، او علم الذرة والاشعاع ؛ فهذه المظاهر متطورة متبدلة وروح الاديان خالدة دائمة ثابتة

لانها تتعلق بآمال البشرية وبسلوك الافراد والمجتمعات وما من شأنه ان يحقق سعادة الناس اجمعين .

ومن الحقائق المسلم بها ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي اتصف بهذه الروح منذ القديم فلم ينافس العلماء ولم يعارضهم وكان الرسول (ص) يجهل الكثير من امور الحياة ولم يدع يوما انه الامام المقتدى في علوم الحرب او الزراعة او البناء وانما جاء لهداية الناس والى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، وحقائق الاسلام ناطقة لاتدعو الى الريب ، فالقواعد الخمس من شهادة وايمان وصلاة وصيام وزكاة وحج وكذلك المعاملات والاحوال الشخصية الخاصة لاتمس الا قلب الانسان وعقله لانهما الجهاز المحرك لطاقة الفرد ثم سلوكه العام في الحياة ، ولذلك لم يحصل نزاع بين الاسلام وروح العلوم النزيهة التي لاتمزج مع حقائقها الكفر والالحاد.

واذا كان العصر الحديث قد وضع الخطوط العريضة للميزات الخاصة والعامة للدين والعلوم وحصر نطاقهما وخصص « المجال الحيوي » لكل منهما ، فان القرن العشرين توصل الى حقيقة اخرى ولعلها اخطر من السابقة وامسها بالانسان واشدها تأثيرا على شخصيته وعلى سعادته ، هذه الحقيقة هي ان الانسان قد شقي بانغماسه في الحياة المادية الصرفة ، وان السعادة اصبحت حلما وامنية عويصة التحقيق فانتشرت الامراض النفسية وتمكنت من الناس وكان اشدها تسلطا التعب والارهاق النفسي ثم الحيرة والذهول العقلي ، ولم تعرف العصور الماضية هذه الامراض بالكثرة التي نشاهدها اليوم والسبب الوحيد هو اهتمامنا بالماديات فقط دون الالتفات الى القلب والروح ، وقد عجز العلم تماما عن علاج هذه الظاهرة بل لنقل انه زادها بلبلة ، فلا المكيفات الهوائية استطاعت ان تخفف من هذا الشعور ولا السيارات الفخمة ولا السينما والمسرح ولا المقاعد الوثيرة الناعمة اذ ان هذه كلها اشد مساسا بالجسد ولا يمكنها ان تنفذ الى اعماق الانسان ، والملاحظ ان المتدينين والمؤمنين بالقيم والمثل حتى ولو لم تكن سماوية اقل اصابة بالتعب النفسي او القلق ، كان الدين والايمان بالخير والفضيلة مسكنات تحد من جبروت المادة ، او كان الانسان خلق لكي يتغذى قلبه ونفسه كما يتغذى الجسم والعقل وان السعادة البشرية كامنة في هذا الازدواج بين الروح والجسم ، فلا بد اذا من الايمان ، وبان هنالك عدالة من السماء وان عينا بصيرة تتعقب اعمالنا وان الجزاء او العقاب نهاية المطاف في الآخرة المحتومة ، وان القانون والسلطات المدنية اذا كانت عاجزة عن محاسبتنا بالقسطاس والعدل ، واستكناه اعماق انفسنا فان المظلوم لابد له من نصير وان الظالم في موعد صادق مع المنتقم الاكبر ، فالخلاف بين الدين والعلم حسب هذا المفهوم الاخير هو اختلاف وظيفي ولا غنى لهما عن الآخر فللمادة دور ووظيفة في هذه الحياة تقوم لتؤدي الى الناس احسن الحاجات اليهم وللدين دور آخر لايقل اهمية ان لم يكن اقرب الى طبيعة الانسان واشد نفوذا الى اعماقه والى عالمه الباطني ، فالقضية في آخر التحليل تتعلق بسعادة البشر وباستقرارهم النفسي والتجارب والاحصاءات تؤكد ان الدين كلما تقلص وانحسر بغزو الماديات كلما تسلط الشقاء وتحكم .

وخلاصة القول ان العلم في العصر الحديث اصبح يصف ويكتشف مظاهر الكون وان الاديان اقتصرت على توجيه السلوك البشري نحو الهداية والرشاد ، وفلسفة العلوم تعترف مع ذلك ان لهذا الكون عقلا مدبرا نسميه نحن الاله الاعظم ويسميه العلماء الملحدون الماديون ـ وهم اقلية قليلة ـ القوة العقلية الخارقة .

وعلى اي حال لا سبيل للبشرية من حياة سعيدة بدون قلب مؤمن وعقل مفكر يدفعانها برفق نحو الغد المشرق ، والجسم لايستغني عن الروح ، والنفس لاتكتفي بذاتها بل لابد لها من الجسد ، وهذه الازدواجية متى انفصلت ضاع البنيان الالهي وضل الناس الضلال المبين .

في البدء.. كان الفكر

للاستاذ مصطفى الازموري العمري



تقول الاسطورة القديمة : ان بروميتيوس عذب قلبه ان يرى مشيئة تزوس اكبر الالهة تخدر وجود البشر وتطفىء فيهم جذوة الارادة ، وتحكم عليهم بحياة صماء لا شعورية على هذه الارض المليئة بالخطايا والضياع والعبث والفناء ، فما لبث ان ثار عذابه وتمرد حزنه فتحدى ارادة تزوس وسرق النار المقدسة من قمة الاولمب ووهبه للبشر الذين عاشوا كالاطفال زمنا موغلا في القدم محبوسين في الكهف الافلاطوني المعتم الغارق في الضلالات والاوهام . ونجم عن هذا التحدي البروميتيوسي ان صحا الانسان من دوار الاسطورة وخداع الحس على وعي ذاته ، واحتياز قيمة وجوده وانسانيته بالتخلص من خرافة الوهم ووهم الخرافة ، واعطاء حياته تبريرا معقولا وتقيما ايجابيا بحررانها من وثنية ـ عجلة الميلاد ـ التي ربطت مصير الانسان بمصير دورانها الابدي الرتيب .

تلك مغامرة الفكر في ميدان الفكر ذاته عندما اراد ان يتحرر تحررا فاعلا من حياة الظل الزائل ، وخدر الاسطورة والاستغراق في العالم ليبدو قادرا على الانتقال من الانفعال الى الفعل ، من التصور الى التصرف فمن اجل البحث عن اليقين غدا الفكر الانساني حاصلا على حق التفكير في معنى الوجود : هذا الوجود الانساني ما هو ؟ ومن اين اتى ؟ والى اين يمضي ؟ وهذا الوجود الخارجي الذي مكنه الله فيه وسخر له ما فيه ، ما يكون ؟ وما الغاية من نظامه الرباني ؟ وما حكمة الصانع ولغز الصنيعة في الخلق والتبرير ؟

الانسان موجود في العالم ـ كما يقول هيدجر ـ ومنذ لحظة الوعي التي تفتحت فيها فاعلية الفكر استطاع الانسان أن يدرك ان الاشياء وظواهرها معطيات يعمل فيها الفكر ويقيم بينه وبينها علاقة حوار او جدل تبتدىء هذه العلاقة في حرية اختيار ازاء ضرورات الطبيعة وفي التحرر الدائب من قيود المادة تحررا واعيا يحيل تلك الضرورات من حال الحتمية الى حال الجواز

الطبيعة موجودة وحسب ، والانسان وحده بوضوح التفكير ووعي الارادة وممارسة الحرية يستطيع ان يسالها ويثيرها ويسقط عليها مبادىء عقله .. فالانسان ذات مفكرة ، والعالم موضوع وواقع معطي للانسان ، ماثل امام الفاعلية الانسانية تتعلقها وتتدبرها وتنظمها وتستغلها ، ومن خلال الانا المفكرة ينبثق الوجود الانساني في اصالته وجدارته واستقلاله الذاتي ، وفي ذات الوقت يلوح العالم معقولا وموجودا من اجل ان يتردد فيه صدى عمل الفكر في معطياته .

ان الكوجيتو الديكارتي (انا افكر فانا موجود) حين يطرح قضية تبرير وجود النفس بحدس الوجود الذاتي من خلال التفكير ، فالتفكير حامل للوجود ، وما كانت الانا حقيقة يقينية الا باستدعاء الفكر لاختبار مدى صحة هذا اليقين ورفع الشك في وجود النفس وبالتالي في وجود الانسان .

فالفكر باعتبار ، هو ينبوع احكام القيم من جهة وحامل احكام الوجود من جهة اخرى يضفي على العمل الانساني تبريرا قيميا وعلى الوجود تناسقا عقليا منظما وواضح ان كل تعريف يدعي شمول الفكر وتحديد

مفهومه يجمد حيويته ويجفف تنوعه الخصيب ، فاذا كان تعريف الحرية يحد من الحرية ويخنق فاعليتها كما يرى غابرييل مارسيل بحق ، فان تعريف الفكر لا يلتقط من واقع الفكر الا سطحه الساكن يصبه في قالب لغوي بعيد عن التعمق في صميم الفكر الحي الحركي ، وما محاولة الكلمة ــ وهي من صنع المجتمع ــ في النفاذ الى قالب الفكر الا كمحاولتها اليائسة في السؤال عن الروح ــ وهي من امر ربي ــ اهي نسمة لطيفة Pneuma كما زعم التفكير اليوناني ؟ ام روح حيواني ينساب في الجسد كما قال ديكارت ؟ ام جوهر روحي او مونادا Monada تفعل وتدرك كما ادعى لايبنتز ؟ ام هي صفة الفكر والجسد ، صفة الامتداد تلتقيان في الانسان على حد تعبير سبنوزا ؟ ام تركيب عفوي من الازوت والاوكسجين والايدروجين والكربون كما نادى ارنست هيكل (Haeckel)

انها الروح وكفى نتعرف عليها بمظاهرها وحوادثها النفسية شعورية ولا شعورية والتي تتجلى في جميع السلوك الانساني كالتذكر والارادة والانتباه والهيجان والحلم والنسيان الى غير هذا .. وفي هذا الصدد يقول عالم النفس تيودور ريبو T. Ribot : ان علم النفس هو علم بدون نفس ــ اي بدون تعريف ماهية النفس وتحديد جوهرها ، فغاية علم النفس الحديث مراقبة السلوك في الموقف والفعل .

كذلك الفكر فانه يتمرد على كل تعريف وهو في الوقت نفسه ملكة التعريف ، وعبثا حاول التفكير الفلسفي ان يكتشف ماهية الفكر ويتعمق معناه فقال كانت Kant انه الحكم ، ورأى باسكال انه المحاكمة ، واعتقد شوبنهور انه قوة انشاء المفاهيم « التي تميز الانسان عن الحيوان » ، ولكن الفكر كل هذا واكثر منه فهو حيوية تتجدد باستمرار وتتبدى في كل مجال وترفد التجربة الانسانية بقوة الملاحظة ورفاهية الحس ودقة المنهج وحرية الانتقاد وشفوف الخيال ، وتلك الدفعة الحيوية الفكرية لا تنطلق الا من هيجان خالق مليء بالمعاناة والقلق مثار في اعماقنا فريد في نوعه ، فالفكر لا يحيا الا بالقلق .. ونفي القلق من تجربة الفكر يعني موت الفكر ذاته لان الثبات والسكون البارميندي البارد هما مشاهدة حيادية متفعلة امام الوجود ، وتوقف سلبي حيال غموض الحياة ، ان القلق حامل علامة الاستفهام (؟) الحبلى بالمفاجأة والدهشة والسؤال ، وهي المراحل الثلاث التي تقطعها الرغبة في المعرفة ..

اليس دوار الغموض والدهشة هو الذي اقلق الفنان بول غوغان ، فاسقط قلقه الفني على لوحته الخالدة (الوصية الاخيرة) وواجه الحياة والوجود باسئلته المحيرة : من اين اتينا ؟ ومن نكون ؟ والى اين نسير ؟

الانسان خالق علامة الاستفهام وواجد السؤال وما تاريخ الفكر الا الفكر يحاول الوصول الى استقرار يلطف قلقه ويرطب معاناته ولكن هل هناك وصول ؟ ان كل جواب على هذا السؤال بنعم معناه توقف الحياة وتمزق الفكر وقبول اتكالي خامل لكل ما في الوجود دونما اسهام من الانسان في تفهمه وتفسيره ، وكما قال افلاطون : ان كل ما قلناه ليس كل ما ينبغي قوله فما زالت هناك اشياء كثيرة في الوجود ادق على التفكير ان يشملها ويستوعبها ومع ذلك فان الفكر دوما يحاول ان يثابر على البحث عن اليقين ويجدد مواقفه تجاه المشاكل رغم غموضها وقصر الحياة ورغم عدم وجود جواب معطى بصورة نهائية ؛ لان جوهر الفكر في البحث عن الحقيقة لا في امتلاكها ومن الجبن اليأس من البحث قبل الوصول الى آخر مدى للفكر ما دام الانسان حيوانا ميتافيزيقيا بالتعبير الشوبنهوري ، وما دامت الحقيقة تحيا في الانسان وبالانسان ومع الانسان ، كذلك من العبث السافر ان نعتبر التفكير لعبا نافلا من قبيل الترف والمران الذهني ما دامت الحقيقة لاتهدم الانسان بل تنتشل وجوده من رتابة اللحظات المعينة .

خاصة الفكر الاساسية هي القوة النفسية الشعورية التي تلاحظ الواقع لتكتشف فيه ما هو كلي وثابت بالالحاح الشديد على البحث عن الحقيقة قبل كل شيء ، انطلق هذا الالحاح في البدء من قلق ارتدى في الاصل ثوبا اسطوريا غيبيا ولما استطاع الفكر ان يتجرد من الوهم الخرافي خطا خطوة جريئة حاسمة في السيطرة على الطبيعة والغاء الحواجز بينه وبينها عن طريق العقل ، وهذه الخاصة شديدة التعقيد حتى اننا لانستطيع تحليلها الى ما هو ابسط منها وليس امامنا سوى وصف جميع اعمال الفكر الصادرة عن احكامه التي تقدر قيم الاشياء وتبرر ظاهراتها وتقرر :

ما يجب علينا ان نعلم ــ ما يجب علينا ان نفعل ــ ما يجب علينا ان نتامل

تتجلى هذه المسائل (العلم ــ الاخلاق ــ الفن) في ثلاث قيم كبرى : الحقيقة في مجال النظر العقلي والخير في مجال العمل الاخلاقي والجمال في مجال

الاحساس الفني ، فاذا كان العقل ـ كما قال ديكارت ـ اعدل الاشياء قسمة بين الناس فالمعرفة واحدة والحقيقة واحدة سواء ارتدت حلة فلسفية او حلة علمية ام حلة فنية ، فالفكر الواحد لدى الانسان شبيه بالبذرة تحمل فى قلبها شجرة ذات اغصان واوراق وثمار .

التاريخ هو مغامرة الفكر الانساني تبتديء فى مجالات الفلسفة والعلم والفن وتهدف الى هدف واحد معين هو توكيد حق الانسان بالدرجة الاولى خارج اي اعتبار جنسي او عرقي او حضاري ، ومهما قيل عن وجود فوارق موضوعية بين العلم والفن والفلسفة فهذه الفاعليات الثلاث تنبجس من لحظة واحدة هي لحظة الفكر الحقيقي ، كألوان قوس قزح تتنوع وتتشعب ولكنها كلها تنبع من نفس المصدر وتعبر عن ذات الضوء فكل ما هو انساني ـ علما كان او فلسفة او فنا ـ جدير بمعرفتنا لان الحقيقة تحمل ذاتها فى ذاتها والتاريخ عرض للحقيقة .. حقيقة الفكر ينقلها من الوجود المضمر الى الوجود الصريح وعمل التطور التاريخي هو افساح المجال للفكر الموجود بالقوة منذ البدء ان يتحقق ويتكامل بالوجود بالفعل .

الانسان ـ كذات مفكرة ـ لم يعد يرضى ان يكون ذرة صغيرة تقذف بها فى تيه الوجود وعتمة المجهول ، فيتلاشى شرطه الانساني فى زحمة المواقف والافعال والاشياء ، بل اصبح قادرا على الرفض باصرار ان تذوب هويته فى هوية الاشياء ملحا ابدا على الخروج من قوقعة وجوده الخاص والتطلع الى التزام واع بالامانة الكبرى .. امانة المحاولة والارادة والمسؤولية .. امانة المعرفة الهادفة والتفكير الصحيح التي عرضت على السماوات والارض والجبال (فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) بحرية اختيار فكان ظلوما لنفسه التي ارهقها بالتزام معرفة الوجود على الوجه الذي اراده الامر الالهي والتفكير فى الكون الذي خلقه الله تعالى بالحق ، وكان جهولا لطاقته المحدودة فى مجالي الزمان والمكان ، أليس هو الانسان الذي قال عنه باريه سبحانه لملائكته (اني جاعل فى الارض خليفة) له هذه الارض وهذا الوجود وهذه الحياة وله فوق ذلك امتياز بالفكر على كثير مما خلق الله ، والذي اشار اليه الرب الاله (هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ايضا ويأكل ويحيا الى الابد ـ سفر التكوين الاصحاح الثالث) .

بلى .. انه الانسان بالفكر منذ البدء ـ لا بدء الخلق الالهي ـ ولكنه بدء المحاولة الضخمة لتفهم حقيقة الوجود وتحقيق تكامل العالم بوجود الانسان وتدخله الفاعل الحر من اجل السيطرة على الطبيعة وامتلاك ناصيتها ، فالطبيعة رغم ما تمور به من طاقات هائلة وامكانيات مخزونة ورغم ما تنطق به آياتها من انسجام ازلي عجيب فانها تبقى الطبيعة الغفل الصماء صمما مستديما ولا يتحقق لها اي اعتبار الا اذا انتشلها وجود الانسان من موقفها الصامت المنفعل ، والوجود الانساني بدوره لايقدر على ممارسة فاعلية فكره على الوجه الاكمل الا اذا وجد الطبيعة كعائق يقاوم نشاط الفكر وفى ذات الوقت يفسح المجال لهذا النشاط ان يتوغل فى صميم الواقع ويعمل فيه ، فلولا وجود عائق (الطبيعة) لما كان هناك تحدي وتغلب (الفكر) ولما تجلى العمل الانساني فى نهاية التحليل فى مختلف اشكاله وضروبه الفكرية .

من هذا التركيب من القضية (الطبيعية) ونقيضها (الفكر) يستطيع الانسان ان يسهم فى دفع الوجود الانساني الى توكيد ذاته وجدارته باعمال الفكر فى معطيات الواقع ، ولابد لانجاز عمل من ان يجاوز الفكر حال النظر الى حال العمل وتتحول الفكرة الى قوة تدفع الفعل المبدع وتتوق الى التنفيذ ، وبتعبير فوييي fouillée ان الفكرة واقع العمل انها عمل واقعي يقوم به الانسان بالحركة والجهد ، وبذا يستحق الانسان ان يكون الانسان الصانع Homo Faber يشارك فى عملية الخلق الالهي بوعي متفتح يتكامل مع عمل الله للتوكيد على ان هذا العالم افضل العوالم الممكنة يستطيع الانسان ان يتفكر فيه ويتدبره من اجل ان يحيا خليفة فيه من لدن الله .

ولا تتم هذه المشاركة الا اذا عرف الانسان انه لا يعرف شيئا فيبدأ بمعرفة ذاته بوضوح ينتشلها من بيتها العنكبوتي وتمركزها الذاتي وحياتها الجامدة وينقيها من ضباب الافكار وشبه الميتة ، ثم يواجه عالم الاشياء بسؤاله الجدي المتمرد : لماذا ؟ يحمل فى انحناء علامة استفهام قلقه الميتافيزيقي فيبدو الانسان بروميتيوسيا متحررا من قيود الطبيعة حتى لايسفل الى وجود البهائم وحياة اولئك الذين (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل ، واولئك هم الغافلون) بل يتطلع الى الحقيقة ويهدف الى معرفة كل شيء بارتقاء ملح الى مرتبة تقترب فيها معرفة

الانسان من تفهم ما فى السماوات وما فى الارض ليغدو الانسان اخيرا الانسان العارف Homo Sapiens يملك جراة العقل للوصول الى اطمئنان ينعش معاناته ويرطب قلقه .

ان الحيوان مستغرق فى العالم متكامل مع الطبيعة لايتجاوز اللحظة الراهنة التي يحياها وغاية وجوده ان يتصرف ؛ اما الانسان فهو يتقدم ويتجاوز الطبيعة ويتعالى عليها بالفكر وتصور المستقبل ومعرفة القيم والمثل العليا ؛ومع ذلك فالوجود البشري حافل بالتناقض والتعقيد يجمع السعادة والشقاء والعظمة والتفاهة والقوة والضعف ويعرف الخير والشر وهما سلب طبيعته ما اقترفا فهو ذو ماهية عصية التحديد تتبدى الانسان خلالها كائنا مشكلا problématique حارت البرية فيه ؛ ولكن الانسان رغم ما فى صميم وجوده من تناقض فانه كما قال باسكال : قصبة مفكرة يعي عبث فعله غير المضمون وفشل تجربته فى فك طلسم وجوده ووجود العالم ؛ فيحاول من جديد استرداد معنى حياته الاصيل والتطلع الى كل شيء باي ثمن ؛ تطلع فاوست الى نيل مآربه المبهمة مستندا الى الفكر .. اذ بالفكر ، والفكر وحده ، تتكشف اصالة الانسان حين يبحث عن الحقيقة ويتجه الى ذاته فيحيا افكاره بالتزام حر ومسؤولية نيرة واستقلال ذاتي رغم وعيه العميق بان كل فصل يشبع فيه الهدوء النفسي هو محاولة ضائعة الا ان وعيه ذاك هو الدفعة الحيوية التي تغذي فكره فيستمر فى العطاء الكريم وان توقف احيانا عن البذل لدى اصطدامه بوجود الانسان ذاته ووجوده مع الاخرين ووجوده فى العالم :

فالفكر الحقيقي لايمكن ان يطرد من الميدان وليس حادثا عارضا ، ومن العبث ان تردد قول روسو : ان الانسان الذي يفكر حيوان فاسد . لنقبل على العيش فى غبطة مخدرة متعرضين للصدف والقوى الخفية وضربات الطبيعة والقدر ، او نغني بانتشاء رومانتكي مليء بالفرح والاستسلام معا ؛ قصيدة الشاعر ورد ورث :

(نبضة من غابة خضراء

قد تنبئك عن الانسان .. وعن الخير والشر

اما فكرنا المتطفل فيشوه الاشكال الجميلة)

فنحيا منعمين بالسلام الداخلي بوفاق مع الطبيعة يدغدغ وجودنا التخاذل والعطالة والسكون وتنهشه انفتنا اتاركسيا رواقية Ataraxie بارادة مايحدث كما يحدث وعندئذ ننساب فى تيار الحياة السعيدة ونتعم بهدوء جميل بعيدين عن الانخراط فى العالم والتزام التفكير فيه بحرية تامة .

ان ماساة الوجود الانساني وعظمته معا تنحصران فى تلك العملية الشاقة ـ عملية الفكر التي يقوم بها الانسان حينما يرفض الهدوء الحالم والسعي الرخيص وسواء علينا اتحررنا من عبودية الطبيعة او البرج العاجي او المجتمع او الدولة او الآلة او الطبقة فنحن مدعوون الى الانخراط فى عالم مضطرب متوتر ، عالم لم يعد الانسان يطف حوله فى سنتين او فى ثمانين يوما بل اصبح الانسان اليوم قادرا على الطواف حوله فى تسعين دقيقة ؛ وبتعبير آخر ان مصير الانسان لم يعد مرتبطا بمصير العالم بل العكس ؛ ان مصير العالم متعلق بمصير الانسان .

فالفكر اذن ليس ترفا يزهو به العقل البشري او لعبا شطرنجيا بارعا فى الخروج من المآزق .. وانما هو ضرورة جوهرية كضرورة الوجود الانساني فى ذاته .. واذا كنا قد رفضنا انسان روسو الطبيعي وانسان الابداعيين (الرومانتكيين) الواجد فى الطبيعة والفرعزاءه وهدوءه النسبي واستدعينا بالمقابل الانسان الملتزم القلق الانسان الذي عليه ان يسير ويكافح وحتى اذا فشل فحسبه ان يكون قد كافح بنبل وجدارة فاننا نرفض كذلك انسان السلوكيين الذين يزعمون انه حزمة افعال وردود افعال وان تفكيره بالاحرى نمط من السلوك الباطني يدل عليه فعل صريح ظاهر من ارتعاش الشفتين وهزة الحلق وحركة التنفس .

الفكر هو حامل الوجود الانساني خلال التاريخ الحضاري وقيمة الفكر هي مجد الانسان الاعظم والفكرة هي قوام المدنية واكثر عناصرها بقاء ونماء وعن طريق الفكرة النيرة التي تصبح عملا يكون الانسان اكثر اتصالا بالانسان منه عن طريق الروابط الطبيعية او العرقية ، وما تجربة التاريخ الا دلالة حية على الاستقلال الذاتي للفكر ، فتطور الانسان يرافق تطور الفكر والمعرفة هي تعمق لحظة حياتية تعكس سؤالا وجوابا قد لا يكون نهائيا ومضمونها مهما كان يولد من علاقتها بموقف محدد .

ان الفكر ليس خارج الحياة بل هو فى الحياة ومع الحياة .. وبدء الحياة .

صفحة من تاريخ

العلاقات الدبلوماسية المغربية
في عهد الدولة العلوية الشريفة

للاستاذ الملازم الاول
احمد احمد البسيري

- 3 -

فاما مولاي سليمان فانه جعل من علاقته طريقة لم يعهدها احد من قبله ، طريقة سلبية رغبة منه في النجاة ، وخشية من الوقوع في شرك اوربا ، فمنع التجار المغاربة من الاتجار في اوربا ، واعطى للاجانب المقيمين بالمغرب حرية التمتع بالجولان والعمل داخل البلاد ، وجعل طنجة مقرا للقناصل الذين يفدون عليه من جميع الدول بحيث ان هؤلاء القناصل لايستطيعون ان يدخلوا الى العاصمة .

كما انه حفظا على استقلال المغرب وتوثيق العلاقة بينه وبين الدول الاوربية اوقف الاسطول المغربي في البحر لكي لا تحدث مشاكل الى غير ذلك ، لكن الازمة كانت اقوى من ان ترد بحد السيف لانها ازمة معنوية كانت تغذيها من طرف خفي بعض الدول وهي تتتبع حوادث المغرب بكل عناية واهتمام .

ولقد صادفت هذه الازمة المعنوية ملكا آخر هو عبد الرحمن بن هشام الذي لم يحذ حذو الملك السابق فلقد اراد ان يتخذ طريقا آخر وهو الطريق الايجابي في ترقية البلاد واقرار الامن والنظام ، واحداث اسطول عظيم لحماية شواطىء المغرب وتطوير البلاد جريا على ما يقتضيه تطور العالم .

واهم علائقه الديبلوماسية مع ملوك عصره وامرائه المسلمين وغيرهم من الاوربيين هو ما الم بها المؤرخ المغربي الشهير ابن زيدان في كتابه الاتحاف حيث يقول : كانت للمولى عبد الرحمن علائق ودية وسياسية وتجارية مع جميع دول عصره ، فهذا السلطان عبد الحميد الاول العثماني راسله مرارا وتكرارا ، وكذلك عباس باشا الاول صاحب مصر ، وكانت بينه وبين محمد علي باشا والي مصر جد عباس باشا المذكور علائق واتصالات طيبة اكثر من اللازم كما كانت بينه وبين المشير محمد (باشا) اتصالات ومكاتبات ودية الخ .

هذا ما يتعلق بالدول الاسلامية التي كانت علاقتها تقتصر على التحيات والابتسامات وتبادل الهدايا الى غير ذلك ، اما مع اوربا فكان له معها علائق سياسية وتجارية ، ومخاطبات مع ملوكها ورؤسائها ، الا ان هذه العلائق تكون احيانا سلمية واحيانا متوترة .

ومثل ذلك ما وقع مع دولة فرنسا التي كانت علاقتهما حسنة منذ عهد مولاي اسماعيل ومولاي محمد بن عبد الله ، فلما احتلت فرنسا بلاد الجزائر ، وقام الجزائريون يدافعون عن انفسهم ووطنهم وبايعوا الحاج عبد القادر ، واظهر هذا الامير الطاعة لملك المغرب توترت العلاقة بين المغرب وفرنسا وصارت الحكومة الفرنسية تنظر الى ملك المغرب نظر العدو لعدوه ، ونشبت فعلا بينهما معارك طاحنة ، فهذه معركة (ايسلي) جاءت هزيمة منكرة على المغاربة ، وغداة الانهزام اطلقت البوارج الفرنسية قنابلها على مدينتي طنجة والصويرة ، مما ادى الى عقد صلح بين المغرب وفرنسا ، وهذا الصلح يبدأ به التدخل الاوربي الاقتصادي ، فتنشأ المراكز التجارية ويتضعضع الاقتصاد الداخلي للبلاد .

ويجمل بنا ان نذكر هنا شروط المعاهدة التي تراسها السيد ابوسلهام بن علي ازطوط العرائشي ، وهي تشتمل على ثمانية شروط :

1 ـ تفريق العساكر المجتمعين في الحدود ولا يبقى بها اكثر من عدد الفين .

2 ـ ان يعاقب الذين كانوا السبب في المخاصمات التي ارتكبها المغاربة في ارض الجزائر .

3 ـ الاعتراف بالتضامن الكلي بحيث لا يمكن لسلطان المغرب ان يعاون اي احد من رعية فرنسا الخارجين على القانون في بلاد المغرب .

4 ـ ان ينفي الامير عبد القادر من ارض المغرب .

5 ـ ان تحد الحدود تحديدا تاما منتظما بين البلدين .

6 ـ لا يبقى بين البلدين نزاع ولا قتال .

7 ـ الالتفات من طرف النواب على عقد شروط جديدة على وجه جميل وان تؤسس على الشروط السابقة المقررة .

8 ـ الوفاء الكامل بين الجانبين على هذه القوانين السالفة .

ويتقدم بنا الزمن قليلا فنجد ان بعد هذه المعاهدة جاءت معاهدة اخرى تتضمن تحديد الحدود بمقتضى ما اشير اليه في الشرط الخامس ، وهي تشتمل على سبعة شروط ، وقد ناب عن المغرب القائد حميدة الشجعي وعن فرنسا الجنرال دولارو .

والبرهان على تمام المودة وتسوية الخلاف الذي كان يسود الدولتين هو ما كتبه السلطان عبد الرحمن الملك الفرنسي (لويس فيليب) حيث يقول : « اما بعد فان المراسلة بين الدول والمواصلة بين الملوك والدول تفتح للمودة ابوابا ، وتيسر للمواصلة اسبابا ، وتزيد الود تاييدا ، والعناية تجديدا ، وتزرع الحب في القلوب وتقرب البعيد وتيسر المطلوب » .

كما نجد ان السلطان عبد الرحمن كان يستقبل سفراء فرنسا وقناصلها بكامل الابتهاج والسرور ، فيحسن استقبالهم ، ويكرمهم ، ومن هؤلاء السفير (دوموني) والقونصو (ذي لبرط بيش) والقونصو (ميش) الذي كتب عنه الملك عبد الرحمن للويس فقال عنه : « وقد وصل القونصو الذي وجهتم ميشي ليكون مكان القونصو قبله ، فتلقيناه بالقبول والبسناه رداء عنايتنا المسدول وخصصناه بين القنصوات بمزيد الحظوة والشفوف لشنالكم عليه بما هو به لديكم موصوف ووجهنا (ذي بيرط ليش) قونصو القديم باياالتنا مكرم الجانب لأجلكم وهذا هو شأن الاحباب والسلام » .

وفي 27 يوليو سنة 1836 ورد على المولى عبد الرحمن الكولونيل (دولارو) سفيرا لدى حضرة جلالته كما ورد قنصل آخر اسمه (دينيون) وكتب (لويس فيليب) الى السلطان باعتماده وكيلا ، فاجابه الملك بقوله في ذلك حاثا على المحافظة والصداقة والالفة والوئام وان القونصو الجديد الذي وفد الى المغرب فانه سيكون عند حسن ظن جلالته في محل الثقة الكاملة والمعاملة الحسنة حتى يوسع الله في الالفة بين الدولتين .

ثم استدعى القونصو (دينيون) واقيم مكانه آخر يسمى (دوناطو) ولما نودي بنابليون الثالث ملكا على فرنسا كتب هذا للمولى عبد الرحمن كتابا يعلمه ويؤكد له باستمرار السياسة السابقة وقدم اليه ممثله الجديد (يا جير شمد) ثم بعد هذا (كاستيليون) .

وقد اقر رحمه الله معاهدات اجداده الكرام مع كثير من الدول الغربية وعدل معها ما عدل وانشأ ما انشأ ، ومن اهم هؤلاء الدول انجلترا ، البرتغال ، اسبانيا ، فاما دولة انجلترا فقد اقر معها المعاهدة التي عقدها عمه بعد ان غير منها الفصل السابع والثامن وهي تنقسم الى قسمين سياسي وتجاري ، فالاول يشتمل على ثمانية وثلاثين شرطا ، والثاني على خمسة عشر شرطا ، وكان المباشر لعقد هذه الشروط السيد محمد الخطيب .

وكذلك دولة البرتغال فقد كتب الى (جرج كلاص) يعلمه باستمرار السياسة التي كانت على عهد عمه المولى سليمان ، وكتب ايضا لدولة اسبانيا ، واقر معها المعاهدة التي عقدها سفير المولى سليمان بن عثمان سنة 1813 م .

وهكذا ظل مولاي عبد الرحمن بن هشام في اتصال دائم مع الاوربيين الاقوياء يتجنب ما امكنه الحرب معهم ، ولكن كما قلت سابقا رغم هذه الصلة الظاهرة كان المغرب سائرا في ازمة معنوية شديدة نتيجة الفتن الداخلية والاطماع الاستعمارية منذ احتلال فرنسا للجزائر وانتصارها على المغاربة في موقعة (ايسلي) ، وهذه الازمة كانت نتيجة وقوع خلاف

في اواخر ايامه مع الاسبانيين على حدود مدينة سبتة وهذا الخلاف ادى الى نشوب معارك طاحنة بينهمـــا تكبد الفريقان فيها خسائر فادحة ، وكان رحمه الله يريد ان ينهي ذلك بطرق المفاوضات معتمدا في ذلك على الصداقة البريطانية ، وقد اظهر نائبه الخطيب لباقة في تسوية هذا الخلاف لكن مولاي عبد الرحمن مات قبل انهاء القضية .

وتولى بعده ابنه المولى محمد ، واول شيء واجهه هو حل المشكلة العارضة باي وجه كان ، حيث ارسل الحاج محمد الزبدي الرباطي مندوبا جديدا لمباشرة نفس القضية التي كان النائب الخطيب يباشرها الا انه من المفهوم ان هذه المخابرات والمراسلات التي كانت جارية بين الدولتين انما كانت صورية فقط في نظر دولة اسبانيا ، والامر الذي كانت مصممة عليه ، مهما كانت الاحوال ، هو محاربة المغاربة واحتلال اراضيهم

وهكذا نجد دولة اسبانيا تستولي على مدينــة تطوان فتقتل اهلها، وتنهب متاجرها وتخرب مساجدها وتقوم باعمال منكرة ، فكم من ذخائر ، وكم من تحف وكم من كتب ومخطوطات وكم من وثائق ومستندات كلها ضاعت في ايدي الدولة العابثة الجانية ، ولم يبق منها الا الرماد والالم والحزن فاضطر المغرب لهـــذه الخسائر الفادحة ان يعقد الصلح مع اسبانيا. وتعهدت اخيرا باخلاء تطوان تحت تاثير التدخل الانجليزي على خمسة شروط وهي :

— تسليم المغرب لاسبانيا اراضي قرب سبتــة وارض في جنوب المغرب .

— ان تدفع الحكومة المغربية لاسبانيا الخسائر الحربية وقدرها عشرون مليونا من الريال .

— منح اسبانيا امتيازات تجارية .

— السماح للرهبان ببناء كنيسة بفاس .

— السماح لممثليها بالسكنى في العاصمة .

وممن حضر على هذه الشروط واتفق عليهـــا المولى العباس خليفة ملك المغرب ورئيس الجيـــش المغربي ، والحاج محمد الخطيب نائب السلطان بطنجة والجنرال اودينيل رئيس الجيوش الاسبانية ، وقد وقعت يوم 25 مارس سنة 1860 .

وبعد جلاء القوات الاسبانية عن مدينة تطـوان تحســنت العلاقة الاسبانية المغربية نوعا ما ، وعقدت معاهدة بين الدولتين سنة 1861 بمقتضاها سمــح للاسبان بامتيازات منها حق حماية رعاياهم مثـــل الفرنسيين .

وبالجملة فان السلطان مولاي محمد بن عبـــد الرحمن شاهد حربين في حياتـــه ، حربا مع فرنســا وحربا مع اسبانيا ، لذلــك اخذ يعمل بعد هذيــن الحربين ، كل ما في استطاعته على ان لا يرى حربـــا ثالثة وذلك بقضاء حياته في ترضية جميع مطالـــب الاوربيين ، وحصر همته في عقد المعاهدات الدولية مع جميع الدول ، وكثيرا ما كان يوجه الوفود الى اوربا لتنهي معها جميع المشاكل ، وكثيرا ما كانت هـــذه المشاكل في غير صالح المغرب ؛ من ذلك المعاهدة التي وقعت بين فرنسا والمغرب سنة 1867 فاعطت لفرنسا امتيازات لم تكن لها ولا لغيرها من قبل ، وفتحــت ابوابا للتدخل الاجنبي في شؤون البلاد كيفما شــاءت تحت التملك ، وبحق الحماية ، وبحق التمثيل القنصلي وغير ذلك من الاسباب التي كانت تحـــط من قيمـة المغرب وتسير به الى هاوية الظلام الدامس .

هذه المعاهدة المجحفة التي سبقت فيها فرنسا جميع الدول لفتـح طريق شرعي للتدخـل في شؤون البلاد ، بعد ان مر عليها قرن كامل لم تتقدم هـــذه الدول ولو خطوة تذكر . معاهدة مجمدة ليست بذات فائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر حيث اصبحت المطامع الاستعمارية تتشكل بصورة اوضح واوسع .

واذا كـان المغرب لم يسقط فريسة للاستعمار الفرنسي في اواخر هذا القرن فلا يرجع السبب في ذلك الا للموقف العظيم الذي وقفه آنذاك المتربع على العرش السلطان مولاي الحسن ، هذا الملك الذي استطـــاع بحكمته وبعزيمته ان ينهض بالبلاد بعد كبوتها نهضــة الشهم الكريم ، وان يحمي الاستقلال المغربي طـــول حياته بسياسته الرشيدة التي عرفت كيف تستغــل تزاحم الدول على البلاد ، وان يكسب صداقة اغلـــب دول اوربا واحترامهم لشعبه وعرشه ، فكان دائمـــا يبعث الوفود الى الحكومات الاوربية لتتمكن عـــرى الصداقة بينها وبين المغرب ، فمن ذلك ارساله للسيد محمد الزبيدي سفيرا وباشادورا له الى كل من فرنسا وبلجيكا وايطاليا وانجلترا ، واعطاه اموالا وهدايا فاخرة للعظماء وكان المقصود من هذه السفارة هو تجديد عقود المحبة وتاكيدها مع هذه الدول وتقرير ما عنده مـــن الاعتناء بجانبهم .

ولقد خرج هذا السفير المذكور الى فرنسا اولا حيث استقبلته الحكومة المحلية هناك استقبالا باهرا فاكرمته بكامل الاعتبار والاجلال ، وتلقى المارشال (مكماهون) رئيس الجمهورية الفرنسية ووزير الخارجية المسيو (دوك داكاز) الذي تفاوض معه بكل حفاوة ولطف .

ويقول المؤرخون ان دولة فرنسا هيات له بعد سفره الى بلجيكا قطارا خاصا وعربة تليق به وصحبه في ذلك خليفة وزير الخارجية والترجمان ولما اراد النهوض الى مملكة انجلترا اكريت بربط هيات له كذلك بابورا خاصا .

والتقى بالملكة الانجليزية (فيكتوريا) واجرى معها بواسطة وزيرها الاول محادثات ومفاوضات ، وهذا كتاب من وزارة الخارجية الانجليزية يشرح ما جرى من المفاوضات نقتطف منه ما يلي : « ياجناب السفير ان حكومة جلالة ملكة انجلترا قد احلت محل الاعتبار رسالتكم المؤرخة بـ 18 الجاري فيما يخص حماية الحكومات الاجنبية لجملة المغاربة القائمين بوظائف السمسرة او النيابة لدى التجار الاجانب ، وردا على رسالتكم المشار اليها اشعر سعادتكم بان حكومة جلالة الملكة ليست لها رغبة في بسط هذه الحماية على المغاربة الا بمقتضى نصوص الفصل الثالث من الاتفاقية المبرمة بين بريطانيا العظمى والمغرب في تاريخ 9 دجنبر 1856 وبمقتضى الفصل الرابع من الاتفاق التجاري والبحري الصادر في نفس التاريخ المذكور » .

وقد دامت المفاوضة اياما حتى تم الامر وفق ما يرام ويراد فرجع السفير المغربي الى فرنسا لتتميم المسائل التي لم تكن قد تمت هناك، ثم ذهب الى ايطاليا فاقتبل السفير الملك الايطالي ، وقدم اليه الهدية الملكية ، فاظهر له ملك ايطاليا غاية الاعتناء والبرور .

ثم ذهب لمدينة جنوة ومنها الى طنجة حيث رجع في مركب خاص حربي اعدته له الحكومة الايطالية ، وهكذا خلف هذا السفير في مدن اوربا آثارا خالدة مما جعل من المغرب معركة للتسابق بين الدول الاجنبية للحصول على الحظوة لدى الملك ، ونيل مصادقته اغلى بعض امانيهم .

وبعد هذه السفارة بعث سفارة اخرى ثانية للرئيس (كارنو) الفرنسي تراسها اولا السفير عبد المالك علي السعدي وثانيا الحاج محمد بن سعيد السلوي ، وفي سنة 1894 وجه ايضا ابا عبد الله محمد فنجا والسيد عبد السلام بن محمد السوسي والحاج عبد الكريم بريشة التطواني سفراء له في دولة اسبانيا كما وجه الخطيب بن هيمة وعبد السلام بن رشيد والحاج محمد بركاش لالمانيا ، وكانت له مع دولة البرتغال مكاتبات ومراسلات وتبادل السفراء من ذلك السفير (خسي دنيل كلاص) الذي قدم عند الملك بكتاب صادر من الملك البرتغالي لويز بقصد تجديد المحبة والمودة بين الجانبين ، وكانت له مع جمهورية امريكا علائق ومراسلات ايضا فمن ذلك كتاب الرئيس (هارسون) اليه منبئا بتاخير القنصل لويز عن خدمته بالايالة السعدية ، وكانت له مع بلجيكا علاقات ودية ويظهر من ذلك انه راسل ملكها (ليوبلد الثاني) جوابا عن كتاب بمناسبة نعي ولد اخيه .

وليس فيما سردناه من اعمال مولاي الحسن تجاه هذه الدول الا نماذج من العلائق الديبلوماسية التي ظل مسيرا لها طول حياته ليظهر بذلك انه مخلص لها ، ويرغب في صداقتها ، وانه يريد ان يعاملها معاملة سليمة مبنية على المساواة والحقوق والاحترام .

وبقدر ما كان مولاي الحسن يجهد نفسه في المحافظة على استقلال المغرب ازاء كل دولة مسلمة كانت او مسيحية ، فانه كان يسعى دائما وابدا في التمسك بالحياد ، وعدم تفضيل اي دولة على الاخرى ويجتهد في اثارة المشاكل بين الدول حتى لا توجه انظارها نحو المغرب المستقل .

وتعد معاهدة مدريد التي عقدت سنة 1890 من حسنات السلطان مولاي الحسن حيث كانت في صالح المغرب لانها وضعت حدا لنظام الحمايات ولطغيان النفوذ الاجنبي بالمغرب وهي اول معاهدة دولية عقدت للنظر في القضية المغربية ونقلها من دائرة المناقشات الضيقة الى الساحة الدولية العامة ، وقد حضرت في هذه المعاهدة الدول الاتية : المغرب ، فرنسا ، اسبانيا، انجلترا ، المانيا ، النمسا ، بلجيكا ، الدانمارك ، الولايات المتحدة الامريكية ، ايطاليا ، هولاندا ، البرتغال السويد ، وحضر نائبا عن المغرب فيها السيدان محمد بركاش والحاج عبد الكريم بريشة .

ان هذه المعاهدة بعد ان تقدم الزمن قليلا اصبحت تهدد الحكومة بفوضى اجتماعية وسياسية ، ولكن لم يقع شيء بموجب

هذا البروتكول طيلة ايام مولاي الحسن ، وحتى اذا توفاه الله وجلس ولده مولاي عبد العزيز على العرش فان الوزير احمد بن موسى قد عمل كل ما في وسعه على الاحتفاظ باستقلال المغرب واستقرار الامن والنظام في ربوعه والابقاء على مهابة الحكومة وجلالة العرش كما كان في عهد السلطان مولاي الحسن .

وفي الوقت نفسه اتبع خطة مولاي الحسن في سياسته الحكيمة وهي مقاومة التدخل والمحافظة على الاستقلال وارجاع حقوق المغرب الضائعة والتخفيف مما يضر به من الالتزامات الدولية وذلك بانشاء علاقات واتصالات بين جميع الدول المعاصرة ؛ منها السفارة التي بعثها لاسبانيا سنة 1895 للمذاكرة حول معاهدة كانت ممضية بين الدولتين وفي نفس السنة بعث سفارة لانجلترا لاستخلاص مرسى طرفاية .

وهكذا ظل المغرب في عهده محتفظا بوضعه الدولي الى ان مات رحمه الله ، وكان الملك مولاي عبد العزيز قد بلغ رشده ؛ وفي عهده حدثت حوادث وفظائع يشيب لها الرضيع حيث عمت الفوضى في جميع انحاء المغرب واختل النظام ؛ وانتشرت الحمايات والاضطرابات فمن ثورة ابي حمارة الجيلالي في الجنوب الى ثورة الريسوني في الشمال الامر الذي جعل البلاد تسير نحو الهلاك والدمار .

في هذه الظروف الحرجة التي كان يجتازها المغرب قرر مولاي عبد العزيز توجيه سفراء مندوبين لعواصم اوربا لطلب النصير من الدول العظيمة مثل فرنسا وانجلترا والمانيا ، وذلك للقضاء على هذه الثورات واعادة الهدوء الى نصابه ؛ لهذا الغرض سافر وزير الحربية آنذاك المهدي بن العربي المنبهي لانجلترا ، ومعه السيد عبد الرحمن بركاش والسيد الزبير سكيرج والسيد بوستة وعقد معها شروطا رسمية تحتوي على اربعة فصول ؛ وسافر ايضا السيد عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية آنذاك الى فرنسا وروسيا والمانيا .

ولم يكد يمر زمن قليل على حكم عبد العزيز حتى تحولت قضية المغرب الى قضية دولية ثار بسببها نزاع خطير بين الدول ، ودام اكثر من عشر سنوات وهذه الدول هي فرنسا اسبانيا ابريطانيا ايطاليا المانيا ، الا ان فرنسا كانت اشدهم خطرا على المغرب ففي سنة (1800) حصلت على تنازل ايطاليا عن مطامعها بالمغرب وفي مقابل ذلك تنازلت هي لايطاليا عن مطامعها بطرابلس وفي 1804 ابرمت مع انجلترا اتفاقا يقضي بتنازل انجلترا عن مقاومة فرنسا في المغرب وهذه بتنازلها عن مصر وجزيرة (نيوفاولدلات) ولكن بشرط ان لا تقيم فرنسا اية استحكامات في شمال المغرب ، وان لا تغض النظر عن حقوق اسبانيا ، وابرمت سنتي (1904 — 1905) اتفاقيتان مع اسبانيا تعاهدتا على اقتسام المغرب عند ما يتيسر احتلاله .

ظنت فرنسا بعد ما ابرمت هذه الاتفاقيات كلها ان الجو خلا لها فبادرت الى مولاي عبد العزيز تطلب منه ادخال الاصلاحات للمغرب ، ولكنه عارض في ذلك اشد المعارضة وكان جوابه لسفيرها (سان رينى طلنديير) : ان الحكومة المغربية لا تسمح لاية دولة منفردة عن باقي الدول في ادخال اي نوع من انواع الاصلاحات . وكان من اهم ما اقترحه السفير والح في التعجيل به هو احداث شرطة في ثغور المغرب وضواحيه .

ومما يزيد على ذلك وقوف المانيا الى جانب المغرب ؛ وعدم اعتبار تنازل انجلترا عن مطامعها في المغرب كاف لاطلاق يد فرنسا فيه ، وبهذه المناسبة زار امبراطور المانيا غليوم الثاني مدينة طنجة سنة 1905 وصرح بما يلي : (انا اقوم بزيارتي هذه لملك مستقل اتمنى ان تبقى سلطته العليا حرة ويصبح المغرب مفتوحا للتدخل السلمي من جميع الامم دون احتكار او امتياز على اي شكل من الاشكال) .

وعلى اثر هذا الصراع الطويل بين فرنسا والمانيا الذي كاد ان يؤدي الى حرب عالمية عقدت الدول بدعوة من السلطان مولاي عبد العزيز ومجلس الاعيان مؤتمرا دوليا في مدينة الجزيرة الخضراء سنة 1906 م وقد تضمن العقد اصلاحات تتعلق بنظام الشرطة وتكوين بنك مخزني ، وتنظيم مالية المغرب ، وتنظيم الجمارك ، والقضاء على تهريب الاسلحة ، ثم نص في فصل سادس على تنظيم الخدمات العامة .

واذا كانت هذه المعاهدة قد ضمنت في مقدمتها استقلال المغرب وسيادته وحفظ وحدة اراضيه فان بقية فصول المعاهدة نظمت التدخل الاجنبي في شؤون المغرب وتمييز فرنسا واسبانيا خاصة بحظوظ كبيرة .

كان السلطان مولاي عبد العزيز يفكر في ان هذا العقد سيبقى كما كان في اوله ، وتبقى علائقه مع فرنسا

قائمة على اساس « هافاس » وان يحتفظ هذا العقد في اساسه على مبدأ ثلاثي : سيادة السلطان ونفوذه ، استقلال المغرب ووحدته ، المساواة الاقتصادية بين جميع الدول . الا انه وجد العقد يسير في اتجاه ، وفرنسا تسير في اتجاه مما نتج عن ذلك دخول جيش فرنسي سنة 1907 بقيادة الجنرال ليوتي الى مدينة وجدة ثم في نفس السنة دخل الى الدار البيضاء وفي سنة 1908 احتل منطقة الشاوية .

وجاءت سنة 1911 حيث شاهد المغاربة حادثتين فاصلتين كانتا اشد الحوادث خطرا ، حادثة سجلها التاريخ بين فرنسا والمانيا ، وحادثة اخرى هي دخول جيش اوربي لاول مرة في تاريخ المغرب الاسلامي الى مدينة فاس تحت قيادة الجنرال الفرنسي مسيو (موانسي) .

وبما ان اسبانيا كانت ترى نفسها قرينة فرنسا في العمل بالمغرب فانها استقرت في المناطق المجاورة لمليلية وسبتة واحتلت مدينة العرائش والقصر الكبير .

وعلى اثر هذه الفتوحات والتدخلات نشبت ثورة داخلية على السلطان مولاي عبد العزيز ، الذي كان يظهر للشعب بمظهر المتهاون ، المتلاعب ، والضعيف المستسلم وبايعت اخاه عبد الحفيظ بصفته سلطانا منقذا ومحررا على اساس رفض معاهدة الجزيرة الدولية واجلاء الجيوش الاجنبية المحتلة ، وتطهير صفوف الامة من الحمايات الخارجية واطلاع الامة على سير المفاوضات مع الاجانب ، وعدم قبول اي اتفاق لا تصادق عليه الامة وتنظيم الدفاع عن الوطن .

لكن مولاي عبد الحفيظ لم يستطع ان يعمل شيئا من هذه الشروط المفروضة عليه من طرف الشعب في هذه الظروف الحرجة فكثرت عليه الاعتراضات من زعماء المغرب حتى سولت له نفسه الانسحاب والتخلي عن العرش ، وحتى لا يضطر الى الاهانة من الشعب .

وفي اثناء هذا الضغط العنيف على السلطان مولاي عبد الحفيظ قامت فرنسا تتم الدور الخطير الذي بدأته منذ اعوام طوال ، وذلك بادخال جنودها الى فاس للقضاء على هذه الثورات من قبائل المغرب والاعترافات من زعماء المغرب ، وقد خضع السلطان لذلك ، وفي هذه الاثناء وصل مبعوث الحكومة الفرنسية (رينو) الى فاس يوم 24 مارس 1912 ، واستعرض القوات الفرنسية انذاك امام عبد الحفيظ بغية الضغط والتهديد والارهاب ، وبعد هذا الاستعراض دخل (رينو) مع عبد الحفيظ في مفاوضة عقد الحماية ، وكان موقف السلطان هو الرفض . ومقاومة رينو مقاومة عنيفة كادت بعض الاحيان تؤدي الى فشل الخطة الفرنسية ، ولكن تحت التهديد والضغط الديبلوماسي والعسكري اضطر الى الاستسلام لمشيئة الوفد الفرنسي والتوقيع مكرها على عقد الحماية يوم 30 مارس سنة 1912 .

ولم يكد خبر اعلان الحماية يشيع في المدينة الفاسية حتى اعلن الجيش الملكي الثورة على رؤسائه وشاركت العامة الجيش في الاعتداء على بعض الاجانب واعمال النهب والافساد ووقعت معارك لا تزال تعرف بايام فاس الدموية، وقد تحدث احد الكتاب الفرنسيين عن هذه الحوادث بقوله : « كيف يمكن ان ينتظر من المغرب الذي ظل خلال ثلاثة عشر قرنا ليس فقط دولة مستقلة ولكن ايضا آخر وطن اسلامي يحافظ على التقاليد الاسلامية الطاهرة ان يدخل تحت الحماية دون اي احتجاج ؟ نعم لقد دخل المغرب بالقوة والاكراه تحت هذه الحماية ودخل تحتها غاضبا ومحتجا ، وثائرا ، كما يشهد بهذا التاريخ المغربي الحافل باعمال المقاومة والبطولة » .

ولم تكن الثورة تنطلق من عقال اهل فاس فحسب بل ظهرت عدة قبائل من بعد تحت زعامة السيد احمد الريسوني سنة 1913 في المنطقة الشمالية ثائرة على الجيوش الاسبانية ودامت اكثر من ثمانية عشر سنة وفي سنة 1921 وقعت بين الزعيم عبد الكريم الخطابي وبين الاسبانيين معارك جمة اهمها معركة انوال الشهيرة التي كان الانتصار فيها حليفه .

وهكذا كان المغرب ثورة تتلو ثورة في الجبال والسهول والبراري الى ان انشئت بدلا من المقاومة المسلحة مقاومة سياسية وحركات خفية وظاهرة وهجمات فدائية حيث دخل المغرب في طور جديد من الحياة والكفاح في سبيل الخلاص من السيطرة الاجنبية .

ومن صدد هذا الكفاح المرير الذي استرخصه جل المغاربة منذ عقد معاهدة الحماية من اجل الحرية ومن اجل الكرامة يقضي بي الامر الى ان اكتب هنا ما قاله السلطان مولاي عبد العزيز رحمه الله قال : « ما

اعظم حظ السلطان سيدي محمد نصره الله ، فقدكنت اكافح وحدي لما كنت سلطانا ، وما كنت اجد من يشد عضدي ويقوي ساعدي او على الاقل يقدرمقاومتي حق قدرها ولو كان لي رجال مثل رجال اليوم متيقظين شاعرين بالخطر المحيط بهم مؤمنين برسالتهم لما لحق المغرب ضيم ولما داس الاستعمار حقوقه » .

حقا ان المغرب وجد رجالا اقوياء ضحوا بحياتهم في سبيل المثل العليا والبلوغ الى الهدف المنشود بجانب البطل العظيم الملك محمد الخامس نصره الله الذي بذل كل ما في وسعه ليجني ثمرة شجرة الحرية التي يغرسها بيده ويسقيها بدمه ويغذيها بعرقه .

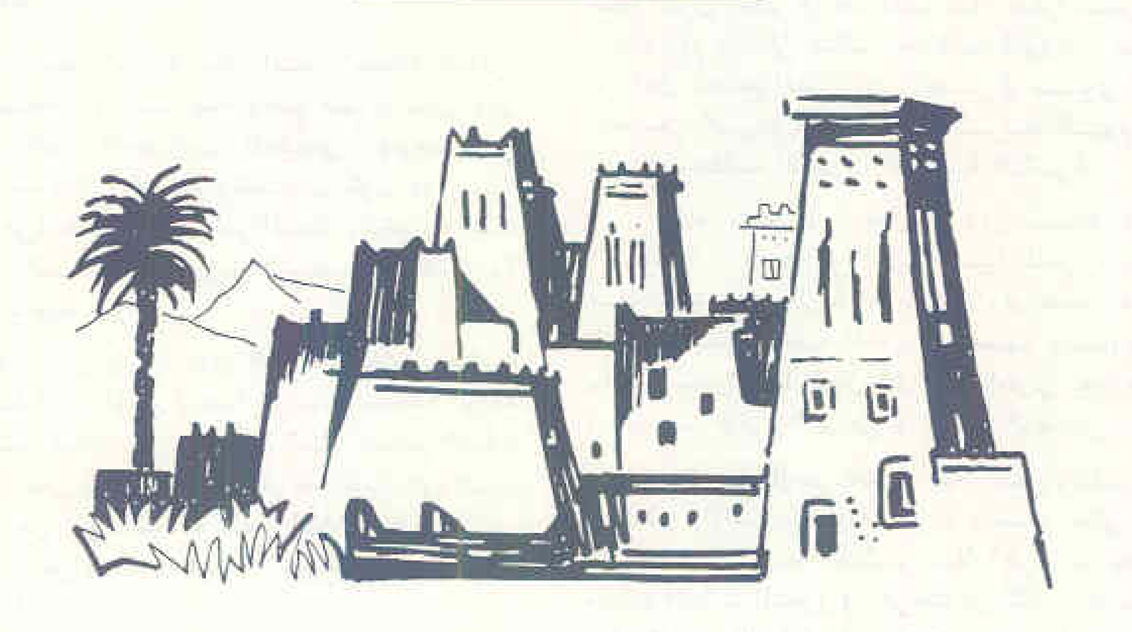
وبهذا المجهود المتبادل بين الملك وشعبه استطاع المغرب ان يبلغ آماله وان ترفرف راية الحرية والاستقلال على ربوع الاطلس الشامخ ، فتعيد عرق الحياة فيه من جديد .

وان المغرب الذي خرج من هذه المحنة قد وطد عزمه على ان يعود بعلائقه الديبلوماسية مع جميع الدول كما كان في سالفه متشبثا في ذلك بتقاليد التسامح والكرم والصداقة ، وهذه العلائق مبنية على عدم التبعية ناشدة التعاون مع جميع الامم الشرقية منها والغربية حتى يظهر المغرب بالمظهر اللائق كدولة عريقة في المجد ، فقد انضم المغرب الى منظمة هيئة الامم المتحدة وباقي المنظمات الدولية التي تخص الى منظمة اليونسكو ، والمنظمة الدولية للصحة كما انضم ايضا الى جامعة الدول العربية لتحقيق استقلاله والتعاون معها على ما يحقق سلامة الكل وطمأنينة الجميع .

وكانت النتائج التي حصل عليها المغرب من هذه المنظمات هو تصفية المشاكل المعلقة بينه وبين بعض الدول عن طريق المفاوضات ، وابرام معاهدات صداقة وتعاون ومراسلات مع ملوك الدول الصديقة ورؤسائها

ولقد اتسع نطاق المغرب الديبلوماسي في تمثيله الى حد كبير سواء في الشرق او في الغرب حيث اسست ممثليات سياسية وقنصلية مع كثير من الدول .

ولنجعل ختام هذا الحديث فقرة من تصريح جلالة الملك محمد الخامس في هيأة الامم المتحدة حيث قال : (ومن البديهي ان بلادا كالمغرب تمتاز بموقع جغرافي وستراتيجي هام وتتمتع بنظام كالذي نرغب فيه لجديرة بان تقوم بادوار هامة في دائرة التعاون الدولي وتحتل مقاما في مصاف الامم الحرة) .





مؤتمر وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء

اجتمع في القاهرة في اوائل هذا الشهر مؤتمر وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء بمبنى وزارة شؤون خارجية الجمهورية العربية المتحدة ، وكان ذلك بعد مرور اقل من اربعة اشهر على المؤتمر الافريقي الخالد الذي شهدته مدينة الدار البيضاء ، وبعد اجتماع الخبراء الافارقة في كل من اكرا والقاهرة .

ولم يشبه هذا المؤتمر اي مؤتمر آخر شهدته القارة في اي فترة من تاريخها ، لانه لم يجتمع ليضع ملتمسات او يصادق على قرارات او يسجل احتجاجا، ولكنه كان في جوهره مؤتمرا للتخطيط والبناء ، ومؤتمرا لبلورة الاماني ،وافراغ التصميم والعزائم في اطارهما العملي المحكم التنظيم .

ومن بعض الوجوه يمكن اعتبار اجتماع القاهرة الاخير بمثابة ندوة تشريعية وضع فيها دستور دول زهدت في العمل الدبلوماسي التقليدي ، وبرمت من التصريحات والقرارات ، وارتضت ان تكون لها جبهة متحررة قوية تدعم الجانب غير المنحاز وتاخذ بالاقتصاد والثقافة والسياسة نحو طريق لاتحف بها اطماع ولا يعلق بها توجيه خارجي .

لقد ارسى رؤساء دول الدار البيضاء في بداية هذه السنة البناء المتين لوحدة الوسائل ووحدة الواقع الذي تعيش فيه ، وكان على ذلك البناء الشامخ الصلب ان ينظم العمل في جنباته وان تترجم امانيه الى التزام قانوني يدخل الى صلب الوضعية الداخلية في كل دولة ، ويسجل في الامم المتحدة لتصبح له قوة النفاذ الدولية .

وذلك ما فعله المؤتمر الاخير في القاهرة .

فقد درس البروتوكول المتفق لميثاق الدار البيضاء ووقع عليه وزراء الخارجية ، وهذا البروتوكول الذي يستمد قوته وايجابيته من الميثاق الافريقي الخالد ينظم النضال التحرري وينهج العمل الخارجي لدول اتخذت لها من الوحدة الافريقية شعارا ومن الحياد وعدم التبعية اساسا لسلوكها الدولي ومن النمو الاقتصادي والاجتماعي في اطار واقعها الافريقي طريقا نحو الازدهار غير المشوب .

ان هذا التنظيم المذهبي الصميم الذي افرغ على شكل تعاهد وتعاقد هو ما تحتاجه القارة في سيرها الحثيث نحو حريتها واستكمال اسباب عزتها وهو مهمة كبرى تعتبر في حد ذاتها عملا جبارا مشتركا يؤدي بافريقيا الى تنظيم انطلاقاتها الثورية وكفاحها من اجل مجتمع افضل والى العيش في مستوى التطور التاريخي السريع الذي تحياه بشرية اليوم ، وفي مستوى مطالب الشعوب الافريقية الثائرة .

لقد صنع وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء اداة العمل من اجل افريقيا المتحررة وفتحوا صفحة جديدة في تاريخ افريقيا ، ولم يخلقوا هذه الادوات المنظمة الحية المتحركة لانفسهم ولشعوبهم ؛ وانما فسحوا فيها المجال لكل دولة اخرى يجد حكامها في انفسهم الوازع الافريقي والضمير الوطني .

واذا كان المؤتمر عقد في جو اقليمي وعالمي مليء بالاخطار والمآسي بالنسبة للحرية والسلم العالمي ، فانه قد اضاف الى عمله التنظيمي عملا آخر وهو تحديد موقف الجانب المتحرر في افريقيا من تلك المشاكل الافريقية او الدولية واتخذ بشانها قرارات سلكت طريقها نحو التنفيذ .

ودراسة هذه المشاكل واتخاذ الناجع من الحلول لها ، برهنا على ان دول الدار البيضاء وان الشعوب المتحررة فى بقية انحاء افريقيا والعالم ، لاتحتاج الى وقت طويل تصرفه فى تقريب وجهات النظر فيما بينها أو للتفاهم حول حلول او انصاف الحلول ؛ وانما تجد الوقت فقط للكفاح من اجل اهداف مشتركة وبوسائل واحدة .

البيان المشترك النهائي
الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية
دول ميثاق الدار البيضاء
(30 ابريل ـ 5 مايو 1961)

اجتمع وزراء خارجية دول ميثاق الدار البيضاء الافريقي فى القاهرة فى المدة بين 30 ابريل و 5 مايو سنة 1961 لبحث توصيات لجنة الخبراء التي اجتمعت فى أكرا لتنفيذ قرارات ميثاق مؤتمر الدار البيضاء .

وقد حدد وزراء الخارجية نص بروتوكول ميثاق الدار البيضاء الافريقي ووافقوا عليه . وقد اتخذوا القرارات والاجراءات الضرورية لانشاء الاجهزة التي نص عليها ميثاق ألدار البيضاء فى اسرع وقت .

وقد بحث وزراء الخارجية المشاكل الافريقية والدولية التي تهم افريقيا والعالم كله . واتفقت وجهات نظرهم تماما بالنسبة لجميع هذه المشاكل واحيطوا علما بتطورات الموقف فى الكونغو وقرروا زيادة تعزيز جهودهم لحماية استقلال الكونغو ووحدته الجغرافية والوطنية ، مع تأييد حكومته الشرعية التي يرأسها السيد انطوان جيزنجا .

وبحث وزراء الخارجية التطورات الاخيرة فى قضية الجزائر وجددوا تأكيدهم غير المشروط بتأييد كفاح الشعب الجزائري واعربوا عن موافقتهم المطلقة على السياسة التي تنهجها حكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة ، والتي تستهدف الوصول الى حل عن طريق المفاوضات يقوم على اساس حق الشعب الجزائري فى الاستقلال وتقرير مصيره ، وعلى اساس وحدة الجزائر .

وقد جددوا العهد بتأييد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي ورغبتهم فى تنفيذ القرارات الخاصة بفلسطين والتي تمت الموافقة عليها فى الدار البيضاء .

ودرس وزراء الخارجية التطورات الاخيرة فى حركات الكفاح الوطني الدائرة فى اجزاء مختلفة من افريقيا وخاصة فى انجولا ، واكدوا تأييدهم لشعب انجولا ، واشادوا بكفاحه الباسل وناقشوا كذلك الاجراءات والتدابير التي يجب ان تتخذ لتنفيذ قرارات الدار البيضاء لا سيما الخاصة بالتفرقة العنصرية .

واتفقت وجهات نظرهم تماما بالنسبة لمشكلتي نزع السلاح وتحريم التجارب الذرية .

ودرس وزراء الخارجية الموقف فى لاوس واكدوا ضرورة المحافظة على استقلالها ووحدة هذه الدولة وحيادها .

وادان وزراء الخارجية التدخل الاجنبي فى كوبا واعربوا عن اعجابهم بكفاح شعب كوبا فى سبيل محافظته على استقلاله والدفاع عن اراضيه .

الجمهورية العربية المتحدة بعد ثلاث سنوات

للاستاذ احمد الرجال

ان قيام الجمهورية العربية المتحدة لم يكن فقط اساسا لوقوع تعديل جديد على وجه الخريطة السياسية لمنطقة الشرق الاوسط ، لا ولم يكن مجرد تغيير عددي للوحدات الدولية الكثيرة التي تملأ حيز هذه المنطقة ، لقد كان بدء انطلاقة كبرى في السبيل الواضح الذي تختطه المجتمعات اليقظة لنفسها عندما تريد التحرر من اسار القيود الفكرية والعقد النفسية التي تحول بينها وبين التطور ، لقد كان وثبة هائلة في طريق التحرر والتقدم والتجديد ، وطفرة سريعة في مجال التغلب على التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه البعث العربي الحديث ، وكان ــ بالنتيجة لذلك ــ اسهاما ايجابيا في تقويم الفرد العربي وصقل انسانيته وتاصيل وجوده وتنظيم نشاطه وملكاته وقيادته الى سبيل الثورة الخلاقة المبدعة من اجل الحياة ومن اجل القوة ومن اجل النمو والتطور .

في مطلع سنة 1958 ــ اي منذ ثلاث سنوات فقط ــ كانت الجمهورية السورية لاتزال تشكل ــ في محيط الحياة الدولية ــ كيانا سياسيا متميزا له شخصيته الثابتة المستقلة ، وذاتيته الخاصة المتفردة ، وكانت مصر ــ هي الاخرى ــ لم تعد بعد ــ كما هي الآن ــ مجرد اقليم عار عن كل صبغة دولية خاصة ، كانت الدولتان متمايزتين عن بعضهما البعض تمايزا واضحا سواء فيما يتصل بطبيعة نظام الحكم او واقع الحياة السياسية الداخلية او صبغة الظروف الدولية القائمة ، ولكن القطرين كانا ــ مع ذلك ــ على درجة قصوى من التقارب في المقاصد والغايات ، والتداني في المشاعر والعواطف والترابط في المصالح والمنافع ، وذلك الى حد كان يوحي بانهما يشكلان بالفعل وحدة ضمنية غير مباشرة يختط لهما القدر في ظلالها ذات الاتجاه ويحدد لكليهما نفس المصير . والواقع ان هذه الامكانيات الوحدوية التي كانت تتوافر بين البلدين لم تكن فقط وليدة التوافق والتلاقي حول بعض الخطوط المصلحية العابرة او البوادر الانتهازية العارضة كما انها لم تكن ايضا ناشئة عن نوع معين من الاحلاف والمعاهدات تنتهي بانتهاء مراميها واغراضها كما هو الشأن بالقياس لكثير من الحالات

الدولية من هذا القبيل ، ان الامكانيات التوحيدية بين مصر وسوريا كانت ــ في جوهر الامر ــ امتن اصولا واعمق جذورا من كل ذلك ، لانها تتصل في جوهرها باعمق مواطن الشعور والاحساس عند الجماهير والكتل الشعبية في كلا البلدين ، ولانها كانت ــ وعلى امتداد الحقب والقرون ــ من اقوى العوامل السياسية والاجتماعية والنفسانية التي ساهمت ــ حقيقة ــ في تحديد مصير الاشخاص والدول بمجموع بلاد الشرق العربي واثرت تاثيرا عميقا في وجهة سير الاحداث والتيارات التاريخية بالمنطقة .

وعلى هذا فيكون من المعقول جدا تقدير هذه الامكانيات على حقيقتها واعتبارها لا على اساس انها تمثل مجرد ظواهر سياسية دولية قصيرة الاهداف ، محدودة المدى ، بل على انها تشكل قاعدة حقيقية لوحدة طبيعية حتمية لم يكن لتعاقب الايام والاحداث الا ان يساهم في تمديد ابعادها وتعميق جذورها وتاصيل مدلولاتها الفلسفية والعملية ، لانها كانت ــ قبل ان تتخذ شكلها الرسمي الدستوري ــ وحدة شعبية جماهيرية نابعة من ضمير الشعب العربي في القطرين ، ومكرسة لارادته الكاسحة ، واتجاهه الواعي ،

وعواطفه الحية المتبادلة ، وكانت حملة السويس (1956) احدى المناسبات العابرة التي عبرت فيها هذه الوحدة الشعورية الوجدانية عن وجودها الحي المليء بالامكانيات الخلاقة المبدعة والفاعليات الايجابية الخيرة ، وكان هناك غير حملة السويس من المواطن التي ساهمت ــ بحق ــ في تعميق الوعي الوحدوي بين سوريا ومصر ، واعانت على ابراز واقعية هذا الوعي وتاصيل المعاني القومية الرفيعة التي ينطوي عليها تاصيلا جذريا بعيد الاثر والمفعول ، ومن بين هذه المواطن :

1) مشكلة قطاع غزة ــ فقد انطبع موقف سوريا اوائل سنة 1957 من المشكلة الناجمة عن استمرار احتلال اسرائيل لهذا القطاع بعد جلائها عن سيناء ــ بطابع التصلب الذي يجب ان يوحيه الضمير القومي العربي بالنسبة لمثل هذه القضية وما شاكلها ، وقد استمسكت حكومة دمشق آنئذ ــ مؤيدة من طرف الراي العام السوري ــ بمبدأ عدم السماح بمرور الزيت على التراب الوطني لسوريا الا في حالة ما اذا تم ارغام القوات الاسرائيلية الغازية على النزوح عن منطقة غزة بدون سابق اشتراط ، ولم تنعم اوربا ــ فعلا ــ بالزيت العربي عبر سوريا الا بعد ان تقرر اخلاء المنطقة نهائيا ، وعودتها الى الادارة المصرية واضحى ذلك غير ذي موضوع او مناقشة .

2) مشكلة التدخل الامريكي في الشرق الاوسط (1957) فقد اتخذ هذا التدخل ــ بعد اخفاق حملة السويس ــ اشكالا جديدة ومباشرة تجلى البعض منها في مذهب الرئيس ايزنهاور لملء الفراغ الناشيء عن انهيار النفوذ الفرنسي الانجليزي بالمنطقة ، وتمثل البعض الآخر في عروض التصالح العربي الاسرائيلي ومشاريع التقسيمات المالية الفلسطينية والتعاون المتبادل بين العرب واسرائيل وغير ذلك من المقترحات الامريكية للعرب ، كما تكشف صنف ثالث من هذه التدخلات في سور اخرى غير هذه اكثر دقة والتواء .

والواقع ان السياسة الامريكية ــ في هذا المجال ــ كانت تقوم على اساس من الافتراضات التي اثبتت الوقائع ــ فيما بعد ــ مدى ما تنطوي عليه من اخطاء واغلاط ، ومن بين هذه الافتراضات : الاعتقاد بان الوجود العربي في الشرق الاوسط ليس في مستوى يؤهله لمواجهة التحديات الخارجية التي تتعرض لها المنطقة باستمرار ، استنادا الى الزعم بان هذا الوجود لا يشكل في صميمه مظهر قوة دولية موحدة وفعالة لها كبير وزن واعتبار ، وانما هو فقط كناية عن «تراكم» قوات جماهيرية غير واعية ولا منضبطة من السهل التاثير على وجهة سيرها والهيمنة على مقدراتها السياسية والدولية بطريق التدخل المباشر او غير المباشر وقد كان من الجائز ان يستنفذ هذا التدخل ــ فعلا ــ بعض اهدافه ومراميه لو لم يصطدم بالواقع الشعبي والحكومي العربي ممثلا في سوريا ومصر وما كان يمثله تعاونهما من قوة دولية متينة ، فقد امكن للقطرين العربيين ــ بالرغم من تباين بعض الظروف الدولية المحيطة بهما ــ امكنهما ان يلتزما امام الامتداد الامريكي الجديد ــ نهجا مسلكيا موحدا لم تستطع معه جميع الاشكال التي تبلور فيها هذا الامتداد من استنفاذ المقاصد العامة المتوخاة منها ، فلم يكن هناك امام مذهب الرئيس ايزنهاور اي مجال لترويض القومية العربية على انتهاج سبيل التبعية والالتزام ، وارتد المشروع فعلا امام وعي القاعدة الشعبية العربية وتصميمها على الوفاء لمبدأ الحياد الايجابي واصرارها على تاكيد الذاتية العربية كاقوى عامل سياسي واجتماعي قومي في منطقة الشرق الاوسط ، وكان لسوريا ومصر ــ حكومة وشعبا ــ اكبر الاثر في ابراز هذه الحقيقة التاريخية القوية وتاكيد الجوانب السياسية والقانونية والنفسانية التي تنطوي عليها تاكيدا قويا مطلقا .

وكما كان لهذه الوحدة التلقائية الضمنية رصيد ضخم من وعي الشعب العربي تستمد منه قدرتها على النمو والثبات والاستمرار ، وتؤمن به وجودها بكل ما له من فاعلية وحيوية وتاثير ، فقد كان لها ايضا ــ على الصعيد الرسمي الحكومي ــ مظهر بارز يتمثل في ميثاق التضامن العربي والقيادة العسكرية العربية الموحدة التي كانت تضم ــ الى جانب الاردن والسعودية ــ كلا من سوريا ومصر .

لقد كان هذا الميثاق ــ في الواقع ــ مجرد اداة لتحقيق بعض الارتباط وتامين نوع من التساند والتعاون بين الدول المنخرطة فيه ، ولم يكن يشكل ــ حقا ــ مظهر وحدة حقيقية جذرية توازي مستوى الوعي الجماهيري في هذا الميدان . الا انه ــ مع ذلك ــ كان خطوة مرحلية هامة في طريق الانسجام مع هذا الوعي وتكريس وجوده ، وابراز بعض ماله من فاعلية وتاثير وقد استطاع ميثاق التضامن هذا ــ بعد ان

اصبح يقوم على اساس التعاون بين مصر وسوريا خاصة ، وبعد ان غادره عمليا كل من السعودية والاردن ـ استطاع هذا الميثاق حينئذ ان يصمد طويلا امام مختلف التيارات الدولية والاقليمية ، ولم يكن للاسطول الامريكي السادس في ربيع 1957 ان يتحيف من فعاليته وقوته ، او ينال من تماسك الوحدة التي كانت تربط بمقتضاه بين القاهرة ودمشق ؛ ولهذا فقد كان طبيعيا ان يصبح اهتمام الغرب في منطقة الشرق الاوسط مركزا حول هذا الميثاق ومنصبا على محاولة تدميره ونسف قواعده كليا او جزئيا ، حتى يكون من ذلك سبيل الى الاخذ بزمام المبادرة في المنطقة ، وتحديد التيارات القومية العنيفة التي تصطرع في محيطها ، وتم على هذا الاساس تخطيط الاستراتيجية السياسية والديبلوماسية التي كانت تستهدف في اساسها عزل مصر دوليا واقليميا ، وبالتالي عزل سوريا على نفس الصعيد الدولي والجهوي ، وقد كان يبدو في اواخر ربيع سنة 1957 ان ستراتيجية العزل قد استوفت ـ في الواقع ـ كثيرا من شروطها ، واضحت نتائجها في بعض الجوانب حقيقة واقعية ، وقد تضخمت هذه الفكرة بالفعل وتجسمت مدلولاتها في اعين الكثير من المراقبين حيث صار من اليسير الاعتماد عليها في تقدير بعض الآفاق الدولية العامة في منطقة الشرق الاوسط ، ولم تحجم ساعتها جريدة «التايمس» عن التاكيد بان «الصدمات» التي احسها العرب نتيجة الاقدام على تاميم القناة ونشوب معركتي سيناء وبورسعيد ـ هذه الصدمات هي التي كانت اساسا لانعزال مصر عن المحيط العربي وبالتالي نجاح الحصار السياسي والاقتصادي المضروب حولها من جانب العالم الغربي ....

وكان من المحتوم أن تمتد ستراتيجية العزل ـ بعد ذلك ـ ليتم لها تطويق الجزء الآخر من عالم ميثاق التضامن العربي (سوريا) ، وكان التكتيك هذه المرة ذا شعبتين اساسيتين : العزل ثم الامتصاص .

والقى السوريون انفسهم ـ على هذا الاساس ـ في بؤرة حرب سيكولوجية دولية محددة الاهداف والمرامي ، واتخذت هذه الحرب صبغة اكثر حدة غداة رحلة المستر هندرسون الى الشرق الاوسط وتازم الوضع العسكري على كثير من النقط الهامة بالحدود السورية الاسرائيلية والعراقية ، وعلى الرغم من الانفراج الجزئي الذي اعقب كل ذلك اواخر سنة 1957 واوائل سنة 1958 فان الامكانيات الانفجارية المنبثقة عن تلك الفترة الدقيقة من الحرب الباردة لم تكن بعد قد فقدت كل فعالياتها واحتمالاتها المفاجئة المهولة .

في هذا الجو المثقل بالنذر والارهاصات كان انبلاج فجر الجمهورية العربية المتحدة ؛ فبعد ما افضت مخابرات الوحدة بين القطرين السوري والمصري الى نهايتها الطبيعية والمحتومة ، وبعد أن تم تذليل كافة العوائق المفتعلة التي كانت تقوم حائلا دون قيام هذه الوحدة اعلن في اليوم الاول من ببراير 1958 اندماج سوريا ومصر في جمهورية عربية متحدة ذات كيان دولي متميز وشخصية قانونية متفردة ؛ فكان ذلك ايذانا بانفتاح آفاق جديدة في حياة الامة العربية الحديثة ، واستجابة طبيعية لاعمق احاسيس هذه الامة ومشاعرها وانسجاما معقولا مع تيار التاريخ وتطوره . وقد يتساءل البعض : هل كان هناك من صلات وروابط بين التطورات الدولية التي شهدها الشرق الاوسط في اعقاب حملة السويس (1957) وبين قيام الجمهورية العربية المتحدة ؟ هل من الممكن ان يكون للاجواء التي تمت فيها هذه التطورات اثر في فسح المجال لقيام هذه الجمهورية ؟ هل كانت الوحدة اذن نتيجة حتمية للظروف الخارجية التي كانت تحيط بكلا القطرين الموحدين ؟ .

اننا في الواقع لا نستطيع ان نجد في الظروف والاحداث تاثيرا جوهريا في الامر ، فقد كان هناك ـ كما قدمنا ـ من الدواعي النفسية والعقلية والتاريخية ما كان يجعل من الوحدة السورية المصرية امرا طبيعيا ومحتوما ويبررها كضرورة دولية ملحة يحتمها التسلسل المنطقي التاريخي وتفرض وقوعها طبيعة التفكير القومي العربي الحديث ، واذا ما استقرينا ظواهر تاريخ الحركة التوحيدية العربية الحديثة ـ وخاصة خلال الحقبة الاخيرة التي نعيشها ـ امكننا ان نستخلص كثيرا من الاستنتاجات الهامة التي لها صلة بهذا المقام والتي تؤكد ـ بحق ـ راديكالية العناصر النفسانية والفكرية التي ادت الى قيام الوحدة الحالية :

لقد ارتبط تاريخ سوريا الحديث ـ وخاصة بعد ماساة فلسطين ـ بمشاريع الوحدة والاتحاد في اشكالها ودرجاتها المختلفة ولكن الوحدة ـ مع ذلك ـ لم تكن

ـ بالنسبة للرأي العام السوري ـ تعني المغامرة غير الواعية ، لقد دلت الوقائع التي تشكل حياة سوريا الداخلية فيما بين سنة 1949 و 1954 على ان مفهوم الوحدة عند الجماهير فى الاقليم الشمالي الحالي كان يرتبط دائما بمعاني التقدم والتحرر والانطلاق ، وهذا ما يفسر المعارضات الشديدة التي كانت تصطدم بها بعض المشاريع التوحيدية ، تلك التي كان يباركها الوضع الموجود فى العراق على الرغم مما كانت تحظى به من تاييد ومساندة من بعض التشكيلات السياسية فى دمشق ، وقد كان القوتلي ـ وهو فى منفاه القسري بمصر ـ الروح المناوئة لهذه المشاريع ، ولم تكن مناوآته تلك مجرد انعكاس لنوع من الاتجاهات الفردية او الحزبية المعينة ، وانما كانت ـ فى الواقع ـ مظهر انسجام حقيقي مع الروح التي كانت تسود الجماهير السورية على العموم والتي كانت تحدو هذه الجماهير الى العزوف عن كافة اشكال الوحدة المشبوهة والمشوبة كمشروع الهلال الخصيب والوطن القومي السوري وغير ذلك . ولا جرم ان المعارضة التي كانت تجابهها هذه المشاريع تؤول فى اغلب الاحوال الى الاعتقاد بوجود بعض الصلة بينها وبين المصالح الغربية الدائمة فى الشرق الاوسط ، ومما كان يؤكد هذا الاعتقاد ماكان يلاحظ على بريطانيا من ميل شديد الى مظاهرة مشاريع الوحدة السورية على هذا الاساس ، وتعزيز مطلق للجهات التي تعمل لحساب هذه الوحدة ، وتجد فى العمل على تحقيقها ، ولهذا كان من الطبيعي ان تجتاح الراي العام السوري مشاعر الارتياب والاشتباه فى هذه المشاريع ، ويقوده ذلك ـ بالطبع ـ الى التزام قسط كبير من السلبية والبرودة ازاء الدعوات المتكررة اليها والبوادر المتخذة فى سبيل تحقيقها ، بل واللجوء الى مناوئتها ـ بصورة مباشرة وعلى نطاق واسع جدا فى بعض الحالات . على ان هذه السلبية المطلقة التي كان يتسم بها موقف الشعب السوري من مشاريع الوحدة « الهلالية » لم تحل دون استرسال العمل الدعائي المنظم الذي كانت تتبناه بعض الاحزاب السورية فى سبيل الدفاع عن هذه المشاريع .

واجتذاب الجماهير الى مظاهرتها بجميع الطرق والوسائل ، وفى اعقاب حرب فلسطين وما خلفته فى سوريا من صدمات سياسية وسيكولوجية ـ اصبح النشاط الدعائي للوحدة السورية اوسع نطاقا من ذي قبل ، واكثر اتصالا بحياة الجماهير واهتماماتها ، واشد ملاءمة للظروف القاسية التي كانت تجتازها هذه الجماهير ، وغدا اسلوب الدعوة حينئذ يعتمد على اسس نفسانية ملائمة كالتخويف الجماعي من غموض المستقبل ، والتلويح بالاخطار الجاثمة على الحدود الاسرائيلية والتلويح بالوحدة (كيفما اتفق) كاساس للتخلص من خطورة هذه الامكانيات والاحتمالات . وكان العهد الانقلابي الثاني الذي قاده الزعيم سامي الحناوي فى سوريا (1949) مجالا رحبا لتركيز الدعوة فى مشاريع الوحدة المعروضة على هذا الاساس ، وضمان التاييد الشعبي لمضمونها ونتائجها ، وقد جهدت الحكومة الانتقالية فى ذلك الحين فى تهيىء الراي العام السوري الى تقبل مبدا الوحدة على اي اساس ممكن ، وذلك لانقاذ سوريا من اخطار الاكتساح الاسرائيلي ومساعدتها على التخلص من الازمة الاقتصادية التي كانت ترين عليها ، لكن تصميم الجماهير كان فى اساس العوامل التي حالت دون ذلك وافضت التعقيدات السياسية التي خلفتها تلك المحاولات الى اقبار ذلك العهد برمته .

وعلى الرغم مما كان يبدو به العهد الانقلابي الرابع بسوريا (عهد الشيشكلي الاخير) من ميل ظاهري الى التضامن العربي وعطف سطحي على مبادىء القومية العربية المتحررة فان هذا العهد لم يستطع ـ مع ذلك ـ الصمود امام المعارضة الشعبية العارمة التي ما فتئت تواجهه باستمرار ، والتي افضت ـ فى المحط الاخير ـ الى الاعفاء عليه وابادته بصورة نهائية وحاسمة ، وذلك لان وجوده لم يكن يستجيب للاماني العربية الحقيقية فى سوريا ، ولم يكن يبدو ـ كما يجب ان يكون ـ سبيلا واضحا للوحدة المنشودة ، كما ان القوامين عليه كانوا على درجة من الجموح فى الفردية والشخصية لا يتفق والتفكير التعاوني الجماعي الفعال الذي تنهض عليه المبادىء الوحدوية العربية .

وهكذا توالت الاحداث ، وكان من المعقول ان تفضي الزعازع السياسية العسكرية التي انتابت دمشق الى نهايتها ، فاصبح فى امكان الشعب السوري ان يسترد حريته فى الاختيار السياسي داخليا وخارجيا ، وغدا من الميسور له حينذاك ان يتخذ سبيله الى الاتجاه الذي يتلاءم مع طبيعة تفكيره القومي العربي ، وينسجم مع وجهته التاريخية الحتمية ،

وبذلك امكن للتيار الشعبي في سوريا ــ اذ ذاك ــ الذي كان قد اطاح بمشاريع الوحدة في صورها الماضية ان يسهم بشكل اساسي سنة 1958 في انجاز الوحدة مع الدولة المصرية وفي اطار الجمهورية العربية المتحدة ؛ وهكذا تمت الوحدة بين البلدين العربيين في جو من الاجماع الشعبي يندر ان يوجد له معادل او مماثل ، اذ ان الشريك كان في هذه المرة بلدا متحررا من القيود التي يمكن ان تحد من قدرته على اداء الرسالة العربية الخالدة او تحول بينه وبين مقاومة التيارات المختلفة التي تستهدف تحريف هذه الرسالة ، والنيل من سلامتها ومثاليتها الانسانية الرفيعة ، وبذلك جاز ــ باقصى ما يمكن من السهولة واليسر ــ تحقيق الاندماج الفعلي بين سوريا ومصر حيث غدا كل منهما يمثل طرفا لا يتجزأ من كيان موحد هو الكيان الماثل في نظام الوحدة المصرية السورية . انه من الميسور لنا ــ على ضوء هذا الاستعراض الموجز ــ ان نخلص الى تكوين الاستنتاجات الآتية :

1) كان مبدأ الوحدة ــ ولو على اساس اندماجي ــ مبدأ رئيسيا في ذهنية الجماهير العربية بالاقليم الشمالي الحالي وحقيقة اساسية من حقائق التطور التاريخي للفكرة القومية بهذا الاقليم .

2) كان التفكير التوحيدي عند هذه الجماهير تفكيرا واعيا ومتبصرا وهادفا .

3) لم يكن للظروف تاثير هام في خلق هذا التفكير او تحقيق نتائجه ، وعلى افتراض فعاليتها فانها ــ مع ذلك ــ لم تكن عوامل تاسيسية خلاقة ، بل انها كانت فقط ــ اذا قدرنا لها اعتبارها ــ عوامل حاثة ومعجلة ساعدت على الاسراع بقيام نظام الوحدة المصرية السورية دون ان تكون اساسا جوهريا في ذلك .

4) لم يكن الاعلان عن قيام الوحدة بين مصر وسوريا ــ بالصورة التي تم عليها تخطيط هذه الوحدة ــ لم يكن ذلك ــ في واقع الامر ــ الا مجرد نتيجة منطقية لطبيعة العلائق التي كانت تصل دائما بين الشعبين الشقيقين ، وتسهم ــ فعليا ــ في التقريب بينهما وتوحدهما على صعيد التفكير والاتجاه والوسائل والغايات وتحدد وجهتهما الدائمة ومصيرهما الازلي عبر الاجيال والقرون .

وعلى كل فان قيام هذا التنظيم التوحيدي العربي كان له من الآثار والانعكاسات ما يذهب به بعيدا في الاهمية والخطورة فقد كان الحادث في جوهره وملابساته ونتائجه سابقة عربية معاصرة لم يتح للعروبيين مثلها منذ احقاب بعيدة وقد كانت تمت بالفعل ــ من قبل ــ بعض اشكال من الوحدة بين العرب على اسس ثنائية او جماعية او شبه جماعية ، الا ان الشكل الذي تمت به الوحدة بين مصر وسوريا يبقى مع ذلك متفردا بميزات اساسية تتيح له من الاهمية والاعتبار ما لم يكن يتوافر للاطوار التوحيدية السابقة ، ومن هذه الميزات :

1) سلامة قواعده : فقد كان تلقائيا وجماعيا ولم يكن يستمد وجوده من عناصر قسرية او قهرية سواء من هذا الجانب او ذاك .

2) طبيعة تكوينه ــ فقد نهض ــ ولو مبدئيا ــ على احسن ما تنهض عليه المبادرات التوحيدية من تمازج وانصهار والتحام واذا كانت مظاهر الامتزاج النهائية لم تتم بعد فذلك لايعني وجود مراجعات مبدئية او اساسية (لان نقطة الانطلاق الاولى كانت شعبية كاسحة ولم تكن مفتعلة ولا مختلقة) وانما ذلك ناشيء عن نوع الجهد الذي يقتضيه اكتساح مخلفات انفصالية متسربة دامت احقابا بالرغم من انها لم تكن طبيعية ولا عادية ، ولا شك ان الجهاز التنظيمي للوحدة الحالية كفيل بتحقيق القضاء على هذه المخلفات والرواسب واتمام الشكل النهائي للدولة الموحدة في اكثر مظاهره قوة ومتانة وكمالا .

كل هذا بالاضافة الى بعض المزايا الاخرى التي ربما لاينفرد بها نظام الوحدة السوري المصري عن غيره من البوادر التوحيدية التي عرفها العالم العربي في فترات تاريخية مختلفة ، ولكنها ــ مع ذلك ــ تبدو في هذا النظام اشد وضوحا وبروزا واكثر فاعلية وتاثيرا ، ومن بين هذه المزايا :

3) قوة تماسكه ، وليس له ــ في الواقع ــ الا ان يكون متماسكا ، لان هنالك من القواعد والاصول التي ينبني عليها ما يكفل له اكبر نصيب من الحصانة الممتنعة على عوامل البلى والانقراض ؛ ومن اهم هذه الاصول : الوحدة الشعورية ــ الرغبة المشتركة ــ

المصالح المتبادلة ــ الاهداف الموحدة ــ هذا بالاضافة الى العناصر التوحيدية الاخرى من لغة مستعملة ودين مشبع ونظام سياسي متشابه وصلات تاريخية مكينة الى غير ذلك .

4) عمق استمداداته التاريخية ، فلم يكن منبثقا عن شعور آني وعابر ، ولم يكن وليد عاطفة او احساس سطحي موقوت بل انه كان منتهى لماض تاريخي طويل توجد فصوله مترعة بالمشترك من الآلام ، والمتبادل من المشاعر والذكريات علاوة على ما يضمه من روائع التضحيات وكريم الضحايا فى سبيل انجاز هذه هذه الوحدة وتحقيق وجودها .

فاذا كان هناك اذن من المراقبين الغربيين ما تبدى عليهم من اندهاش لسرعة قيام الجمهورية العربية المتحدة واستغراب من متانة القاعدة الشعبية التي تنهض عليها فما تبى ذلك ضحالة المعين الذي يستقون منه معرفتهم لطبيعة التفكير القومي العربي والامكانات الوافرة التي يستوعبها مجاله ، هذه الامكانات التي لما تزل حية نامية في الذهنية العربية وفي واقع الحياة عند سواد الشعب العربي

(يتبع)



معرض الكتب

حول كتاب الخزانة العلمية بالمغرب

تعقيب للمؤلف الأستاذ : محمد العابد الفاسي

في العدد الرابع من مجلة دعوة الحق الغيحاء الصادرة بتاريخ يناير قرأت مقالا للاستاذ المحترم ابي محمد الجراري تحت عنوان : على هامش كتاب الخزانة العلمية بالمغرب ، ينتقد فيه بعض فقرات وردت في البحث الذي نشرته بمناسبة الاحتفال بمرور احد عشر قرنا على تاسيس جامعة القرويين ، واني اشكر للاستاذ الصديق غيرته وادبه ونقده العلمي النزيه ؛ والنقد العلمي مهما كان مبنيا على النزاهة وصدق القول الا وكان اثره بعيدا وقويا في نهضة الفكر ووضوح الحقائق ؛ ولما كانت بعض نقط النقد ارى فيها رايا يخالف راي الاستاذ في بعض الاحيان وربما كانت النتيجة اخيرا حصول اتفاق حول المبدا ، رايت من انبه على بعض ما ورد في مقال الاستاذ مما يحتاج الى مزيد من التحقيق

اولا : ذكر الاستاذ — رعاه الله — تعقيبا على ما نقلته في موضوع النواة الاولى في الخزانة العلمية الاسلامية : ان معاوية بن ابي سفيان كانت له مكتبة بالشام ولها خدمة واعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه — ان الذي تعطيه ظروف الاسلام الاولى وحداثتها المبكرة التي لم تكن تشتغل بسوى بثه في الصدور — ان الاعتماد لم يكن على غير ما ذكر وان زمان معاوية بعد غضا في هذا الباب لم تبزغ فيه شمس التاليف بالمعنى الواسع . ثم قال نتيجة لما ارتاه «فالذي اراه في الموضوع ان المكتبة التي كانت لمعاوية بالشام لها قيمون واعوان انما هي الدفاتر المحتوية على سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد» ثم قال « والظن ان هذا لايستدعي مكتبة لها مالها من القيمين والاعوان الا اذا اضيف لها دواوين من قبله من الخلفاء او ان المكتبة كانت تضم فيما تضم دفاتر مجلدات الخزائن الرومانية والفارسية » .

ونحن نستسمح سيادته في الجواب ونقول : اننا لم ندع في لحظة من اللحظات ان المكتبة بالمعنى المعروف عند الامم اليوم كانت موجودة في عصر اوائل الاسلام بكل ما يحمله مدلول المكتبة في عصرنا هذا او في العصور المتوسطة وكل ما ارتايناه في البحث ان النواة الاولى للخزانة فكر فيها المسلمون في سائر عصورهم وان طبيعة الاسلام من نشر المعرفة والعلم يلائم هذا التفكير سيما وقد وجدنا في النصوص القديمة ما يؤيدنا في هذا الاتجاه كما ياتي .

واظن ان الاستاذ قرا فيما قرا من البحث قولي صفحة 4 : وبمقتضى هذا الصراع العلمي والنشاط الفكري تكونت بكل مسجد او مدرسة كبرى النواة الاولى لفكرة الخزانة او المكتبة . وفي نفس الصفحة قلت ايضا : ومن اغرب ما قراته في موضوع اقدمية التفكير في المكتبة في العصور الاولى الاسلامية ما قراته في بحث منشور في مجلة المغرب وهنا ذكرت قصة معاوية التي تعرض لها جناب الاستاذ في انتقاده. وكيف ما فهمنا نص المسعودي وعلى اي احتمال من الاحتمالات التي ذكرها جناب الاستاذ في فهم مدلول الخزانة اذ ذاك فالمهم من البحث هو أن التفكير في وضعية الخزانة امر واقعي من معاوية وفي العصر نفسه ؛ سواء حوت الخزانة الدفاتر المحتوية على سير الملوك واخبارها والحروب والمكايد او اضيف لها دواوين من قبله من الخلفاء او ضمت فيما ضمته دفاتر من الخزائن الرومانية والفارسية ، كيفما كان الامر فمدلول واحد من مدلولات الخزانة وحتى في ابسط مظاهره امر محقق ، وقد اثبتت المصادر الموثوق بها ان الدفاتر التي فيها سير الملوك واخبارها كانت تحضر بين يدي معاوية ويقرا ذلك عليه غلمان له قد وكلوا بحفظها وقراءتها .

وحفظ هذه الدفاتر هنا معناه القيام بها والاعتناء بشأنها وتهيئة ما يقرأ منها ، وهذا ما صار يطلق بعد على القائم به محافظ او قيم وما اشبه ذلك ، على اننا قد وجدنا ما هو اصرح في الموضوع من اعتناء معاوية بالتاليف لخزانته مما يبعث على القول باعتبار معاوية احد المؤسسين الاولين للخزانة العلمية في الاسلام .

ورد في (الاصابة) للحافظ ابن حجر من القسم الثالث ص 101 رقم 6.395 عند ذكر عبيد بن شرية عن الرشاطي ان معاوية كان مستشرفا لاخبار حمير فقال له عمر بن العاص اين انت عن عبيد بن شرية فانه اعلم من بقي باخبارهم وانسابهم فكتب اليه باخذ منه الاخبار فالفها كتابا – وفي (الفهرست) لابن النديم ص 132 طبع مصر : عبيد بن شرية الجرهمي في زمان معاوية وادرك النبي (ص) ولم يسمع منه شيئا ووفد على معاوية بن ابي سفيان فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة وامر افتراق الناس في البلاد وكان استحضره من صنعاء اليمن فاجابه الى ما امر . فامر معاوية ان يدون وينسب الى عبيد بن شرية وعاش عبيد بن شرية الى ايام عبد الملك بن مروان وله من الكتب كتاب الامثال ، كتاب الملوك واخبار الماضي . وفي نفس الصفحة ذكر ابن النديم ، صحار بن العباس العبدي احد النسابين والخطباء ايام معاوية قال ابن النديم : وله من الكتب كتاب الامثال ... الخ .

واشباه هذا كثير في العصور الاولى للاسلام على ان كتاب اخبار عبيد بن شرية قد اشتهر ونشر تحت عنوان : اخبار عبيد بن شرية في اخبار اليمن واشعارها، قام بنشره الاستاذ الالماني (كرونيكو) وطبع مع كتاب التيجان وملوك حمير (راجع عدد 93 من السنة الثالثة من مجلة الرسالة التي كانت تصدر بالقاهرة وراجع كتاب الاعلام للاستاذ الكبير خير الدين الزركلي عند ترجمة عبيد بن شرية ص 341 من الجزء الرابع) .

وقال الاستاذ محمد كرد علي في مقال له في الموضوع ان تدوين معاوية روايات عبيد دليل بان التدوين حدث منذ القرن الاول ، وقد ذكروا انزيدا بن ثابت الف كتابا في الفرائض وان عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث .

لست اريد في هذه العجالة ان اعرض لمسالة التدوين في الاسلام على اختلاف موضوعاتها وتطور ذلك التدوين حسب طبيعة الكون ، فان هذا يحتاج الى دراسة عميقة وبحث يستدعي فصولا مع تعين مراجعة كثير من الوثائق والمستندات مما لست بصدده الآن ، وانما الذي اقوله واعتمده ان فكرة تاسيس الخزائن العلمية كانت موجودة منذ القرن الاول ، وما قضية معاوية واشباهها الا رمزا لتلك الفكرة ودليلا واضحا على انبعاثها ومع كل هذه العناصر فلم يخطر بالبال كما قلت سابقا ان الخزانة بمعناها النظامي العام كان موجودا في نفس الفترة عند المسلمين وحتى ان وجد فلا غرابة فيه ، لا باعتبار ما يدعو اليه الاسلام من بث العلم والحكمة على اختلاف الصور والمظاهر ، ولا باعتبار ما وجده المسلمون في البلاد التي شملتها دعوتهم ، واي مانع يمنع الخلفاء والامراء الاولين من اقتباس ما وجده صالحا عند الامم قبلهم ، ونخشى ان يخرج بنا الموضوع الى الحديث عن الخزائن العلمية ايام الرومان وفارس وهما الدولتان العريقتان في الحضارة وقد اقتبس العرب من حضارتهما الشيء الكثير .

بعد تقرير هذا كله ، يظهر ان لا مخالفة بيني وبين الاستاذ مبدئيا في وجود فكرة الخزانة في العصور الاولى ، ولسنا نعتبر مدلول الخزانة محصورا في كتب العلوم الاسلامية الصرف من تفسير وحديث حتى يرد علينا ما ذكروه ، ان اول من اعتنى بالتدوين فيها ابن جريج المتوفى عام150 هـ وهنا احيل جناب الاستاذ على مراجعة شروح الصحيح عند قول البخاري في ترجمة باب كيف يقبض العلم .. وكتب عمر بن عبد العزيز الى ابي بكر بن حزم ، انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبه ، وقد استفادوا منه ابتداء تدوين الحديث على راس المائة الاولى حيث خافوا ذهاب العلم بموت العلماء ، وابن حزم المكتوب له هو ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري الخزرجي ، ولاه عمر بن عبدالعزيز المدينة وكتب اليه انيكتب له منعند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بنمحمد وسئل ولده عبد الله عن تلك الكتب فقال : ضاعت ، وكانت وفاته سنة مائة كما قال خليفة بن خياط وقيل في وفاته غير ذلك (انظر تهذيب التهذيب) . وعلى ايحال فقد وجد تدوين الحديث على راس المائة الاولى على ان الذي اطلعت عليه في عباراتهم بالنسبة الى ابن جريج هو الاولية المقيدة ببلد او قطر خاص او مشاركة مع غيره في هذه الاولية ، يقول الحافظ ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب ص 404 من الجزء السادس طبع

الهند ، قال عبد الله بن احمد ، قلت لابي : من اول من صنف الكتاب ؟ قال : ابن جريج وابن ابي عروبة . وفي شرح الشيخ زكرياء لالفية العراقي الاصطلاحية ص 48 من الجزء الاول : اما اول من صنف مطلقا فابن جريج بمكة ومالك وابن ابي ذيب بالمدينة والاوزاعي بالشام .. الخ ، ثم قال : وهؤلاء في عصر واحد فلا يدري ايهم سبق .

فهذه نصوص واضحة في ان ابن جريج لم يكن المدون الاول بصفة مطلقة ، والموضوع قطعا لا يخرج عن دائرة الحديث وما اشبه ، ولا يشتمل فنونا اخرى معا دون قبل هؤلاء ، على انه قد اتضح من اقوال شراح الصحيح ان ابا بكر بن حزم قد سبق ابن جريج الى نوع من هذا التدوين ، وهذا كله مجاراة لبحث الاستاذ والا فهو خارج عن موضوع البحث ولا يرتبط به الا قليلا وفي دائرة خاصة .

ثانيا : قال الاستاذ ، ورد في صفحة 6 : في الوقت الذي اخذنا فيه نحن اهل البلاد الى الكسل والانزواء .. الخ عبارته . هنا يحتم علينا الواقع ان نتوافق مع جناب الباحث في جعل ذلك راجعا الى اهمال الجهود وفقدان التشجيع المادي والادبي ، وصحيح جميع ما قلته في الموضوع ايها الاستاذ ، ولكن مع ذلك يجب على هذه الطائفة المثقفة الحاملة مشعل الحضارة الاسلامية ان لا تركن الى الخمود رغما عما تلاقيه من عراقيل في سبيل القيام باعمالها ورغما عن فقدان التنشيط ، والاهمال النهائي ، يجب علينا ان نغزو هؤلاء المعرقلين في عقر بيوتهم ونفرض عليهم وجود هذه الحضارة والثقافة العربية حتى يتحققوا ان المغرب العربي المسلم لم يكن له وجود ولا يمكن ان يكون له وجود الا بهذه الحضارة المنبثقة عن روح الاسلام ولغة يعرب .

ثالثا : قال الاستاذ : جاء في صفحة 7 : والمسلمون الذين عرفوا تحبيس الفرس وآلات الحرب في الجهاد لا نظن بهم انهم اهملوا تحبيس الكتب التي هي طريق المعرفة والارشاد .. الخ . هذه العبارة وردت في البحث تحت عنوان الخزانة ايام الفتح الاسلامي وعصر الادارسة ، وقلت فيها ما يلي باللفظ : لا يمكننا ان ندعي ان عصر الفاتحين الاولين كان فارغا من فكرة تاسيس الخزائن العلمية بكيفية بسيطة جدا ، وربما تمثلت حتى في خصوص المصاحف وليس من المنطق ان يكون عصر الفتح الاسلامي بالمغرب وعصر الادارسة الذين عرفنا لهم اتصالات متينة مع الاندلس وكانت الهجرة بين القطرين متبادلة ومتتابعة والعلما والرؤساء يردون على المغرب ايام المولى ادريس وفريق من القرطبيين يهاجرون نهائيا من الاندلس الى فاس ايام واقعة الربض ، وليس في الامكان في نظرنا والحالة هذه خلو تلك الجماعات المهاجرة من اهل العلم والمعرفة . الخ . وقلت ايضا في الموضوع وفي نفس الصفحة : ولا اعتقد ان امة تقدس القرآن وتتعبد الله بنسخه وتعداد نسخه .. ولا يوجد ازاء هذا كله خزائن او رفوف متواضعة في نفس المساجد توضع عليها نسخ من المصحف الكريم الخ ؛ فمفهوم هذه الجمل واضح والقصد الذهاب الى استبعاد عدم وجود النواة الاولى للخزانة العلمية ايام الادارسة حتى في ابسط المظاهر ومن المعلوم ان عصر الفتح الاسلامي في المغرب يبتدىء من تاريخ 62 هجرية في ولاية عقبة بن نافع الثانية ويمتد عصر الادارسة الى اوائل القرن الرابع الهجري ، فاي مانع يمنع وجود هذه البذرة الاولى في تلك العصور التاسيسية .

وتاسيس الوحدة وحماية البيضة لايمكن ان يكونا عرقلة في سبيل تحبيس نسخ من القرآن الكريم ، واننا نكتفي بامثال هذا في مدلول الخزانة في اطوارها الاولى ولا نتطلب اكثر منه ، اما اذا التفتنا الى عصر الادارسة بالخصوص واعتبرنا تلك الحقبة للدولة الاولى لهم وهي مدة ليست باليسيرة فاننا نرجح ونميل ميلا قويا الى وجود كتب في مختلف الفنون الاسلامية تحتوي عليها الخزانة العلمية بالمغرب وان لم تنقل لنا تفاصيلها ، وقد كان بودي ان اتحدث بالنسبة الى عصر الفتح على المصحف العظيم المنسوب الى عقبة بن نافع وقد بقي الناس يتحدثون عنه الى عصر الرشيد من الدولة العلوية الشريفة ، ولكني رايت ان الحديث سيطول جدا ولا تتسع له هذه العجالة وربما عقدت له مقالا خاصا ان شاء الله .

رابعا : يقول الاستاذ حفظه الله : وجاء في صفحة 10 اثناء الحديث عن الخزانة ايام الموحدين وامتلات الخزانة بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر . الخ . قال الاستاذ : لادري ما يعني الاخ بالمختصر اهو مختصر عثمان بن الحاجب المسمى بمنتهى السول والامل وهو المتبادر ، او مختصر ابي الضياء خليل ، قال : وهو لم يخلق الا إواسط

القرن الثامن الهجري فكان بيان نوع المختصر مما يتأكد توضيحه . الخ . لقد جعل الاستاذ مختصر ابن الحاجب في الاصول هو المتبادر من العبارة لعدم امكان قصد مختصر خليل تاريخيا ونحن قبل الحديث في الموضوع نورد العبارة بتمامها كما في اصل البحث ليتضح التبادر المقصود ، يقول البحث تحت العنوان المتقدم وتمهيدا للحديث عن عصر الموحدين بنوع من المقارنة الموجزة ! : وفي هذه الحقبة من الزمان انتشرت دواوين الفقه وذاعت في الاوساط العلمية وامتلأت الخزانة بالمدونة وشروحها وكتاب النوادر والزيادات والمختصر لابن ابي زيد وغير ذلك من دواوين الفقه المالكي . هذا نص العبارة ، واظن انها واضحة وصريحة في نسبة الكتب الثلاثة الاخيرة لابن زيد القيرواني وان موضوع هذا المختصر في الفقه المالكي ، فلسنا نقصد هنا مختصر ابن الحاجب ولا غيره من المختصرات وحتى ان كان هناك شكل من التبادر فليكن موجها الى مختصر ابن الحاجب الفرعي الذي شرحه الشيخ خليل في كتابه التوضيح لا مختصره الاصلي ، على ان مختصر ابن الحاجب الفرعي لم يدخل المغرب الا في آخر السالفة ادخله الى بجاية اولا ومنها انتشر بسائر بلاد المغرب العلامة ابو علي ناصر الدين المشدالي الزواوي وقد كان رجوعه الى المغرب من رحلته المشرقية حوالي سنة 670 وكانت وفاته سنة 731 ، وارى هنا من المتعين ان اتكلم قليلا على مختصر ابن ابي زيد القيرواني الذي هو المتبادر والمقصود وتكاد تكون عبارة البحث صريحة فيه : في خزانة القرويين العامرة نسخة بخط اندلسي في رق الغزال تحت رقم 794 ل 40 يبلغ عدد اجزائها الموجودة احد عشر جزءا من التجزئة الاندلسية المعروفة ونص ما يوجد بظهر اول ورقة من الجزء الثاني منها : الجزء الثاني من كتاب اختصار المدونة والمختلطة باستيعاب المسائل واختصار اللفظ في طلب المعنى وطرح السؤال واسناد الاثار وكثير من الحجاج والتكرار مما عني بجمعه واختصاره ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني ، ويرجع تاريخ احد اجزاء هذه النسخة الى شهر ذي القعدة اثنين وثلاثين وخمسمائة وكانت ملكا للفقيه ابي محمد عبد الواحد بن عبد الرحمن بن علي بن سمجون ، والعائلة السمجونية هذه هي مغربية الاصل نالت شهرة ذائعة في الاوساط العلمية بالاندلس ، ويوجد بالخزانة ايضا مجلد ضخم من هذا المختصر يعتبر مكملا للنقص الواقع في النسخة الاولى ، فمن شاء الاطلاع من الباحثين على الاجزاء المذكورة فليتفضل بزيارة لخزانة القرويين .

والمختصر هذا لابن ابي زيد مشهور ومتداول ومذكور في قائمة كتبه قال في الديباج في ترجمته : له كتاب النوادر والزيادات على المدونة مشهور ازيد من مائة جزء وكتاب مختصر المدونة مشهور ايضا وعلى كتابيه هذين المعول في الفقه .

خامسا : قال فضيلة الباحث : ووقع في صفحة 26 اثناء الكلام عن الحركة العلمية والثقافية ايام ابي عنان والاندية التي كانت تعقد . الخ . الذي اعرفه ان القضية وقعت بين يدي ابي سعيد جد ابي عنان وان الكل وجم بعد القاء ابي سعيد السؤال الا ما كان من ابي الوليد بن الاحمر وكان اصغر القوم الى ان قال جنابه والقضية تعرض لها الاديب ابو القاسم بن رضوان في كتابه السياسي كما اخبرني بذلك المؤرخ المرحوم محمد بن علي السلاوي ثم قال : والنقل الذي ساقه الاخ ليمتنع من تعدد القضية وتواطئها على نفس الموضوع الواحد انما كان بالود لو يتمم الاخ الحكاية لتتبين القضية اكثر ويتجلى التوافق لو كان .

هذا ملخص ما اشار اليه الاستاذ في بحثه والقضية واقعة من دون ريب ايام ابي عنان لا ايام جده ابي سعيد وبنقل تتمة كلام ابن الاحمر الذي نقله عنه تلميذه يتبين الواقع ، قال عقب ما نقلناه عنه في الاصل : وتردد بينهم الكلام فيه فقال مجالس السلطان ابو زيان : اذا كانت الرحمة تاتي على حسب العصيان اذن يخسر المحسنون . قال الجاد يري : قال شيخنا (يعني ابن الاحمر) لو كنت حاضرا هناك لقلت مجاوبا له : اما اهل الطاعة ففرارهم عن الذنوب ونبذهم اياها بعراء الترك وادبارهم عن المعاصي واقبالهم على الطاعة هو الرحمة الكبرى والطائع باحسانه لايشبه العاصي باساءته ، لشتان ما بين اليزيدين يزيد بن مسلم والاغر بن حاتم وقد فضل الله تعالى الطائع على العاصي بقوله : «ام حسب الذين اجترحوا السيئات» الاية وقوله : «وما يستوي الاعمى والبصير» الآية . الى آيات كثيرة في هذا المعنى الى آخر كلام ابن الاحمر الذي نقله تلميذه الجاد يري كما اشرنا الى ذلك مرارا ، وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب وتبينت الحقيقة ناصعة وها هو ابن الاحمر يعلنها في صراحة ووضوح قائلا : لو كنت حاضرا هناك لقلت مجاوبا له . فلم يبق ريب في ان القضية وقعت ايام ابي عنان لا ايام ابي سعيد جده وسنعتمد ما قاله الجادبري ونقله شيخه ، ولا نذهب الى غير ذلك حتى نطلع بتفضيل على ما قاله

ابن رضوان فى كتابه السياسة حيث لم يتيسر وجوده الآن فى متناول اليد وليس فى الامكان الحكم النهائي فى تعدد القضية الا بعد الوقوف على نص ابن رضوان فى كتابه والظن القوي انه نقلها عن أبي عنان وعهدي بنسخة من كتاب السياسة هذا بحاضرة مكناس ونسخة ثانية اطلعت عليها بفاس وهي الآن فى ملك احد العلماء الباحثين بالرباط وابن رضوان هذا هو ابو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي الفاسي رئيس الكتاب كان اديبا وشاعرا وكاتبا ومحدثا فقيها ترجمه السراج فى فهرسته ونقل مضمنه عنه فى نيل الابتهاج وقال ان مولده عام ثمانية عشر وسبعمائة ونسب له تاليفا حسنا فى السياسة وبيض لتاريخ وفاته ولم يذكرها .

اما ابن القاضي فى كتابه الجذوة فقد ترجم لابي القاسم ايضا ونقل بعض شعره وذكر ان وفاته كانت بانفا سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة وهذا التاريخ لايمكن ان يكون صحيحا ، والحق ان وفاته كانت بمدينة انفا او ازمور سنة اثنين وثمانين وسبعمائة كما نقله ابن الاحمر فيما ينسب له من تاريخ بيوتات فاس وبيض لسنة وفاته ابن خلدون ولم يذكر وقال انه هلك بازمور . ومهما كان الحال فنقل ابن رضوان القصة على انها فى عصر ابن سعيد وانها وقعت بمحضر ابن الاحمر يحتاج الى نص صريح وان كان ابن رضوان لم يدرك زمن ابي سعيد الا سنوات معدودة ففي الامكان حكايته ذلك عمن قبله وقد ذكره مترجموه من المترسمين فى الكتابة ايام ابي الحسن وولده ابي عنان وكثير من الامراء بعدهما فالاقرب من جهة النظر ان يكون ابن رضوان ساقها فى كتابه السياسة عن مخدومه ابي عنان وسواء ذكرت القضية بهذا او ذاك فالذي يهمنا هو نشاط الحركة العلمية ايام هؤلاء الامراء المرينيين باعتبار من كان يحضر فى تلك الاندية العلمية من رجالات العلم والفكر ، وقد اشار لهذا البحث بايجاز كل من الشيخ الاديب ابي عبد الله الالبيري الاندلسي والشيخ ابن مرزوق الحفيد فى شرحيهما للبردة ولم يشيرا معا الى القصة اصلا واقتصرا على مجرد ايراد البحث ، ومن ذيول هذا اني راجعت المسند الحسن لابن مرزوق الجد فى الفصول المتعلقة بابي سعيد علني اقف على اشارة لهذه القصة فلم اجد شيئا مع اولويته بذكرها وجدارة تاليفه بالنص عليها .

واخيرا اشكر جناب الاستاذ المحقق على بحثه القيم الذي اثار فوائد من مكامنها وكان له الفضل فى تمحيصها ونتقبل منه بكل اعتناء ما نقله فى خاتمة بحثه مما وجده فى اوراقه العلمية مما سنضيفه الى البحث فى طبعة جديدة ولكني الاحظ على اخوته مخالفته لنصيحته الاولى لنا فيما اوردته فى البحث مجملا من دون نسبة الى مصدره .

وفى النهاية اعتذر للقراء عما وقع فى بحث الخزانة العلمية بالمغرب من تحريف مطبعي وتزحلق بعض السطور واللوم راجع لمن تحمل امانة التصحيح ومراجعة المطبعة فلم يبر بوعده واسال الله التوفيق فى نشرة جديدة باضافة ما جد من معلومات حول الموضوع والله المعين .



إلى جلالة الحسن الثاني

للشاعر التونسي الطاهر القصار

اهنيك من بعد العزا مترحما ... لمن صان اوطان العلا وحمى الحمى

اهنيك بالملك الذي انت اهله ... وبالعرش مرفوع العماد مدعما

اهنيك بالرضوان من خير والد ... حدا بك للمثلى وانشاك مسلما

ولقنك العرفان والعقل والهدى ... واسدى بما اسدى اليك وانعما

فكنت بذا نعم الخليفة وارثا ... مناقب شهم بالمكارم قد سما

له المغرب الاقصى مدين بعزة ... وكم بذل التواق للعز من دما

ومن خطب العلياء هان عزيزه ... وضحى وفاء للعلا لا تكرما

اهنيك لكن ان سلكت طريقه ... وكنت لشعب الاطلس الفرد ضيغما

ترد العدا متبلا ومفاديا ... وتحرس من والى واولى وسلما

فما الملك فى مد اليمين لقبلة ... وما الملك فى لبس الشفوف تنعما

ولا فى عروش ساميات وثيرة ... ولا فى قصور شامخات الى السما

ولكن باسعاد الذين تسابقوا ... ليبعثك الفرا اماما مقدما

وحسب اصيل الراي ان يجعل الحجا ... الى قمة المجد المؤثل سلما

وما الشرف الموروث الا وقاية ... تقي المرء من امارة السوء كلما

لافريقيا يا وارث الملك عزة ... بها الارض غنت والزمان ترنما

فهب طروبا بالفخار (حبيبها) ... وواعدها كي تستقل واقسما

فكن عند حسن الظن باحسن الرضا ... ولا تدع الشعب الشقيق مقسما

وخذ من بني الخضرا حبيبا مساندا ... فللعزم والاقدام والحزم التما

وكونا الى الاخت الجزائر عدة ... تحررها من قيد رق تحكما

فويل الوغى عطفى عليها بمده ... فزلزل حبات القلوب واضرما

وما ذل جار الاكرمين ولا انتمى ... لهم احد الا وبات مكرما

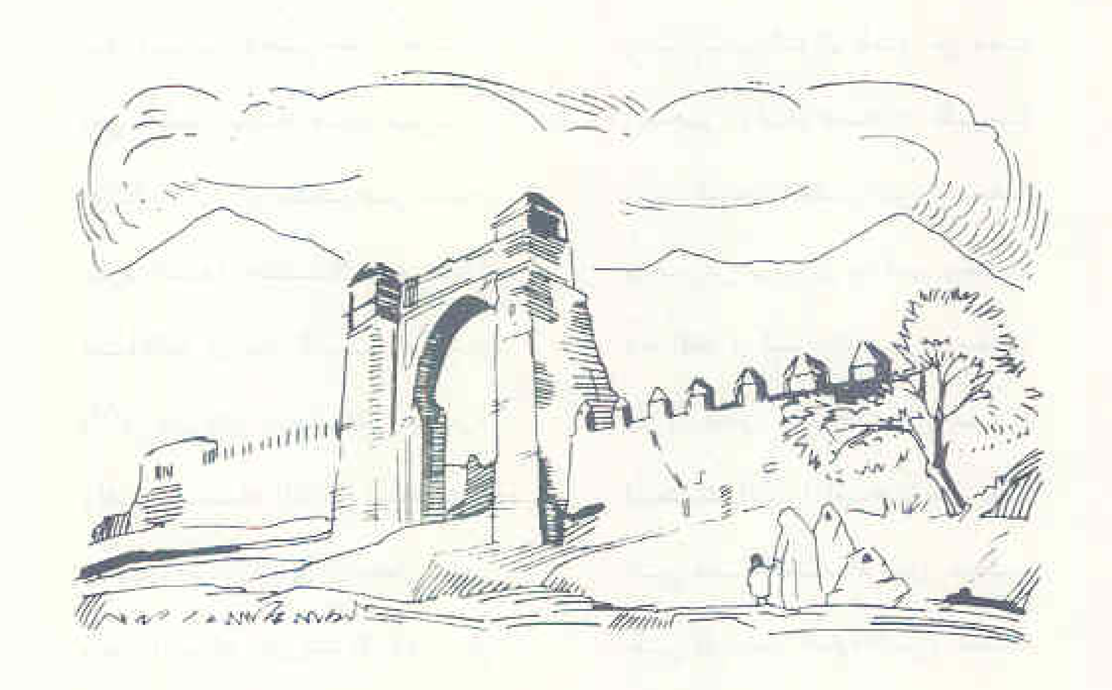
❊ ❊ ❊

اليك التحيات الزكيات والهنا ... بشعر زرى در العقود منظما

يرد عيون الناظمين حسيرة ... ويطرب من اصغى له متفهما

يعارض نسجا قد تسامى طرازه ... ختمت به شعري فقلت متمما

(هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما)



ما غاب قط من رباه محمد

للشاعر الليبي
ابراهيم الصادي

خطب اثار كوامن الادواء   والخطب يعظم جانب العظماء

خطب اضاق الى النفوس شجونها   واحال بهجتها الى ظلماء

خطب العروبة فى الفقيد ــ محمد ــ   خطب اليم الوقع والارزاء

اودى فكان لنعيه وقع الاسى   فى المسلمين قريبهم والنائي

ما احوج العرب الكرام لمثله   واضلهم من بعده لشقاء

فى وقت نهضتهم وعهد خلاصهم   من ربقة الاعداء والدخلاء

اذ كان نبراسا وهديا شاملا   ومنارة الاحرار والشرفاء

لله ما حملت من الم النوى   وبما نهضت به من الاعباء

(افريقيا) ذات البطولة اصبحت   ثكلى بما فقدت من الابناء

بالامس قد رزئت بفقد زعيمها   (بتريس لومومبا) قائد الزعماء

واليوم عاد لها الزمان بنكبة   والعود لم يحمد على الضراء

ايه (ابن يوسف) كم لكم من نعمة   وبد لكل جليلة بيضاء

لاتعجبوا ان شعبه لبس الاسى   فهو الذي احياه بعد فناء

اولاه اخلاصا وحبا صادقا   والصدق محض محبة ووفاء

يا منقذ الشعب الابي بماله   وبعطفه فى حالك الظلماء

من (لاكدير) الجريحة بعدما   شربت كؤوس البؤس والضراء !

فحنوت تأسو جرحها وتمدها   بالمال فانقلبت الى السراء

ووقفت تحتضن الجزائر وقفة   فيها سمو مدارك وفداء

بسياسة بنيت عليها همة   تسمو برفرقها على الجوزاء

رمز البطولة والشجاعة والندى ... ملك جليل القدر والآلاء

المغرب الاقصى يئن كآبة ... مما اصيب به من الارزاء

ايلام ان يجزع على فقد الذي ... حفظ العهود ونال كل ثناء

فذروه يذرف دمعه ونحيبه ... ويطيل لوعته بطول بكاء

اذ ليس في هذا المصاب وحده ... بل شاركته عوالم الاحياء

فلقد هوى ركن ومات سميدع ... وانبت بدر سنا وعهد سناء

لقنت الاستعمار درسا قاسيا ... ورميته بقرارة الدأماء

لم يغن عن اجل اتى متعجلا ... آس اراد له دوام شفاء

احملت في تشريحه لك مبضعا ... ام كان في يمناك عهد لقاء

عز المصاب وغاية الآمال ان ... نلقى لدى — حسن جميل عزاء

ما خاب من رباه قط محمد ... وهو المربي ومنشىء الابناء

فاحفظ بفضلك للعروبة مجدها ... وانهض بها في عزة واباء

وانهج على منهاج والدك الذي ... كانت سياسته من الحكماء

واقبل تعازي — ليبيا — في فقده ... اذ اننا عرب وصنو اخاء

عليك سلام الله

للشاعر الليبي
عبدالحميد عمران

جلائل خطب قد رمانا بها الدهر ... لدانت لها الارجاء والانجم الزهر

تبيت لها الاطراف سهرى كليلة ... يؤرقها دمعا يفجره امر

ورب مصاب حل هونا باهله ... فأنساهم من الاهلة والصبر

ولكنه رزء يجل احتماله ... ففي وقعه قاس وفي طعمه مر

فقدنا زعيما كان رمز نضالنا ... ووالد شعب جل رائده الحر

وينبوع فضل بالمآثر زاخر ... وقطب لدين لايزعزعه الكر

وجندي حق لا يفل سلاحه ... محاربة الباغي ولم يثنه الوعر

فتى يعجز الاقران سبق جواده ... فمضماره صعب نهايته النصر

سما فهو لايرضى سوى النجم منزلا ... تحف به الدنيا ويحلو به الشكر

كذلك عيش الحر ان عاش سيدا ... وان عاد للغبراء خلده الذكر

فيا بطلا قاد الكفاح بعزمه ... فحقق امجادا يتوجها الفخر

عليك سلام الله انك خالد ... خلود بناة المجد ما بقي الدهر

ما مات ولم يمت

للشاعر التونسي
الطاهر القصار

حياة تنقضي والذكر حي   لعمرك ذاك الامل القصي

فهل كل الانام يعيش ذكرا ؟   وهل كل الرجال محمدي ؟

فكم من انفس نعيت وفاتت   وقد نسيت وما سكت النعي

وعيش المرء في عطل ممات   وموت اخ الحجا حدث قسي

كفى بمصاب مغربنا مصابا   له طرق العلا ساج دمي

تزلزل منه اطلسه المعلى   وريع التاج والعرش العلي

لموت محمد قطب المعالي   فتى لحماه تستبق المطي

عماد الملك ذو الخلق المزكى   شريف زانه النسب الزكي

تمجده الروائح والغوادي   وتكبره الصبائح والعشي

شدت بخصاله الدنيا وغنى   بها القمران والنجم السني

اذا عقد العزيمة في مهم   فلا يلويه في الاقدام شي

يحاذر بأسه الضرغام رعبا   ويرهب عزمه البطل الكمي

ادار الملك في حزم وعزم   ولم يقعد به عسف وغي

ونال من الكفاح مرير ظلم   وذاق السجن وهو به حفي

ومن خطب المعالي لم ترعه   صنوف الظلم والغدر الدني

اليه المغرب الاقصى مدين   وهل في شعبه الا الوفي ؟

وهل اسمى من التحرير شيء   يتوق اليه ذو شيم ابي

تبرز في عرين الملك ليثا   بدا خلفه الشبل الجري

فهش المغرب الاقصى واضحى   يحاذره المهاجم والعدي

وكان لملة الاسلام نورا   به يتوضح السبل القوي

يزينك الهمة القعسا طرازا   يحيط به الجلال العربي

سياسته لها القدح المعلى   وحكمته لها الشان العلي

اثار من العزائم كل خاب   فهبت وهو مبتهج رضي

وشاد الى المعارف كل صرح   يلوذ به المشوق الالمعي

ومد الى المصانع خير كف ... فبات الشعب وهو بها ثري

ترى من زاره يهتز معجبا ... كمن قد ناله مس خفي

وكم نصح القطارف فاعتلاهم ... جلال من نصائحه سني

بحكمة رايه كشف البلايا ... وبددها حجاه العبقري

وهل غير الحجا كنف ومنجى ... اذا فلق الظلام المشرقي

وهل ان السيوف تفيد شيئا ... اذا قدح الزناد اللوذعي

كذاك محمد قد كان طودا ... منيع الركن لايعلوه شي

وقد فجع الحمام به شعوبا ... وموت الاكرمين له دوي

وفاجا منه مقداما منيبا ... سيحمد صنعه الجد النبي

فللحسن الخليفة خير صبر ... وسلوان جميل سرمدي

وللشعب الشقيق عزا وسلوى ... واجر الله في البلوى سني

ولا يبكي فتى احيى شعوبا ... ومات ولم يمت : فالذكر حي



وثبة إفريقيا

للشاعر المدني الحمراوي

من وحي مؤتمر القمة الافريقي الذي عقد بالدار البيضاء

هذه « افرقيا » هبت من النو ... م كما هب مارد جبار
تتمطى والغيظ في مقلتيها ... يتراءى كما يطير الشرار
رقدت رقدة فلما افاقت ... ابصرت مايشيب منه العذار :
داهم الغاصبون حر حماها ... وتعالت في عقره الاشرار
نهبوا كل تالد وطريف ... وتوالت بجرمهم اخبار
كذبتهم احلامهم حين قالوا : ... ما لنا كبوة ولا ادبار
حسبوا الفيل مستباحا فلما ... زار الليث جد منهم فرار
ومضوا يسأل الشقي اخاه : ... اي هول يعز فيه اصطبار
نحن في يقظة ؟ ام الامر حلم ؟ ... هكذا تفجا الخطوب الكبار
اين تلك المنى التي نتمنى ؟ ... ما نرى ليلنا يليه نهار
انرى نسلم الكنوز ونمضي ... وعلينا من الهوان اصفرار ؟

هو ذا جيشهم جلا في خفاء ... تتولاه ذلة واندحار
سار واللؤم في قفاه ، وقد اثـ ... ـقل خطواته الاسى والصغار
صدمة دون وقعها كل كرب ... شردت من جرائها الافكار
خلدت في الزمان للحق ذكرا ، ... ولاهل العقول فيها اعتبار
وطوت من صحائف الجور عهدا ... حكم البغي فيه الاستعمار
باء بالخزي ، كم تعبد حرا ... وتولى ما يرتضيه الشنار
شرد الوادعين في كل صقع ... ودهتهم من شره اوزار

ايها الدهر حي من ملا الار ... ض ثناء فعاله والفخار
حي من شن حملة العز حتى ... هزم الظلم عزمه البتار
حي من سعر الوطيس فما حا ... د ولا صد ساعديه الاوار
لم يزل يقرع الخطوب ويرمي ... كل كيد حتى اتاه انتصار

بطل روع العدى فتنادوا : ان يكن معجز فهذا الخيار
انه طاقة من العزم حارت في مداها وتاهت الافكار
زلزلت آيه الجيوش فمادت تحتها الارض واستحال القرار
ما رماها بغير عزم قوي وبغير امده القهار
اعجز الاقوياء جندا ومالا فتهاووا كانهم اطيار

لك يا اوحد الملوك على التنا س حقوق مخلدات غزار
انت من سن للحياة شعارا له بالحق صولة وانتشار
انت من علم الانام دروسا كيف تبني سيادة وفخار
انت من هز « افريقيا » فهبت يملأ الارض ذكرها المعطار
انت من قلد العروبة مجدا ليس يبلى لشاؤه السيار
انت يا وارث الهداية سر له من جدك الامين انحدار
انت والله للبلاد سراج غار منه الشموس والاقمار

يا ابا اكسب البنين علاء لم تغير صفاءه الاكدار
جل من سعيك الحميد المرجى مجمع وجهت له الانظار
جمع النخبة التي لا تراعي ما نواه المستعمر المكار
قرر الحق والحقيقة حتى بهت المفرضون والفجار
وتداعت عقولهم من سعار وتعرت عن كيدهم استار
قالت الناس : هكذا يكسب النـ ـصر مليك تعينه الاقدار
عود الله سعيه الفتح حتى قيل : هذا الخليفة المختار
نال ما شاء من معال جسام ومزايا جميعها ابكار

يا سليل الرسول طوبى لشعب انت فيه المملك الامار
قد راى من سعيد عهدك يمنا لم تخلد مثيله الاعصار
بك ـ حقا ـ يصح ان نتباهى بك سرت جدودك الابرار
ان يك المدح في سواكم مباحا فهو فيكم فريضة وشعار
انما المدح ما صنعتم ولكن عبرت عن خلوده الاشعار



حول تزويد المغرب بالتلفزيون

« تروج في الجهات الرسمية فكرة تزويد المغرب بالتلفزيون بل قد سبق لوزير الانباء والسياحة ان ادلى بحديث ضاف حول هذا الموضوع في احدى ندواته الصحفية السابقة ونظرا لما يتسم به هذا الموضوع من اهمية قصوى ، ارتأت المجلة ان تعرب لقرائها الحديث التالي الذي كتبه خصيصا لها أحد الاختصاصيين الاجانب ، وبديهي ان الآراء التي اوردها كاتب المقال آراء شخصية محض » .

ان هذه الاعجوبة التي اوجدها القرن العشرون ، والتي يسمونها بالتلفزيون (1) سوف تعود الى الظهور بالمغرب عما قريب . اننا مازلنا نذكر ان تجربة في هذا الصدد حدثت في عهد الحماية ، في سنة 1953 ، وان هذه التجربة لم تصادف النجاح الذي كان يراد لها ، لان الشركة التي عهد اليها آنذاك بتسيير المشروع تصرفت تصرفا غير لائق ، مما جعلها تولي الادبار ولما يمض على مباشرتها للعمل سوى زمن يسير .

فمن اين اتى هذا الفشل ؟ وهل ستوفق الحكومة ــ التي اشترت مؤخرا مؤسسات شركة « تيلما » السابقة ــ في تخطي الصعوبات التي ادت الى فشل التجربة الاولى ؟ ذلك ما سنحاول الاجابة عنه فيما يلي :

مما لاجدال فيه ان التلفزيون هو اقوى آلة للدعاية استطاع الانسان ان يتوفر عليها منذ عدد من السنين ، وكانت شركة « تيلما » الاجنبية غير موفقة حينما اقدمت على ادخاله للمغرب في وقت كان فيه كفاح الشعب المغربي من اجل الاستقلال بالغا ذروته القصوى ، مما جعل الاحزاب المغربية تقرر وتنشد مقاطعة اجهزة التلفزيون بيعا وشراء ، وقد انصاع الشعب المغربي لتعليمات المقاطعة ، ونفذها بكل دقة ، بحيث لم يبع من اجهزة الاستقبال سوى ستة آلاف جهاز ، وفي الاوساط الاوربية وحدها ، رغما عن التسهيلات الممنوحة في الاداء .

ولو فرضنا ان عدد المنتفعين من التلفزيون كان يبلغ وقتذاك 24.000 شخص ــ بمعدل اربعة اشخاص لكل جهاز مبيع ــ لاتضح لنا ان مدى الانتفاع منه كان ضيق الارجاء ، محدود النطاق ، الامر الذي جعل اقبال اصحاب الاعلانات التجارية عليه ضئيلا ، مع ان شركة « تيلما » كانت تعتمد على هؤلاء في ترويج بضاعتها بالمغرب ، اضف الى ذلك ان هذه الشركة كانت تنفق الاموال الطائلة في سبيل ارضاء فئة قليلة من الزبائن ، فكانت تستقدم «نجوم» التلفزيون من هنا وهناك وتؤدي لهم مبالغ خيالية في مقابل قيامهم ببعض البرامج .

ثم ان حربا زعناء شب اوارها منذ البداية بين الصحافة والتلفزيون ، فالصحافة ــ ونقصد بها الفرنسية ــ التي كانت وما تزال تهيمن على جميع مرافق الدعاية التجارية بالمغرب تقريبا ، كانت تخشى من ان تخسر المبالغ الطائلة التي كانت تتلقاها من اصحاب المؤسسات والشركات التجارية في مقابل نشر الدعاية لبضائعهم ومنتوجاتهم بانصراف هاته

(1) يطلقون أيضا على التلفزيون كلمة التلفزة ، وقد عربوه مؤخرا بعبارة « الاذاعة المرئية »

المبالغ الى شركة التلفزيون ؛ والحال أنها هي التي كانت تتمتع بمفردها بهذا المن ، لاينافسها فيه منافس ، وقد عرقل هذا الشنآن الذي حدث بين الصحافة والتلفزيون ازدهار التلفزيون بالمغرب الى حد ما .

وحيث انه لم يبع العدد الكافي من اجهزة التلفزيون ، ونظرا لكون الاعلانات التجارية لم تدر القدر المالي الذي كان متوقعا لها ، ونظرا من جهة اخرى لكون ثمن البرامج المتلفزة كان لايتناسب والوسائل المستعملة ، اضطرت شركة تلفزة المغرب الى اقفال ابوابها .

هذه باختصار هي العوامل التي ادت الى فشل التجربة الاولى .

لكننا اليوم فى سنة 1961 حيث معطيات القضية مباينة تماما لما كانت عليه فى سنة 1953

فالدولة هي التي ستتكفل بالقيام بالمشروع ، ومما لاريب فيه ان الاستقبال الذي سيخصص التلفزيون سيكون حافلا جدا فى بلد مازالت اغلبيته الساحقة لاتقبل الاقبال المطلوب على مطالعة الصحف ؛ لكنها تهتم الاهتمام الكبير بالاذاعة فى شكليها المرئي والمسموع ؛ ثم ان القرار الذي اتخذته الحكومة بالموافقة على اذاعة الاعلانات التجارية سيخفف الى حد كبير عبء ما سيكلفه التلفزيون للدولة من مصروفات ؛ ونظرا للاهتمام الذي ستوليه الجماهير قطعا للتلفزيون، فان اصحاب الاعلانات التجارية سوف يقبلون على الاعلان عن تجارتهم بواسطة التلفزيون ، باذلين فى ذلك ما يلزم من المال .

غير ان اول مشكلة سوف تواجه المشرفين على التلفزيون ستكون هي بيع اكثر ما يمكن من اجهزة الاستقبال لجمهور لاتزال مقدرته الشرائية ضعيفة جدا ، ولحل هذه المشكلة ، ينبغي ان يوضع نظام للقروض الطويلة الامد ، لتمكين الاغلبية الساحقة من اقتناء جهاز التلفزيون بثمن مناسب .

قد يكون فى مقدمة المقبلين على ابتياع الاجهزة ممثلو الادارة كالقواد والمعلمين مثلا ، وقد يفكر هؤلاء واولئك فى تمكين الكثير من الناس من الاستمتاع بالبرامج المتلفزة عن طريق عرض أجهزتهم فى الاسواق وفى الاماكن التي يغشاها الناس بكثرة ، لكن ذلك لن يكون كبير الجدوى لان الجهاز المنصوب فى البيت بوصفه اداة للتربية فى جميع الميادين هو قطعا اكثر فائدة وامتن عائدة من الجهاز المنصوب فى مكان عام .

ان التلفزيون باعتباره وسيلة للاخبار يكلف ثمنا غاليا ، اذ تقدر قيمة الدقيقة الواحدة فى برامجه بنحو مائتي درهم ، ولذا يتحتم ان يكون محتوى هذه البرامج موضع دراسة دقيقة وعناية فائقة حتى لايقع اي تبذير فى هذا السبيل .

واذا كان من غير المستبعد ان تضم جماعة الفنيين المكلفين بانجاز المشروع بين عناصرها بعض الاجانب ، فالواجب يقضي ببذل فائق الاهتمام فى اختيار هؤلاء ، ليلا يفرضوا على البلاد نظريات لاتتكيف ووضعيتها ، او تكون فوق طاقتها وامكانياتها ، ومن الضروري الاكيد ان يهتم هؤلاء الفنيون بجعل التلفزيون مغربيا لحمة وسدى ، لامجرد صورة لما هو عليه فى البلاد الاخرى ، اذ من الواضح ان مسالة التلفزيون لاتنبغي معالجتها فى المغرب بنفس الصفة التي عولجت بها فى لندن او باريس او نيويورك مثلا .

وستكون هذه هي المرة الاولى التي سيتاح فيها للجمهور المغربي ان تكون لديه نافذة يطل منها على العالم الخارجي ، فلا ينبغي اذن ارهاقه بالبرامج غير المنتقاة ليلا تتكون عنده فكرة غامضة لاتجديه فتيلا ؛ وهذا يقتضي أن يعهد بالبرامج المتلفزة وبتحقيقها الى اشخاص اكفاء ، ممن لهم المام واسع بنفسية الجماهير وميولها ، ومعرفة متينة بالطريقة المثلى فى امتاع النظارة واسعافهم بمرغوبهم .

هل معنى هذا ان التلفزيون ينبغي ان يكون مجرد اداة تربوية خالية من كل ترفيه ؟ الجواب هو لا بالطبع ، بل ينبغي ان تكون الاخبار التي تقدم بواسطته للجمهور ، والتربية التي يلقن اياها معروضا كل ذلك فى شكل لبق جذاب ، قمين باستهوائه واستجلاب رضاه .

واذا كان من الميسور حسن الانتقاء والاختيار فى باب الانباء لما يتوفر عليه هذا الباب من وفرة فى المواضيع وتعدد فى نوعيتها ، فان مما يحسن فى الميدان التربوي الثقافي تجنب التلفزيون المحاضرات المملة التي سوف تجعل النظارة والمستمعين ينصرفون معرضين ، ان المغرب فى حاجة الى تلفزيون حي قادر

على تحريك الجماهير واذكاء حماسها وحثها على التعاون والتضامن البشري .

ثم ان الجمهور المغربي تواق الى مشاهدة صور عن الانباء العالمية ، وله تشوق للاطلاع على مايقال ومما يصنع في مختلف اصقاع العالم ، فينبغي لواضعي برامج التلفزيون ان لايهملوا ذلك ، بل عليهم ان يعرضوا عليه نماذج من المنجزات التي يمكن تقديمها اليه كمثال يحتذى ، والتي تكون كفيلة باثارة همته الى الاتيان بمثلها ، وعلى هذا يجب اسناد امور التلفزيون الى هيئة من المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط الاهلية لئلا يكون سوء الاختيار سببا في وقوع ما لاتحمد عقباه .

وهنا لمسألة اخرى يجب على المكلفين بوضع البرامج ان يهتموا بها كل الاهتمام ، وهي تخصيص قسط من الحصص للطبقة المثقفة ، فمن المعلوم بالبداهة ان البرامج المعدة لمختلف الطبقات لا ينبغي ان تكون متماثلة، فليس من الممكن اثارة اهتمام الفلاح والصانع والطالب والموظف بنفس الموضوع وبنفس الصيغة والشكل اللذين يعرض بهما على الطبقة المثقفة، واذا كان احتياج الطالب والموظف الى التليفزيون اقل من احتياج زميليه الفلاح والصانع اليه ، فان التليفزيون — على العكس من ذلك — في حاجة ماسة الى مؤازرة الطلاب والموظفين لاعتبارات دعائية محض، واذا كان المأمول الحصول على ما يكفي من الاعلانات التجارية لتغطية بعض المصروفات التي يتطلبها استثمار المشروع ، فلا مندوحة اذن من التوفر لاصحاب الاعلانات على الزبائن الذين يمونهم بالنتائج المادية التي ينتظر ان يجنوها من ورائهم .

وبديهي ان البرامج المخصصة للجمهور من شأنها ان ترضي الشركات المنتجة او الموزعة للمواد الكثيرة الاستهلاك ، لكنها مع ذلك لن تدر على التليفزيون الا قدرا محدودا من النفع المادي ، حيث ان المواد التي تستهلك كثيرا ، هي في غالب الاحيان مواد ضرورية لا يتأتى الاستغناء عنها ، وبالتالي فهي ليست في حاجة كبيرة الى الاعلان عنها والدعاية لها ، اما الكماليات لا تستهلكها سوى النخبة التي تتوفر على القدرة الشرائية اللازمة فهي التي تحتاج الى المزيد من الدعاية، وهي التي تجعل عدد المعلنين في التلفزيون اوفر واكثر . ولذا يلزم الاعتناء عناية خاصة بزبائن هؤلاء .

وينبغي كذلك التفكير في اعداد برامج خاصة بالجاليات الاجنبية القاطنة بالمغرب ليس فقط لحملها على الاسهام بصفة عملية في حياة البلاد وفي تطورها ، بل وايضا لكون هذه البرامج قمينة بالحصول على موارد اعلانية ، اذ الجالية الاجنبية تشكل بالنسبة للمعلنين زبونا لا يستهان به، وحيث ان القيام بالتلفزيون يحتاج الى اعتمادات كثيرة ، فلا ينبغي ان تكون الدولة هي التي تتحمل هذا العبء الفادح بمفردها .

وهذا يفضي بنا الى الحديث عن نوعي التلفزيون الممكن وجودهما ، فالتلفزيون اما ان يكون تابعا للدولة ، هي التي تقوم باستثماره وتتحمل نفقاته ، واما ان يكون تابعا لهيئات او مؤسسات تجارية او ما ضاهى ذلك .

ومن الواضح انه في الصورة الاولى تكون الدولة متوفرة على وسيلة للاذاعة والاتصال تخصها وحدها ، وفي وسعها ان تستعملها كما تشاء ، وتكون البرامج من وضع الحكومة نفسها حسبما تتطلبه المصلحة العامة للبلاد ، لكن في مقابل ذلك تكون الدولة هي المتحملة لعبء المصروفات .

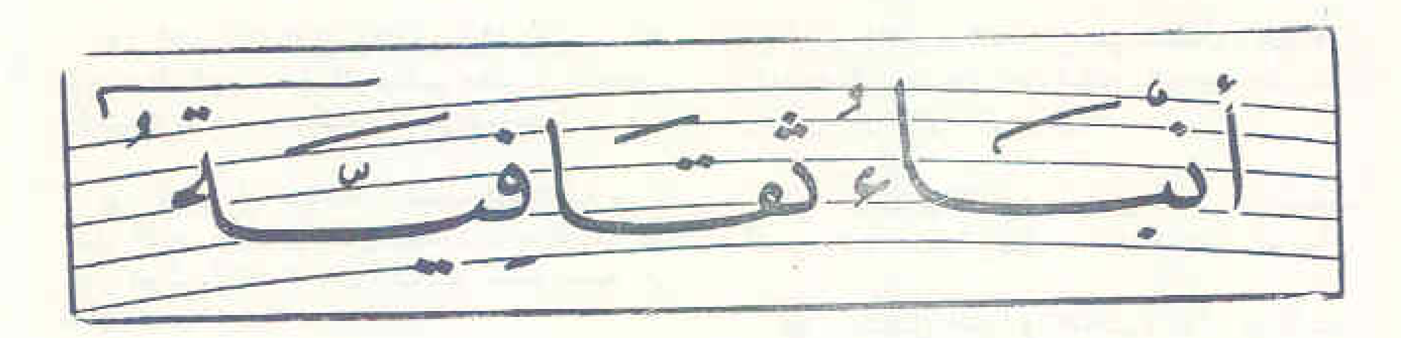
اما في الصورة الثانية فلن يكون للدولة من سلطان على التلفزيون سوى سلطان المراقبة ، اما البرامج فتضعها الهيئة التجارية صاحبة المشروع ، وقد تكون هذه البرامج من حيث الجودة المتوخاة والغاية المنشودة هزيلة ، لكنها سوف تكون طبعا ملائمة لرغبة اصحاب الاعلانات وذوقهم .

فهل هذه هي الغاية التي يتوخاها قطر فتي يعمل جاهدا من اجل تحرير سكانه وامتاعهم بالبرامج التربوية الترفيهية المعدة بكل اتقان ؟

لقد استطاع المغرب ان يصهر النوعين في بوتقة واحدة ويستخرج منهما شكلا موحدا ، حيث ان الدولة هي التي ستتكفل بالتلفزيون وحيث انها وافقت على اذاعة الاعلانات بواسطته سعيا في الحصول على الفائدة المادية التي يدرها هذا التذييع ولا اخالها الا احسنت صنعا بذلك .

ومهما يكن فان الجيل المغربي الصاعد سوف يتوفر قريبا على التلفزيون، وسوف يفتح هذا التلفزيون الباب على مصراعيه في وجه جميع المواهب .

م. س.



* أصدر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني اوامره ببناء ضريح فخم للشاعر المعتمد بن عباد الذي دفن في اغمات التي تبعد عن مدينة مراكش بـ 35 كلم. وقد احيل الامر على وزارة الاوقاف لتنفيذه

* بمناسبة انعقاد مؤتمر التعريب بالرباط، وفدت على المغرب شخصيات بارزة من المجامع اللغوية العربية ورجال الاستشراق والفكر من الشرق والغرب بقصد المساهمة في هذا المؤتمر. وقد لوحظ نشاط كبير في الميدان الفكري بسبب المحاضرات التي القتها بعض شخصيات هذا المؤتمر في قاعة المحاضرات بكلية الاداب، نذكر منها محاضرات الاساتذة: سعيد العريان، والدكتور سامي الدهان، والدكتور فريد ابو حديد، وحافظ طوقان، الى جانب الندوات الادبية والمناقشات الفكرية التي عقدوها في شتى المراكز الثقافية المغربية (1).

* ذكر الاستاذ قدري حافظ طوقان في حديث اجرته معه جريدة «العلم» حول مؤتمر التعريب ما يأتي: «... لقد كنت رئيس لجنة المصطلحات والرموز والارقام والكتابة في المؤتمر، وخرجنا بمقررات علمية ستعطي ثمارها المرجوة لخير العرب جميعا. ويلاحظ ان انشاء هيئة لتنسيق المصطلحات والتعاون مع المجامع العلمية واللغوية هو اهم قرارات المؤتمر».

* قررت وزارة التربية الوطنية المغربية احداث اذاعة مدرسية ابتداء من الموسم الدراسي.

* سيقام في النصف الثاني من شهر يونيه في مدينة وليلى التاريخية مهرجان مسرحي، ستشارك فيه فرقة فلكلورية لبنانية.

* سيقوم الاديب السوري جورج سالم بترجمة المجموعة القصصية «ضيف افريقي» لمحمد ديب الى اللغة العربية.

* يعد الشاعر محمد البخاري مجموعة من القصص الافريقية المترجمة مشتملة على نماذج من القصص المعاصرة. وكان المؤلف قد ترجم مجموعة من القصص الجزائرية للكاتب محمد ديب. واعتبر النقاد هذه المجموعة احدى الترجمات الجيدة التي ظهرت في حينها.

---

1) بعد انتهاء مؤتمر التعريب اصدر التوصيات الآتية:

1) بما ان هذا المؤتمر الاول للتعريب جاء نتيجة للجهود التي بذلها جلالة الملك الراحل محمد الخامس فانه يؤمل من حكومات الدول العربية من أن جميع مؤتمرات التعريب التي ستنعقد في مختلف الدول العربية تحمل طابع ذكرى الملك العظيم الراحل.

2) ان المؤتمر يؤيد الفكرة التي أدت الى تأسيس معهد التعريب في المغرب.

3) ان يتحول المؤتمر الى منظمة دائمة يجتمع بصورة دورية في احدى الدول العربية وهو يوصي بتأسيس مكتب دائم في المغرب يمثل الدول العربية وتحت اشراف جامعة الدول العربية. ويتلقى هذا المكتب الدائم من الدول العربية جميع الوثائق الخاصة بالتعريب ليدرسها ويستخلص منها العناصر التي تصلح لادراجها في جدول اعمال المؤتمر المقبل.

4) يلاحظ المؤتمر ان احسن نظام تحقق لحد الآن لحل مشكلة الطباعة هو نظام الاستاذ احمد الاخضر، وبهذه المناسبة فان المؤتمر يشكر الحكومة المغربية على تاييدها لهذا المشروع.

5) يوصي المؤتمر بتأسيس الاكاديميات في الدول العربية التي لاتتوفر لها مثل هذه المؤسسات.

6) يوصي المؤتمر بأن تكون اللغة العربية في جميع الدول العربية لغة التعليم في جميع الاقسام الجامعية وبالنسبة لجميع المواد دون ان يتعارض وتعليم اللغات الاجنبية.

7) يوصي المؤتمر بمضاعفة الجهود لتكوين المعلمين وتأسيس مدارس المعلمين وتعميم التعليم.

8) يوصي المؤتمر بتوجيه وسائل الاخبار بواسطة الصحافة والاذاعة والسينما لخو التعريب ونشر اللغة الفصحى بين مختلف طبقات السكان والتقارب بين لغة الكتابة واللغة الناطقة.

9) يوصي المؤتمر باعداد ونشر قاموس حي وكتاب عن النحو المبسط.

10) يوصي المؤتمر الحكومات العربية باشراك جهودها في انتاج الوسائل التثقيفية المختلفة وخاصة الوسائل السمعية والبصرية للتثقيف والتعليم ويكلف المكتب الدائم بالسهر على تنفيذ هذا المشروع تحت اشراف جامعة الدول العربية.

※ اصدر الادباء السودانيون بيانا وطنيا بشأن الاحداث الجارية في الكونغو معلنين سخطهم واستنكارهم لجريمة اغتيال البطل لومومبا .

※ تدور على صفحات الصحف السودانية معركة حول الشعر القديم والشعر الحديث . بدات المعركة حين تعرض النقاد لديوان الشاعر محمد محمد علي الذي صدر اخيرا .

※ اثار كاتب «ادبيات السودان» لمؤلفه منير صالح ضجة عنيفة في الاوساط الادبية والنقدية في السودان .

※ تقرر اقامة تماثيل لكل من توفيق الحكيم ، وطه حسين ، واحمد لطفي السيد ، وعباس محمود العقاد ، في دور الثقافة المقامة في بلدان هؤلاء الادباء .

※ « ماساة لومومبا » مسرحية شعرية في ثلاثة فصول من تاليف الشاعر عبد الرحمان الشرقاوي صدرت اخيرا .

※ « اقول لكم » ديوان جديد صدر لصلاح عبد الصبور .

※ اعد سكرتير مجلس الفنون والآداب بالقاهرة مشروعا لاقامة مدفن فاخر خاص بالمفكرين والادباء والفنانين الراحلين .

※ قامت احدى دور النشر النمساوية بترجمة قصتين لتوفيق الحكيم ومحمود تيمور الى اللغة الالمانية .

※ بتاريخ 13 الى 22 ابريل المنصرم عقد المؤتمر التربوي الاول في القاهرة واشتركت فيه عشرون دولة

※ تقرر بالقاهرة الاحتفال باربعة من الرواد العرب هم : مصطفى صادق الرافعي ، ومحمد رشيد رضا ، وامين الريحاني ، وشكيب ارسلان .

※ يستعد الاستاذ رضوان ابراهيم لتقديم مجموعة جديدة من قصص الاطفال ضمن المجموعة التي يصدرها باسم « سلسلة القصص النموذجية لمكتبة النشء العربي » . وتعد هذه التجربة هي الاولى من نوعها التي ترجمها عن الروسية مباشرة ، واختارها من اروع ما ظهر في الادب الروسي للاطفال باقلام اعلام الادب امثال تولستوي ، وبوشكين وانيوخوفاجاروشين وميرنوف ومايا كوفسكي وسواهم .

※ تكونت في القاهرة جمعيتان للمشتغلين بالنقد الادبي وهما «جمعية النقاد» و «رابطة النقاد العرب» .

※ احتفل اخيرا في القاهرة بذكرى الامام ابن تيمية .

※ عقد في الايام الاخيرة بالقاهرة مؤتمر التراث الشعبي العربي باشراف وزارة الثقافة بها .

※ سيجمع جميع التراث الشعري للدكتور احمد زكي ابو شادي لطبعه . وقد تبين ان المرحوم ترك اربعة دواوين هي « النيروز الحر » و « الانسان الجديد » و « من اناشيد الحياة » . وهذه الدواوين هي من اروع ما انتج الشاعر الراحل بين عامي 1949 و 1955 .

※ قرر المجلس الاعلى لرعاية الآداب بالقاهرة ترجمة مختارات من الشعر العربي الحديث الى اللغة الانجليزية للشعراء : اسماعيل صبري ، وشوقي ، والمطران ، وحافظ ابراهيم ، واحمد رامي ، وسواهم من الشعراء .

※ اصدر الاستاذ انور الجندي كتابا بعنوان : « الانتفاضة العربية » يتضمن دراسة موسعة للقومية العربية .

※ يصدر عن لجنة الفلسفة والاجتماع بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة اموس في الفلسفة والاجتماع يتضمن المصطلحات الفلسفية العربية القديمة والحديثة مع وضع اللفظ الانجليزي والالماني مقابل الكلمات العربية ، وذكر اللفظ اللاتيني فيما يختص بالمصطلحات القديمة .

※ كلفت ادارة الثقافة بالجامعة العربية الدكتور صقر خفاجة على راس لجنة من اساتذة قسم الدراسات اليونانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة بتنفيذ مشروع ترجمة جميع الاعمال اليونانية التى اثرت على فلسفة العرب الاسلامية ، وقد بدات اللجنة في الاسبوع الماضي بترجمة الالياذة ومحاورات افلاطون .

* صدر للاستاذ محمود الشرقاوي كتاب « رواد النهضة العربية » وتناول فيه بالدراسة والتحليل رفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك ، وعبد القادر الجزائري .

* « الباب الافريقي » عنوان الرواية التي كتبها الاديب صيام قضل . وتدور حوادثها حول حركات التحرر الافريقية الحديثة .

* « شخصيات افريقية » كتاب جديد للاستاذ عبده بدوي يؤرخ للقارة الافريقية سياسيا وفنيا من داخل شخصياتها اللامعة . ويعطي صورة متكاملة عن هذه القارة .

* أصدر الاستاذ عبد الوهاب المسيري كتابا عن « جماعة الديوان : شكري ، والمازني ، والعقاد » .

* قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب بالاقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده في الاسبوع الاول من سبتمبر القادم

* وافق مجلس محافظة الشرقية على انشاء جامعة « احمد عرابي » بالزقازيق بالاقليم الجنوبي من ج . ع . م .

* « تاريخ علماء المستنصرية » كتاب ضخم صدر للدكتور ناجي معروف ، استاذ التاريخ الاسلامي ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد . والكتاب مزود بثبت للمراجع والاصطلاحات وفوائد مختلفة وشرح لبعض ما جاء في الكتاب وفهارس للاعلام وصور فوتغرافية وخطة للمدارس والمعاهد المستنصرية .

* صدر للدكتور علي الهاشمي كتاب « المرأة في الشعر الجاهلي » رسم فيه صورة المرأة الجاهلية على النحو الذي يعرضها الشعر الجاهلي .

* « الخافق الحائر » ديوان شعر جديد صدر لمحمد فريد البار .

* سيبحث مجلس جامعة الاسكندرية في أول اجتماع له اقتراحا بمنح الدكتوراه الفخرية للمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي تقديرا لموقفه المشرف وحياده في سرد الاطوار الحقيقية لمأساة فلسطين .

* يعد الكاتب انور المعداوي دراسة عن الشاعر المصري الكبير الموحوم علي محمود طه بعنوان : « الاداء النفسي عند علي محمود طه » .

* صدرت المجموعة الجديدة ليحيى حقي بعنوان « عنتر وجوليت » تضم قصصا قصيرة ، وصورا فنية ادبية بأسلوب جديد .

* انتهى الاستاذ عبد الوهاب المسيري من تاليف ثلاثة كتب هي « الصور الشعرية ومفهوم الحب عند ناجي » و « ناجي وكيتس ـ دراسة مقارنة بين الحركتين الرومنتيقية الانجليزية والمصرية » ودراسة عن « تطور شعر الطبيعة في الادب العربي من عصر الجاهلية حتى خليل مطران » .

* تدرس لجنة النشر بمجلس الفنون والآداب بالقاهرة اقتراحا يرمي الى انشاء جائزة كبرى للادب تحمل اسما رمزيا مثل : « جائزة الامة » او جائزة الجمهورية » أو « كتاب السنة » وتمنح لمن يقع عليه الاختيار من الذين لايتقدمون للجائزة التشجيعية ، ولا هم بلغوا مرتبة تتويج الدولة لاعمالهم لاعطائهم الجائزة التقديرية .

* يقوم الاستاذ فاروق القاضي بترجمة « نماذج من ادب امريكا اللاتينية » الى اللغة العربية .

* « الاحوال الفلسفية للاسلام في القرآن » عنوان كتاب صدر أخيرا للدكتور علي عثمان .

* كلفت وزارة الثقافة بالقاهرة الدكتور عبد اللطيف حمزة بوضع كتاب عن « صبح الاعشى » .

* يقوم الدكتور عبد الحميد يونس بترجمة كتاب « حيرة الرجل الابيض » الى العربية لاصداره ضمن سلسلة الفكر العالمي .

* تأسست دار نشر جديدة باسم « سلامة موسى للنشر والتوزيع » لاصدار تراث من الكفاح الهادف من انتاج سلامة موسى وغيره من المفكرين .

* انتهى الدكتور لطفي فام من ترجمة المسرحية التراجيدية « بريتانيسكي » لراسين . وبريتانيكس هو أخ نيرون .

* كلفت لجنة الترجمة والتبادل الثقافي بمجلس الفنون والآداب بدمشق الدكتور جودت الركابي باعداد كتاب يشرح الحركة الفكرية من زاوية التبادل الثقافي

* أصدر انور حجازي رئيس النيابة العامة بالقاهرة كتابا بعنوان « من الشرق الى الغرب » قدم فيه جولة فكرية فى باريس ولندن وجنيف واثينا .

* وزعت الكتابة العامة التابعة لجامعة الدول العربية على الدول الاعضاء تقريرا اعدته لجنة خاصة فى جامعة الازهر يقضي بتوحيد الأهلة

* وصلت الى نزار قباني اتهامات بنت الشاطىء ، بسرقة قصيدة « وحيدة » من شاعر فرنسي . وقد اعترف نزار انه اخذ القصيدة فعلا من الشاعر الفرنسي ليثبت ان الشعر العربي يمكن ان يتسع للاحاسيس الصغيرة . وقال نزار انه لم يقل لاحد ابدا ان هذه القصيدة بلا اصل فرنسي .

* « صوت العرب فى لواء اسكندرونة » كتاب جديد يصدر فى دمشق للاستاذ زكي الارسوزي .

* قررت لجنة التبادل الثقافي فى الاقليم الشمالي العمل على نشر الثقافة العربية فى دول امريكا اللاتينية بتاليف كتاب يعرض صورا مختارة من الابداع العربي فى ميادين الادب والفكر ؛ وترجمة بعض الآثار الادبية والفكرية الى اللغة الاسبانية .

* تعد الكاتبة ليلى بعلبكي رواية عن فتاة شرقية تعيش بين اضواء باريس . والمؤلفة تقيم الآن فى باريس

* اقامت دمشق احتفالا كبيرا بمناسبة مرور تسعمائة عام على ميلاد الامام ابى حامد الغزالي .

* ترجم الأديب السوري بديع حقي خمسة كتب لطاغور

* تقرر انشاء مسرح فى دمشق وآخر فى حلب يتسع كل منهما لـ 800 شخص . وتقرر كذلك انشاء معهدين موسيقيين فيهما .

* « اشياء عذبة » مجموعة شعرية للشاعر صالح درويش صدرت اخيرا فى دمشق .

* انهى الدكتور احمد السمان عميد كلية الحقوق بدمشق ترجمة المصطلحات الاقتصادية والعلمية التي تضمنها المعجم الاقتصادي الفرنسي .

* نعت دمشق الدكتور مرشد خاطر ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

* سيصدر الاستاذ احمد عبد المجيد الغزالي ديوان ابي نواس محققا على النسخة الاصلية الوحيدة ويذكر المؤلف ان اصدار هذا الديوان سيثير ضجة

* اصدر الاديب الحلبي مظفر سلطان اخيرا مجموعة قصص قصيرة بعنوان « ضمير الذئب » .

* اقترحت لجنة الشعر بالاقليم الشمالي اقامة نصب تذكاري للشاعر ابى تمام وانشاء مكتبة باسمه فى بلدة « جاسم » .

* « لا تظلميه يا امي » رواية جديدة تصدر قريبا لعبد الرحمن القادر الحلبي .

* تحتفظ الاديبة كوليت الخوري بمجموعة رسائل نزار القباني اليها ، هذه المجموعة النثرية لاتقل عن قصائده روعة استودع فيها خواطره بالنسبة للحياة والادب والفكر والتاريخ والحب . كانت هذه الرسائل متصلة بين الشاعر والاديبة الى ان عاد من الصين . وتبذل محاولات لاقناع كوليت بنشر هذه الرسائل .

* يصدر الكاتب والقصاص الدكتور عبد السلام العجيلي قريبا كتاب جديد بعنوان « دعوة للسفر » وهو الجزء الثاني من كتابه المعروف « حكايات الرحلات » . وقد سجل فى هذين الكتابين انطباعاته خلال الجولات التي يقوم بها كل عام تقريبا فى اوربا .

* تقرر اقامة تمثالين للزعيم ابراهيم هنانو وابى العلاء المعري فى دمشق والمعرة .

* اصدرت دار الثقافة اللبنانية دراسة علمية للدكتور احسان عباس عن تاريخ الادب الاندلسي فى عصر سيادة قرطبة .

* تسلم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري شيكا من فرع بنك مصر بلبنان بمبلغ 2 000 جنيه

مقابل طبع ديوانه الذي سيتولى اصداره المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب .

* « الاصول البرلمانية في لبنان والعالم العربي » كتاب جديد صدر للنائب المحامي الاستاذ انور الخطيب

* « عباقرة العلم » بهذا العنوان أصدر الاستاذ جورج سلستي كتابه .

* اجتمعت لجنة وضع تاريخ جديد للبنان التي الفها وزير التربية اللبنانية من الاساتذة : عارف الكندي ، والامير موريس شهاب ، وقسطنطين زريق ، وهشام نشابة ، ويوسف ابراهيم يزبك ، والكسي بطرس ، لبحث المهمة الموكولة اليها . وقرر الراي على وجوب ادخال مفهوم جديد على التاريخ ينمي الروح الوطنية في الاحداث خاصة .

* اصدر الدكتور فيليب حتي مؤلفا قيما بعنوان « الشرق الادنى في التاريخ »

* « الفوهرر » ملحمة شعرية يعدها الشاعر الاستاذ نجيب ليان رئيس ديوان وزارة الانباء اللبنانية

* « الحب الاول » مجموعة قصص قصيرة ترجمها الاديب اللبناني خيري حماد عن الكاتب الروسي فلاديمير نابوكوف مؤلف قصة « لوليتا »

* « حبات قلب » ديوان جديد للشاعر اللبناني خليل الخوري صدر في هذه الايام .

* صدر عن دار الثقافة ببيروت الكتب الآتية : « أدب العرب وسير مشاهيره ورجاله » لمارون عبود « الرياض » لحميد الدين احمد بن عبد الله الكرماني بتحقيق وتقديم عارف تامر و « العقل والمنطق » لهاري وبونارو أفرستريت وترجمة عبد الحميد ياسين .

* يعد الاستاذ منير بعلبكي الترجمة الكاملة « لرواد الفكر الاشتراكي » الذي وضعه شيخ الاشتراكيين الانجليز . د . ه . كول .

* صدرت اخيرا رواية للكاتب اللبناني جميل جبر بعنوان « قلق » وهي تصور قلق الجيل الحاضر بين مختلف التيارات .

* وافقت منظمة اليونيسكو على منح لبنان قرضا بمبلغ عشرين مليون دولار لانشاء ابنية لجامعة كبرى في لبنان .

* « مدخل الى فلسفة ديكارت » كتاب جديد صدر للدكتور كمال الحاج .

* « الباحثات عن الحب » رواية جديدة كتبتها الاديبة اللبنانية سامية الكيالي .

* اصدر الاديب اللبناني محمد ابو المعاطي ابو النجا قصة « فتاة في المدينة » .

* اصدر شيخ ادباء لبنان الاستاذ مارون عبود كتابا فكاهيا ظريفا بعنوان « مخدة » .

* ان اللقب الصحيح للمجاهدة الجزائرية جميلة بوحيرد هو جميلة بوهيران . هذا ما صرحت به زميلتها في الدراسة بالكلية الفرنسية في باريس منيرة الجزائري الموجودة الآن في العراق وقد انتقدت منيرة الصحافة العربية على استمرارها في نشر لقبها مقلوطا ؛ واضافت بأن الصحف نشرت ايضا صورة المجاهدة جميلة بوعزة وكتبت تحتها جميلة بوحيرد .

* أقام اتحاد الادباء العراقيين في بغداد احتفالا بمناسبة مرور 25 سنة على وفاة الشاعر جميل صدقي الزهاوي .

* توفيت في بغداد السيدة زكية الزهاوي ، زوجة الشاعر العراقي الفقيد جميل صدقي الزهاوي.

* صدر في بغداد الجزء الثامن من كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لمؤلفه الدكتور جواد علي ، الذي تولى نشره المجمع العلمي العراقي .

* صدر في هذه الايام كتاب « صفحات من حياة الرصافي وادبه » للكاتب العراقي هلال ناجي ، وفيه نماذج من شعر الرصافي لم يسبق نشرها .

* يبحث وفد من احدى الجامعات الاميركية امكانية تأسيس جامعة اميركية بالاردن على غرار الجامعة الاميركية ببيروت والجامعة الاميركية

بالقاهرة ـ ويدرس الوفد احوال خريجي الجامعتين المذكورتين في الدول العربية .

* اصدر الاديب الاردني خالد المحادين مجموعة قصصية بعنوان « نسي انها عذراء » وهي تتضمن ثلاث قصص فريدة من نوعها في الادب العربي .

* اسست الحكومة السعودية جامعة للدراسات الاسلامية في المدينة المنورة . وعين الملك سعود الشيخ محمد بن حركان رئيسا لها .

* « دموع وتوبة » ديوان جديد صدر للشاعر السعودي حسن الصرفي .

* « وطن الخالدين » كتاب جديد يعده للطبع الكاتب السعودي محمد حسن عواد ، تناول فيه بالدراسة شبه الجزيرة العربية ثم الوطن العربي الكبير

* طلبت امارة قطر تاييد ترشيحها لعضوية اليونيسكو . وقررت الدول العربية دعم هذا الترشيح والسعي لدى الدول الاعضاء لقبول عضوية امارة قطر في هذه المنظمة .

* اصدر القاص الهندي المعروف اندرو سالكي مجموعة قصصية عن جزر الهند الغربية . قال عنها النقاد انها تمثل مجموعة من القدرة الاصيلة نبعت من ارض ليس لها تقاليد ادبية . وتصور هذه القصص ملامح من الحياة في الهند الغربية تمتاز بالوضوح والنقاء وتاخذ بلب القارىء .

* قام ريتشارد تشرشي المؤلف والشاعر الانجليزي بجولة في الهند انفقها المؤلف في دراسة آثار طاغور . ويعتبر ريتشارد من المختصين في ادب طاغور وفلسفته .

* صدرت اوامر الى المعنيين بالامر في الصين الشعبية لحفظ الآثار ذات القيمة التاريخية والعلمية والادبية . وقد امر مجلس الدولة الصينية بالسهر على 180 مدينة تاريخية تضم بنايات وقبورا عريقة في القدم .

* عقد اخيرا في أبيدجان المؤتمر الاول للنساء والامهات الافريقيات .

* اصدرت احدى دور النشر في يوغسلافيا ترجمة كتاب « الايام » لطه حسين .

* « بابل في كل مكان » كتاب جديد للكاتب الالماني فولف شنايدر عالج فيه تطور المدن في العالم منذ نشأتها متعرضا في سياق ذلك للمشاريع الجديدة لتشييد المدن في المستقبل .

* يعتبر ارنست روفولت الذي توفي اخيرا في هامبورج عن 73 سنة ، اشهر ناشر في المانيا ، فهو مؤسس وصاحب دار النشر المسماة « رو ـ رو ـ رو » التي تعاملت مع كبار كتاب العالم منذ 1908 حتى الآن ، ونشرت بالالمانية مؤلفات فولكنر وتوماس وولف وهيمنجواي وسنكلير لويس وغيرهم . وكان الناشر روفلت يفخر بانه نشر مؤلفات لاربعين كاتبا كلهم حصلوا على جائزة نوبل ، كما نشر مؤلفات اخرى لاربعين اصبحوا من الكتاب العالميين .

* عثرت بعثة اثرية المانية على قبر بالقرب من ازمير ، على شاطىء البحر الابيض يعتقد بانه قبر يوحنا .

* « الحضارة العربية واثرها في الحضارة الغربية » كتاب جديد أصدرته المستشرقة الالمانية الدكتورة زيجريد شلتنه ، أوضحت فيه ان أوربا عاشت مدة طويلة تتلقى العلوم والفنون عن المعلمين

* اقيمت في موسكو امسية ادبية بمناسبة بلوغ الكاتب اللبناني مارون عبود الخامسة والسبعين من عمره . وقد قدم دانيال بوسوبوف العضو في معهد الشعوب الاسيوية باكاديمية العلوم تقريرا عن حياة مارون عبود وعن انتاجه الادبي فوصفه بانه يمثل باتقان الادب العربي المعاصر ، ويعبر في مؤلفاته عن افكار واماني الشعب .

* عقد مؤخرا في بروكسل مؤتمر في موضوع « دور جمعيات الآباء والمعلمين في التوجيه النفسي »

* « السفر » رواية تمثل على مسرح فرنسا للشاعر المسرحي اللبناني جورج شحادة .

* توفي العالم الفرنسي جولي بورديط الحائز على جائزة نوبل للعلوم لسنة 1919 .

* لم تشهد سوق الكتب الفرنسية فى السنوات الاخيرة مثل التوزيع والرواج اللذين احرز عليهما كتاب « حرب الجزائر » لجول روى .

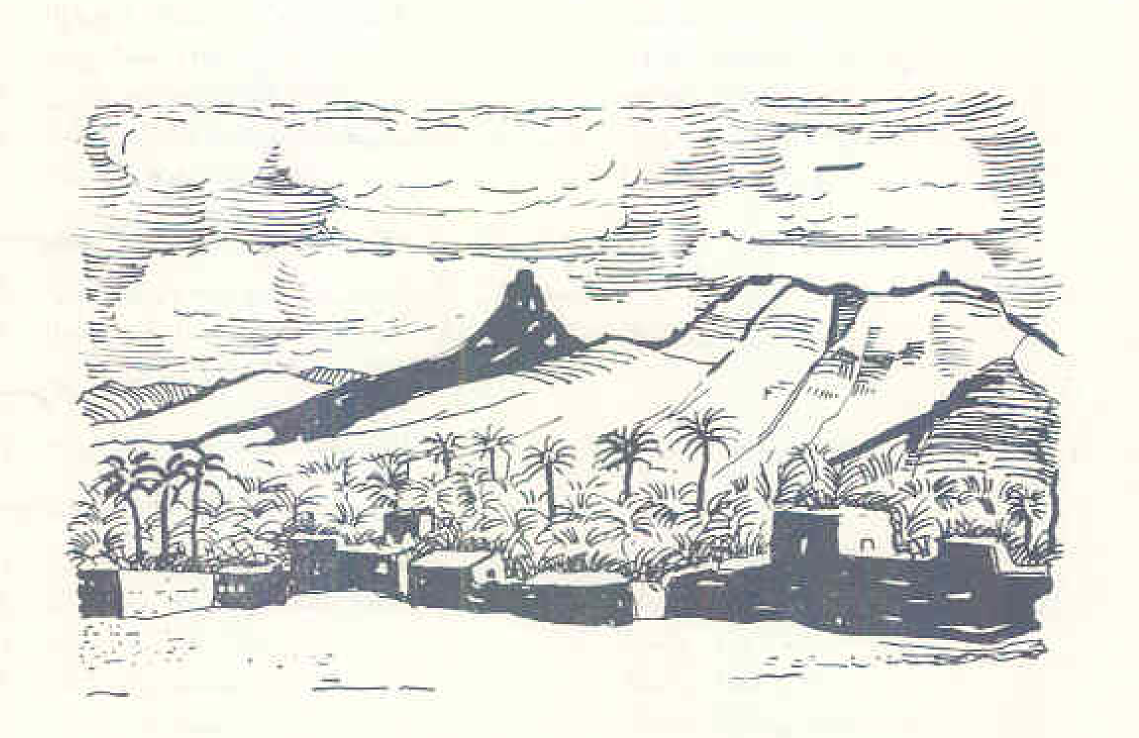
* تقرر بناء مكتبة عامة فى مدينة لوتون البريطانية ليس لها مثيل فى العالم فقد خصصت للمراهقين والاطفال وقسمت بطريقة جديدة .

* توفي اخيرا الكاتب الفرنسي اميل هنري عضو الاكاديمية الفرنسية .

* اصدر الكاتب الايطالي البرتو مورافيا رواية جديدة بعنوان « السأم » اثارت ضجة عنيفة لانها تناولت قصة حب عنيفة .

* فى احصاء جديد عن عدد الكتب المطبوعة فى بريطانيا ، ثبت ان ما طبع منها فى العام الماضي بلغ سبعين مليون كتاب بينما كان عدد المطبوعات منها منذ خمس سنوات نحو خمسة وعشرين مليون كتاب .

* صدرت فى جامعة اكسفورد مجلة متخصصة فى نقد محاضرات الاساتذة والتعليق عليها .



فهرس العدد السابع - السنة الرابعة

الصفحة

دراسات اسلامية :

ابحاث ومقالات :

شؤون افريقية :

معرض الكتب :

ديوان دعوة الحق :

الحياة الثقافية في الوطن العربي :